

الجمال

الشيخ المفيد

[١]

الجمال

[٢]

..

[٣]

ترجمة الشيخ المفيد هو محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان ابن سعيد بن جبير (١) ولد سنة ٢٣٨ في الحادي عشر من ذي القعدة بقرية تعرف (بسويقة ابن البصري) من عكبرى (٢) وتبعد عن بغداد إلى ناحية الدجيل عشرة فراسخ (٤)، وكان ربعة من الرجال نحيفا أسمر اللون (٥). عرف بابن المعلم لأن أباه كان معلما بواسط (٦)، كما اشتهر (بالمفيد) أما لأن الامام صاحب العصر (عجل الله فرجه) لقبه به، كما نص عليه ابن شهر اشوب (٧)، أو أن شيخه على بن عيسى الرماني لقبه به، كما أثبتته الشيخ ورام (٨).

(١) النجاشي ص ٢٨٢. (٢) ابن النديم في الفهرست ص ٢٧٩. (٣) مجموعة ورام ص ٤٥٦. (٤) معجم البلدان (ج ٦ - ص ٢٠٢). (٥) شذرات الذهب (ج ٣ - ص ٢٠٠). (٦) لسان الميزان (ج ٥ - ص ٣٦٧). (٧) معالم العلماء ص ١٠١ طهران. (٨) المجموعة ص ٤٥٦ (*).

[٤]

وكيف كان فهو الحري بهذا اللقب، لاجتماع أهل الفضل وذوي التحقيق من الفريقين على تقدمه على من عاصره، وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والادب، وله قوة العارضة في الجدل والظهور على الخصم. قال ابن النديم: شاهدهته وجالسته فرأيتته شديدا الفطنة ماضى خاطر بارعا في العلوم. ويزيد ابن حجر العسقلاني بقوله: ان له على كل إمام منة. وصادق على هذه الظاهرة في شيخنا المفيد كل من الذهبي واليافعي وابن كثير وابن العماد وأبو حيان التوحيدي (١). ومهما تكثرت الأقوال من علماء الامامية وغيرهم في حق الشيخ المعظم فاني أرى البيان لينحسر عن تحديد نفسيته وما أتاه المهيمين جل شأنه من ملكات فاضلة بعد أن خاطبه (أمام العصر) عجل الله فرجه في كتابه الاول: بالآخ السديد، والمولى الرشيد أيها المولى المخلص وفي ودنا الناصر لنا، إلخ. ويقول في الثاني: من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله، سلام عليك أيها العبد الصالح الناصر للحق الداعي إليه بكلمة الصديق، إلخ (٢) فإنك بعد أن أحطت خبرا بأن صاحب الناحية

المقدسة لم يخاطب أحدا إلا باسمه الساذج من دون إطرء كما إنه عليه السلام لا يلفظ إلا نفس الحقيقة سواء في ذلك مدح رجل أو بيان حكم أو فصل قضاء

(١) انظر أقوالهم في ترجمته المطبوعة مع أمالي المفيد ص ٢ في النجف طبعة ثانية.
(٢) الكتابان في احتجاج الطبرسي ص ٢٧٧ ط النجف. (*)

[٥]

وهكذا سبيل امناء الوحي والحجج على الخلق فانهم لا ينطقون إلا عن الأمر الإلهي. تعرف حينئذ ان من يتخذه (حجة الزمن) عليه السلام آخا له ويعترف له بالصدق في الاقوال والرشد في الأمر هو فوق مستوى البشر بعد الحجج الاطهار. نعم وجده صاحب الناحية المقدسة ذلك الرجل الناهض للدعوة الإلهية الناشر للمعارف الاحمدية والذاب عن قدس الشريعة المطهرة فأعطاه ذلك الوسام المشعر بالعظمة والتفوق على غيره ممن عاصره. كتاب الجمل: وان من يقرء كتبه في الامامة والفقہ والحديث يدعن بأنه ذلك المتميز في البرهنة الصحيحة ودحض معرة الشبه والالحاد، وليس من البدع إذا كان شيخ الأمة المفيد مستفاهها في العلوم ومورد ريبها ومحل ثقتهها. أما كتاب (الجمل) فيعطى القارئ صورة واضحة لشيخنا الاعظم من دقة النظر وقوة في الحجج كما انه يوقف الباحث على الآراء في الامامة وما يرتؤنه في هذا الحادث الذي أقلق الفكر وأخذ بمن لم يستضيئ بنور الحقيقة إلى مهوى سحيق. ولقد دلنا هذا الكتاب المفعم بالشواهد التاريخية الصحيحة عند الفريقين على نفسيات الرجال وضعف الادمغة مع عدم التباعد عن أحاديث الرسول الاقدس في حق وصيه المقدم والخلفاء من ذريته، وان الخلاف عليه وخيم العاقبة، وهذا بعد التعريف بمواقفه في الاسلام يوم

[٦]

كان الشرك ضاربا بحرانه مخيما على أولئك الضعفاء وبمضاء من سيف أمير المؤمنين عليه السلام ونمير من فضله قام عمد التوحيد واحكمت قواعد الايمان وانفشعت سحب الضلال واستنار العالم بالحقايق. كان كتاب (الجمل) المائل اليوم أمام القراء الكرام مختبئا في زوايا المكتبات لا يصل إليه إلا النفر النزر من رواد السيرة والتاريخ حتى فيض الله سبحانه المهذب الغيور (محمد كاظم بن الحاج محمد صادق الكتبي) صاحب المطبعة الحيدرية في النجف فأخرجه إلى القراء تلبية لطلبهم ونزولا عند رغبتهم ولكن الاسراع في الاجابة وحراجة الظروف أثرت على العناية في تصحيح الكتاب وتدقيقه غير ان الرغبة الاكيدة في الوقوف على ما فيه من حقايق التي لم يحوها غيره من المؤلفات على كثرتها أوجب تهافت القراء عليه ثقة بشيخنا المعظم لما أوتى من سعة في الحديث وثبت في النقل ومحص دقيق لقضايا التاريخ. وبعد نفاذ نسخ الطبعة الاولى اجتهد الناشر صاحب (المطبعة الحيدرية) في عرض الكتاب على جماعة من أعلام المؤرخين فدققوا النظر في الكتاب بعد المقابلة على نسخة العلامة المتبحر الشيخ على نجل الحجة الشيخ محمد رضا بن آية الله الشيخ هادي آل الشيخ الاكبر كاشف الغطاء أيده الله وأدامه مساعدا ومروجا لاهياء مؤلفات علمائنا الاعلام. ثم أن المساعدين للناشر لم يكتفوا بهذه النسخة وغيرها وإنما بذلوا الجهد في تطبيق ما يذكره (المفيد) مع نصوص المؤرخين الاقدمين الذين تعرضوا لقضية (الجمل)

وحديث الناكثين وأضافوا إلى ذلك تعاليق في هامش الكتاب كان بها الجدارة في الاثبات.

[٧]

فالناشر يشكر المساعدين له الآخذين بعضه في المحافظة على تصحيح هذا المؤلف القيم، كما إنا نشكر همته القعساء ونشخص إلى المهيمن سبحانه مبتهلين بأن يمد في عمره وبوفقه للمثابرة على إحياء هذه المؤلفات الجليلة يفيض عليه من لطفه وجوده. ان رحمة الله قريب من المحسنين. ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. وفاة المفيد: توفى الشيخ (المفيد) ليلة الثالث من رمضان ببغداد سنة ٤١٣ هـ صلى عليه علم الهدى السيد المرتضى بميدان الاشنان وحمل إلى مشهد الامامين الكاظمين عليهما السلام فدفن عند رجليهما، وكان يوم وفاته كما يحدث عنه الشيخ الطوسي في (الفهرست (١) يوما مشهودا عظيما اجتمع لتشيعه خلق كثير وبكاه المؤلف والمخالف ووجد على قبره مكتوب: لا صوت الناعي بفقدك إنه * يوم على آل النبي عظيم إن كنت قد غيبت في جدث الثرى * فالعدل والتوحيد فيك مقيم والقائم المهدي يفرح كلما * تليت عليك من الدروس علوم

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف. (*)

[١٧]

الجمل والنصرة في حرب البصرة تصنيف الشيخ السعيد المفيد محمد بن النعمان العكبري المتوفى سنة ٤١٣ هجرية (الطبعة الثانية) من منشورات مكتبة الداوري قم - ايران

[١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ضمن النصره لناصريه، وأعان على الحق بتوفيقه متبعيه، وخذل من عند دينه والحد فيه، وصلواته على صفوته من خلقه ومجتيه، محمد وآله المخصوصين بالطهارة والتنزيه، أيدك الله بتوفيقه سألت أن أورد لك ذكر الاختلاف بين أهل القبلة في حديث الفتنة بالبصرة، وما كان بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وبين عائشة وطلحة والزبير من الحرب المهولة والقتال، ومذهب كل فريق من الامة فيه على شرح له وبيان، وإثبات سبب هذه الفتنة والاختلاف التى جاءت فيما جرى بين القوم، من القتال والفعال. فان كل كتاب صنف في هذا الفن قد تضمن أخبارا تلتبس معانيها على جمهور الناس ولم يأت أحد من المصنفين بذكر الحرب في هذه الفتنة على الترتيب والنظام بل خلطوا الاخبار فيها خلطا لم يحصل معه تصور الخلل فيما كان بين الجميع منه على الظهور والتبيين للذى جاء. فقد جمعت لك أيدك الله كلما صدر عنهم، وأثبت في هذا الكتاب برهانا يفضى الناظر فيه إلى صحة الاعتقاد في أحكام القوم بأسمائهم بأعمالهم وما فيها من الكفر والايمان والطاعة والعصيان والتبين والضلال. لتعلم وفقك الله

بالنظر والاعتبار وتخرج بذلك من التقليد الموبق لصاحبه ولتظفر بالحق ويزول عنك الاشتباه الذى التيس عليك أمره فيما كان هناك وأجبتك إلى ما سألت معتصما بالله عزوجل وسائلا لك التوفيق والرشاد وبالله أستعين. (القول في اختلاف الامة) في فتنة الجمل وأحكام القتال فيها: أما المتولون للقتال في هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم ودلت ظواهرهم في ذلك على بوطنهم فيه إذ العلم يحيط بأن أمير المؤمنين عليا (ع) وولده وأهله من بني هاشم وأتباعه من المهاجرين والانصار وغيرهم من المؤمنين لم يسلكوا فيما باشروه من الحرب وسعوا فيه من القتل واستباحة الدماء طريق المجرمين، لذلك الطالبين به العاجل، والتاركين به ثواب الآجل، بل كان ظاهريهم في ذلك، والمعلوم من حالهم، وقصدتهم التدين والقربة إلى الله تعالى بعملهم، والاجتهاد فيه وإن تركه والاعراض عنه موبق من الاعمال والتقصير فيه موجب لاستحقاق العقاب. ألا ترى إلى ما أشتهر من قول أمير المؤمنين (ع) وقد سئل عن قتاله للقوم (لم أجد الا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله). وقول عمار بن ياسر رحمه الله: أيها الناس والله ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر فلما وجدوا له أعوانا أظهره (١) في أمثال هذين القولين من جماعة جلة من شيعة أمير المؤمنين (ع) يطول بشرحها الكتاب فهم يلائم معاني كلامهم في ذلك ظواهر فعالهم. والمعلوم من قصودهم وهذا ما لا مزيد فيه بين العلماء، وإنما يشتهى الامر فيه على الجهلاء الذين لم يسمعوا الاخبار، ولا اعتبروا بتأمل الآثار. وكذلك الامر محيط بأن ظاهر عائشة وطلحة والزبير وكثير ممن

(١) نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٢٤٣ ط مصر. (*)

كان في حيزهم التدين بقتال أمير المؤمنين (ع) وأنصاره والقربة إلى الله سبحانه وتعالى في استفراغ الجهد فيه، وانهم كانوا يريدون على ما زعموا وجه الله والطلب بدم الخليفة المظلوم عندهم، المقتول بغير حق وانهم لا يسعهم فيما أضمره في اعتقادهم إلا الذى فعلوه، فوضح من ذلك ان كلا من الفريقين يصبو رأيه فيما فعل ويخطئ صاحبه فيما صنع ويشهد لنفسه بالنجاة ويشهد على صاحبه بالضلال والهلاك. إلا أن أمير المؤمنين (ع) صريح بالحكم على محاربيه ووسمهم بالعدو والنكث، وأخيرا أن النبي صلى الله عليه وآله أمره بقتالهم وفرض عليه جهادهم ولم يحفظ عن محاربيه فيه شئ ولا سمة له يمثل ذلك وان كان المعلوم من رأيهم التخطئة له في القتال، والحكم عليه في بقائه على الامر والامتناع من رده شورى بينهم وتسليمه قتلة عثمان إليهم بالزلل عن الحق الواجب عندهم والصواب. وكان مذهب سعد بن مالك بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة الانصاري، واسامة بن زيد وأمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب والتبديع لمن تولاهما والحكم على أمير المؤمنين (ع) والحسن والحسين ومحمد بن علي (ع) وجميع ولد أبى طالب وكافة أتباع أمير المؤمنين من بني هاشم والمهاجرين والانصار والتمدين بنصرته المتبعين له على رأيه في الجهاد، بالضلال والخطأ، في المقال والفعال، والتبديع لهم في ذلك على كل حال. وكذلك كان مذهبهم في عائشة وطلحة والزبير ومن كان على رأيهم في قتال أمير المؤمنين (ع) وانهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب، مبدعون في استحلال دماء أهل الاسلام، ولم

يحفظ عنهم في الطائفتين ولا في احديهما تسمية بالفسوق ولا
اخراجهم بما تولوه من الحرب والقتال عن الايمان.

[٢١]

اختلاف الفرق: (فصل) الخلاف بعد النبي الذي حكيناه عن السلف
في الفتنة المذكورة قد تشعب وزاد على ما أثبتناه عن سميانه
في الخلاف، فقالت العالمة الحشوية المنتسبة إلى السنة على ما
زعموا في ذلك أقاويل مشهورة وذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة.
فمنهم طائفة اتبعت رأى سعد بن أبى وقاص وشركائه المعتزلة عن
الفريقين ومذهبهم في إنكار القتال وحكموا بالخطأ على أمير
المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وابن عباس وخزيمة
بن ثابت ذى الشهاداتين وأبى أيوب الأنصاري وأبى الهيثم بن التيهان
وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وامثالهم من وجوه
المهاجرين ونقباء الانصار. وعلى عائشة وطلحة والزبير وجميع من
اتبعهم في الحرب واستحل معهم القتال، وشهدوا عليهم جميعا فيما
صنعوه بالزلل عن الصواب، ووقفوا فيهم مع ذلك ولم يقطعوا لهم
بعقاب، ورجوا لهم الرحمة والغفران، وكان الرجاء لهم في ذلك أقوى
عندهم من الخوف عليهم من العقاب. وقالت فرقة منهم اخرى
بتخطئة الجميع كما قالت الاولى منهم في ذلك وقطعوا على ان أمير
المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وخزيمة
ذى الشهاداتين ان كانوا قد زلوا بالقتال وسفك الدماء فانه مغفور لهم
ذلك، لما قدموا من عظيم طاعتهم لله تعالى وجهادهم مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وصحبتهم له، مواساتهم إياه. وكذلك قولهم في
عائشة، وطلحة والزبير ومن شركهم في القتال ممن له صحة
وسالف جهاد.

[٢٢]

وأما من سوى الصحابة بين الفريقين منهم بقتالهم واستحلالهم
الدماء فمن أهل النار، وحكوا عن بعض مشيختهم وأئمتهم في الدين
انه كان يقول نجت القادة وهلك الاتباع، وفرقوا بين الصحابي في ذلك
وغيره بحديث روه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لبعض
المسلمين ممن أدركه ولم يكن له صحبتته وقد سامى رجلا من
الصحابة: إياكم وأصحابي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدى
أحدهم ولا نصفه وقالت فرقة أخرى منهم لا ينبغي لأحد أن يخوض
في ذكر الصحابة وما جرى بينهم من تنازع واختلاف وتباين وقتال ولا
يتعرض بالنظر في ذلك ولا الفكر فيه ويعرض عنه جانباً، وأن استطاع
أن لا يسمع شيئاً من الاخبار الواردة به فيفعل، فانه ان خالف هذه
الوصاة وأصغى إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد،
وتبرع بالحكم عليهم بشئ يشين المسلم فقد أبدع في الدين،
وخالف الشرع، وعدل عن قول النبي ولم يحذر مما حذر منه بقوله
صلى الله عليه وآله إياكم وما سيجري بين الصحابة. وزعموا أن
الرواية بذكر أخبار السقيفة، ومقتل عثمان والجمل وصفين بدعة،
والتصنيف في ذلك ضلال، أو الاستماع إلى شئ من ذلك يكسب
الآثام. وهذه فرقة مستضعفة من الحشوية يميل إلى قولها جمع
كبير ممن شاهدناه من العامة ويدعوا إليه المنتظرون بالورع
والزهد، والصمت وطلب السلامة، وحفظ اللسان، وهم بذلك بعداء
عن العلم وأهله، جهال أعمار. وقالت فرقة من العامة تختص بمذاهب
الحشوية غير أنها تتعاطى النظر، وتدعى المعرفة بالفقه وتزعم أنها
من أهل الاعتبار، ان علي ابن أبى طالب (ع) ومن كان في حيزه من
المهاجرين والانصار

وسائر الناس، وعائشة وطلحة والزبير وأتباعه جميعا معا كانوا على صواب فيما انتهوا إليه من التباين والاختلاف والحرب والقتال وسفك الدماء، وضرب الرقاب، فان فرضهم الذي يعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون سواه، لم يخرجوا بشئ منه عن طاعة الله ولا دخلوا به في شئ منه إلا انهم كانوا على الهدى والصواب، ولو قصروا عنه مع الاجتهاد المؤدى لهم إليه ؛ لصلوا عن الحق، وخالفوا السبيل والرشاد. وزعموا أن انهم كانوا جميعا مع الحال التي انتهوا إليها من سفك الدماء ؛ وقتل النفوس ؛ والخروج عن الاموال والديار على أتم مضافة ومودة وموالات، ومخالصة في الضماير والنيات ؛ واستدلوا على ذلك وزعموا بأن قالوا وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقا بحجة تعذره فيما أتاه وتوجب عليه العمل بما صنع، وذلك ان علي بن أبي طالب كان مذهبه تحريم قتل الجماعة بالواحد وان اشتركوا في قتله معا وهو مذهب مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد ؛ ولم يثبت عنده أيضا ان المعروفين بقتل عثمان تولوا على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى من التمسهم منه ليقتلوهم بعثمان ؛ ووجب عليه (ع) في اجتهاده الدفاع عنهم بكل حال، وكان مذهب عائشة وطلحة والزبير قود الجماعة بالواحد من الناس ؛ وهو مذهب ابن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة وجماعة من التابعين ؛ وبه دان جماعة من الفقهاء وأصحاب الاجتهاد، وثبت عندهم ان الجماعة يقتلون بالرجس الواحد وان أمير المؤمنين لم يسلمهم ليقتلوهم بعثمان، وان الناس تولوا قتله واشتركوا في دمه ؛ وكان إماما مرضيا عندهم ؛ قتل بغير حق ؛ فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه ؛ والاستفادة من قاتله وبذل الجهد في ذلك ؛ فاختلف الفريقان في ذلك لما ذكروه من الاجتهاد ؛ وعمل كل فريق منهم على رأيه وكان

بذلك مأجورا وعند الله مشكورا ؛ وان كانوا قد سفكوا فيه الدماء وبذلوا فيه الاموال وهذا مذهب جماعة قد شاهدتهم وكلمتهم وهم في وقتنا هذا خلق كثير وجم غفير. وممن كلمتهم فيه من مشيخة أصحاب المخلوق المعروف بأبي بكر التمار الملقب بدرزان وكان في وقته شيخ أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب أكبرهم سنا ؛ وأشدهم تقدما في مجالس الكلام ؛ ومنهم محارب الصيدباني المكنى بابن العلاء خليفة أبي السائب في القضاء. ومنهم المعروف بالوشعى ؛ ومن بعدهم المكنى بأبي عبد الله المعروف بابن مجاهد البصري الشعري صاحب الباهلي تلميذ علي بن أسماعيل بن أبي بشر الاشعري ومنهم المعروف بأبي بكر بن الطيب المعروف بابن الباقلاني ومنهم أبو العباس بن الحسين بن أبي عمر القاضي وجميع من سميت ممن جاريته في هذا الباب من أصحاب المخلوق، وبعضهم كلابية وبعضهم أشعرية واليه يذهب في وقتنا هذا جمهور أصحاب الشافعي ببغداد والبصرة وخوزستان وبلاد فارس وخراسان وغيرها من الامصار ؛ لا أعرف شافعيًا له ذكر في قومه ويذهب إلى هذا المذهب ليعبد به عن قول الشيعة ؛ وأهل الاعتزال. رأي المعتزلة: واختلف في ذلك المعتزلة أيضا كاختلاف الحشوية ؛ فقال إمامهم المقدمان وشيخاهم المعظمان اللذان هما أصلان للاعتزال، وافتتحا لمعتقديه في الكلام وهم فخر الجماعة منهم وجمالهم الذي لا يعدلوا عندهم سواه واصل بن عطاء الغزال ؛ وعمرو بن عبيد بن باب المكارى (١) ان

(١) قال ابن خلكان بترجمته هو عمرو بن عبيد بن باب بئيين وانما ضبطته بذلك لثلاثا يشتهر بناب وفي تاريخ بغداد ج ١٢ ص - (*)

[٢٥]

أحد الفريقين ضال في البصرة مضل فاسق خارج من الايمان والاسلام ملعون مستحق للخلود في النار، والفريق الآخر هادي مهدي، مصيب مستحق للثواب والخلود في الجنان غير أنهم زعموا أن لا دليل على تعيين الفريق الضال ولا برهان على المهدي ولا بينة تتوصل بها إلى تمييز أحدهما من الآخر في ذلك بحال من الاحوال. وانه لا يجوز أن يكون علي بن أبي طالب (ع) والحسن والحسين ومحمد بن علي و عبد الله وقتلهم والفضل وعبيد الله بنو العباس و عبد الله ابن جعفر الطيار وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وكافة شيعة علي (ع) وأتباعه من المهاجرين والانصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الدين المتحيزين إليه والمحققين بسمة الاسلام هم الفريق الضال، والفاسق الباعى الخارج عن الايمان والاسلام والعدو لله والبرئ من دينه الملعون المستحق للخلود في النار. وتكون عائشة وطلحة والزبير والحكم بن أبي العاص ومروان ابنه و عبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة و عبد الله بن عامر بن كرز ابن عبد شمس ومن كان في حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدي الموفق إلى الله المصيب في حربه المستحق للأعظام والأجلال والخلود في الجنان. قالا جميعا نعم ما ننكر ذلك ولا نؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم

- ١٦٦ كان باب من سبى فارس وعبيد من سبى سجستان وكان عبيد نساجا ثم صار من شرطة الحجاج على السجن وهو يقول إنى أصبت ام عمرو من غلوط وكان عبيد يقول لو أن عليا وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزت شهادتهم وقد أحدث عمرو بدعة قتل فيها الناس وفيه يقول يحيى بن معين انه رجل سوء مات سنة ١٤٤ ودفن بمران على ليال من مكة راجعا إلى البصرة. (*)

[٢٦]

به على ما ذكرناه بحل وكما أن قولنا ذلك في علي وأصحابه فكذلك هو في الفريق الآخر فانا لسنا ننكر انهم وأتباعهم على السوء ولسنا ننكر أن يكونوا هم الفريق الضال الملعون، العدو لله البرئ من دينه، المهدي المهدي الولي لله في سبيله ؛ المستحق بقتاله عائشة وطلحة والزبير وقتل من قتل منهم الجنة وعظيم الثواب. قالا ومنزلة الفريقين منزلة المتلاعنين فيهما فاسق لا يعلمه على التميز له والتعيين إلا الله عزوجل. وهذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنهما في كتابه الموسوم (بفضيلة المعتزلة) وحكاها أصحاب المقالات عنهما ولم يختلف العلماء في صحتها عن الرجلين المذكورين وانهما خرجا من الدنيا على التدين بها والاعتقاد لها بلا ارتياب. وحكى ابن يحيى أن أبا الهذيل العلاف كان على هذا المذهب في أمير المؤمنين (ع) وعائشة وطلحة والزبير متبعا فيه امامية المذكورين ولم يزل عليه إلى أن مات قال شيخ المعتزلة أيضا ومتكلميها في الفقه وأحكام الشريعة على اصولها الاصم المكنى بأبي بكر الملقب بحريال أنا أقف في كل فريق من الفريقين فلا أحكم له بهدى ولا ضلال ولا أقطع علي أحدهما بشئ من ذلك في التفصيل ولا الاجمال ولكني أقول أن كان علي بن أبي طالب (ع) قصد بحرب عائشة وطلحة والزبير كف الفساد ومنع الفتنة في الارض ودفعهم عن التغلب على الامر والعدوان على العباد فانه مصيب

مأجور، وإن كان أراد بذلك الجبرية والاستبداد بالامر بغير مشورة من العلماء بل ليتأمر على الناس بالقهر لهم على ذلك والاضرار فهو ضال مضل من أهل النار ؛ قال وإنما قلت ذلك لخفاء الامر لي فيه واستتار النيات في معناه واشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء

[٢٧]

قال وكذلك قولني في الفريق الآخر، أقول ان عايشة وطلحة والزبير ان كانوا قصدوا بقتالهم علي بن أبي طالب (ع) وأصحابه منعه من الاستبداد بالامر من دون رضی العلماء به، وأرادوا الطلب بدم عثمان والاقتصاص له من ظالميه برد الامر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب وإن كانوا أرادوا بذلك الدنيا والعصية والافساد في الامر وتولى الامر بغير رضی العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون للعنة والخلود في النار غير انه لا دليل لي على أعراضهم فيه ولا حجة تظهر في معناه من أعمالهم ولذلك وقف فيهم كما وقفت في علي وأصحابه كما بينت. وإن كان طلحة والزبير أحسن حالا من علي فيما أتاه.. وقال هشام القوطي وصاحبه عباد بن سليمان الصيمري، وهذان الرجلان من أئمة المعتزلة أيضا ان عليا وطلحة والزبير وعائشة في جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق وهدى وصواب وكان الباؤون من أصحابهم على ضلال وبوار وذلك ان عائشة وطلحة والزبير انما خرجوا إلى البصرة لينظروا في دم عثمان وبأخذوا بثاره من ظالميه وأرادوا بذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلبوا بوجه الله وخرج علي بن أبي طالب ليتفق معهم على الرأي والتدبير في مصالح الاسلام وأهله وكف السعي في الفتنة ومنع العامة مما ليس إليهم بل هو إلى وجوه العلماء وليقع التراضي بينهم على انصاف واجتهاد في طلب الحق والاجتماع على الرأي فلما ترائى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فانتشبت الحرب بينهم على غير اختيار من القادة والرؤساء وخرج الامر عن ايديهم في تلافى ذلك فكان من الاتباع الفتنة وسفك الدماء ما لم يؤثره علي وطلحة والزبير وعائشة ووجوه اصحابهم من الفضلاء فهلك بذلك الاتباع ونجا الرؤساء وهذا يشبه ما قدمنا حكايته عن بعض العامة من وجه يخالفه

[٢٨]

من وجه آخر يميز به الرجلان من الكافة ودفعنا فيه علم الاضطراب ووجد المعروف كالعيان. وقال باقي المعتزلة كبشر بن المعتمر وأبي موسى المراد وجعفر بن بشر والاسكافي والخياط والشحام وابن مجالد البلخي والجبائي فيمن اتبعهم من أهل الاعتزال وجماعة الشيعة من الامامية والزيدية، ان أمير المؤمنين (ع) كان محقا في جميع حروبه مصيبا بقتال أهل البصرة والشام والنهروان مأجورا على ذلك مؤديا فرض الله تعالى عليه في الجهاد وان كل من خرج عليه وحاربه في جميع المواطنين ضلال عن الهدى مستحقون بحربه والخلاف عليه النار غير ان من سميانه من المعتزلة خاصة استثنوا عائشة وطلحة والزبير من الحكم باستحقاق العقاب وزعموا أنهم خرجوا من ذلك إلى استحقاق الثواب بالتوبة والندم على ما فرط منهم في القتال فحكموا بصد الظاهر من الفعال والمعلوم منهم من المقال وضعفوا في دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج وأظنهم اتقوا به من العامة وتقربوا باظهاره إلى أمراء الزمان إذ لا شبهة تعرض أمثالهم من العلماء بالاخبار والنظار المتميزين بالكلام عن أهل التقليد في فساد هذا الاعتقاد وخالف من سميانه من المعتزلة في هذا الباب (الاصم) خاصة فانه زعم ان معاوية كان إماما محقا

لاجتماع الامة عليه فيما قال بعد قتل أمير المؤمنين علي (ع) مع تظامره بالشك في امامة أمير المؤمنين حسيبا حكيانه فيما سلف قبل هذا المكان وكل من سميناه منهم سوى (الاصم) مع تصويبه عليا وتفسيق محاربيه ويقطع على معاوية وعمرو بن العاص في خلافهما أمير المؤمنين واستحلالهما حربه بالنار وانهما خرجا من الدنيا على الفسق المويق لصاحبه الموجب عليه دوام العقاب وأن جميع من مات على اعتقاد امامة معاوية وتصويبه في قتال علي (ع) فهو عندهم ضال عن الهدى خارج عن الاسلام مستحق الخلود في النار وقد وافق من سميناه

[٢٩]

من المعتزلة وكافة الشيعة الخوارج في تخطئة معاوية وعمرو بن العاص وتضليلهما في قتال علي. وجماعة من المرجئة وأصحاب الحديث من المجبرة غير أن هذين الفريقين وقفا في عذابهما ولم يقطعا على دخولهما النار ورجوا لهما ولمحاربي علي وأصحابهما من غيرهم ممن ظاهره الاسلام العفو من الله وقولهم في الخوارج كذلك مع حكمهم عليهم بالضلال. رأي الخوارج: وقال الخوارج: بأجمعهم أن عليا كان مصيبا في أهل البصرة أهل الشام وانهم كانوا يقتاله ضلالا كفار مستحقين الخلود في عذاب النار وادعوا مع ذلك انه أخطأ بكفه عن قتال أهل الشام حين رفعوا المصاحف واحتالوا بذلك الكف عن قتاله وشهدوا على أنفسهم بالاثم لوفاقهم في ذلك الرأي وكفهم عن قتال البيعة إلا أنهم زعموا أنهم لما ندموا على ذلك وتابوا منه ودعوا إلى القتال خرخوا من عهدة الضلال ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الاسلام والايمان وان عليا لما لم يجبههم إلى القتال وأقام على الموادعة لمعاوية وأهل الشام كان مرتدا بذلك عن الاسلام خارجا من الدين وشبهتهم في هذا الباب مضمحلة لا يلتبس فسادها على أهل الاعتبار وذلك أن عليا (ع) انما كف عن قتال القوم لخذلان أصحابه في الحال، وتركهم النصرة له وكفهم عن القتال فاضطروه بذلك إلى الاجابة لما دعوه إليه من تحكيم الكتاب ولم يجز له قتالهم من بعد، لمكان العهد لهم في مدة الهدنة التي اضطر إليها وحظر الفساد، بنقض العهد في كل ملة وخاصة في ملة الاسلام. رأي الشيعة: واجتمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين ولكنهم لم

[٢٠]

يجرحهم بذلك عن حكم ملة الاسلام إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع مع اقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الاسلام وان كانوا بكفرهم خارجين عن الايمان مستحقين اللعنة والخلود والنار حسيبا قدمناه، وكل من قطع على ضلال محاربي أمير المؤمنين (ع) من المعتزلة فهو يحكم عليهم بالفسق واستحقاق الخلود في النار ولا يطلق عليهم الكفر ولا يحكم عليهم بالاكفار؛ والخوارج تكفر أهل البصرة وأهل الشام ويخرجونهم بكفرهم الذي اعتقدوه فيهم ووسموهم به عن ملة الاسلام ومنهم من يسمهم بالشرك ويزيد على حكمه فيهم بالاكفار فهذه جمل القول فيما اختلف فيه أهل القبلة، من احكام الفتنة بالبصرة والمقتولين بها ممن ذكرناه واحكام صفين والنهروان وقد تحريت القول بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهور عنهم عند العلماء وان كان بعضها قد انقرض معتقده، وحصل على فساد القول به الاجماع وبعضها له معتقد قيل لم ينقضوا إلى هذا الزمان وليس ينعقد على فساده إجماع وان كان في بطلانه أدلة واضحة لمن تأملها من ذوي الالباب وأنا بمشيئة الله

وعونه أذكر طرفا من الاحتجاج على كل فريق منهم خالف الحق وأثبت من الاخبار الواردة في صواب أمير المؤمنين (ع) وحقه في حروبه وأحكامه، مختصرا يغني عن الاطالة بما يتيسر به الكلام وأشفع ذلك بما يتلوه ويتصل به من ذكر أسباب الفتنة بالبصرة على ما ضمنت في ذلك بأول الكتاب. عصمة أمير المؤمنين عليه السلام: باب صواب أمير المؤمنين (ع) في حروبه كلها وحقه في جميع أقواله وأفعاله والتوفيق للمقر بأرايه وبطلان قول من خالف ذلك من

[٢١]

خصمائه وأعدائه فمن ذلك وضوح الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع) من الخطأ في الدين والزلل فيه والعصمة له من ذلك يتوصل إليها بضربين أحدهما الاعتبار والثاني الوثوق به من الاخبار فأما طريق الاعتبار الموصول إلى عصمته (ع) فهو الدليل على امامته وفرض طاعته على الانام إذ الامام لابد أن يكون معصوما كعصمة الانبياء بأدلة كثيرة قد أثبتناها في مواضع من كتبنا المعروفة في الامامة الاجوية عن المسائل الخاصة في هذا الباب فمن ذلك ان الائمة قدوة في الدين وان معنى الائتمام هو الاقتداء، وقد ثبت ان حقيقة الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به فيما فعل وقال من حيث كان حجة فيه دون الاتباع لقيام الأدلة على صواب ما فعل وقال بسوى ذلك من الاشياء إذ لو كان الاقتداء هو الاتباع للمقتدى به من جهة حجة سواه على ذلك كان كل وفاق لذي نحلة في قول أو فعل لا من جهة قوله وفعله بل لحجة سواه اقتداء به وإتتماما وذلك باطل لو فاقنا الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الباطل والضلال في بعض أقوالهم وأفعالهم ؛ من حيث قامت الأدلة على صواب ذلك فيهم لا من حيث ما رأوه وفعلوه وذلك باطل بلا ارتياب ولان أحد أسباب الحاجة إلى الائمة هو جواز الغلط على الرعية وارتفاع العصمة عنها لتكون من ورائها تسدد الغالط منها وتقومه عند الاعوجاج وتنبهه عند السهو منه والاعغال ويتولى إقامة الحد عليه فيما جناه، فلو لم تكن الائمة معصومون كما أثبتناه لشاركت الرعية فيما له إليها وكانت تحتاج إلى الائمة عليها ولا تستغني عن دعاء وساسة تكون من ورائها، وذلك باطل بالاجماع على أن الائمة أغنياء عن امام وغير ما ذكرناه من الأدلة على عصمتهم كثيرة وهي موجودة في أماكنها من كتبنا على بيان الوجوه واستقصائها وأنها تثبت عصمة الائمة (ع) حسيما وصفناه وأجمعت الامة على انه لو كان بعد النبي صلى الله عليه وآله امام على

[٢٢]

الفور تجب طاعته على الانام وجب القطع على أنه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب دون غيره ممن ادعيت له الامامة في تلك الحال للاجماع على أنه لم يكن لواحد ممن ذكروه العصمة التي أوجبناها بالنظر الصحيح لائمة الاسلام واجماعا الشيعة الامامية على علي (ع) كان مخصوصا بها من بين الانام إذ لو لم يكن الامر كذلك لخرج الحق عن اجماع أهل الصلاة وفسد ما في العقول من وجوب العصمة لائمة المسلمين بما ذكرناه وإذا تثبت عصمة علي (ع) من الخطأ ووجب مشاركته للرسول في معناه ومساواته فيها ثبت انه كان مصيبا في كل ما فعل وقال ووجب القطع على خطأ مخالفه وضلالهم في حيرة واستحقاقهم بذلك العقاب وهذا بين لمن تدبر والله الموفق للصواب. دليل آخر على إمامة علي عليه السلام فيما يدل على إمامته الموجبة بالحكم بعصمة علي ما قدمناه بثبوت الحاجة إلى الأدلة باتقان وفساد ثبوت الامامة من جهة الشورى والآراء وإذا فسد ذلك وجب النص على الائمة وفي وجوبه لثبوت

إمامة علي (ع) إذ الامر بين رجلين أحدهما يوجب الامامة بالنص ويقطع على إمامة علي به ومن جهته دون ما سواها من الجهات والاخرى يمنع من ذلك ويجوزها بالرأي وإذا فسد هذا الفريق لفساد ما ذهبوا إليه من عقد الامامة بالرأي ولم يصلح خروج الحق عن أئمة الاسلام ثبتت إمامته (ع)، التصديق في الصلاة؛ مما يدل على إمامته (ع) من نص القرآن قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة يؤتون الزكوة وهم راكعون (١)).

(١) سورة المائدة: ٥٥، والآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) - (*)

[٢٣]

وهذا الخطاب موجه إلى جماعة جعل الله لهم أولياء اضيفوا إليهم باذكر والله وليهم ورسوله ومن عبر عنه بأنه من الذين آمنوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وهم راكعون، يعني حال ركوعهم بدلالة انه لو أراد سبحانه بالخطاب جميع المكلفين لكان هو المضاف ومحال اضافة الشئ إلى نفسه وإنما يصح اضافته إلى غيره ؛ وإذا لم تكن طائفة تختص بكونها أولياء لغيرها وليس لذلك الغير مثل ما اختصت به في الولاء وتفرد من حملتهم من عناه الله تعالى بالايمان والزكوة حال ركوعه لم يبق إلا ما ذهبت إليه الشيعة في ولاية علي (ع) على الأمة من حيث الامامة له عليها وفرض الطاعة ولم يكن أحد يدعي له الزكوة في حال ركوعه الا علي (ع) وقد ثبتت امامته بذلك على الترتيب الذي رتبناه فصح انه مصيب في جميع أقواله وأفعاله وتخطئة مخالفه حسيما شرحناه حديث المنزلة: دليل آخر وهو أيضا ما أجمع عليه أهل القبلة ولم ينزع في صحة الخبر به من أهل العلم بالرواية والآثار من قول النبي صلى الله عليه وآله مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فأوجب له بذلك جميع ما كان لهرون من موسى في المنازل إلا ما استثناه من النبوة وفي ذلك أن الله تعالى قد فرض طاعته على أمة محمد كما كان فرض طاعة هرون على

- حين تصدق بخاتمته على السائل وهو راكع في الصلاة ولما شاهد الرسول الاعظم هذه المكرمة رفع طرفه إلى السماء وقال: ان أخي موسى سألك وقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري الآية فأنزلت عليه قرآنا: سنشد عضدك بأخيك، الآية، اللهم اني محمد نبيك وصفيك فاشرح اللهم صدري ويسر أمري وأجعل لي وزيرا من أهلي عليا أخي أشدد به ظهري ؛ فنزلت الآية، نص عليه السبط في تذكرة - (*)

[٢٤]

أمة موسى وجعله إماما لهم كما كان هرون إماما لقوم موسى وان هذه المنزلة واجبة له بعد مضي النبي كما كانت تجب لهرون لو بقي بعد أخيه موسى ولم يجز خروجه عنها بحال وفي ذلك ثبوت إمامة أمير المؤمنين والامامة تدل على عصمة صاحبها كما بيناه فيما سلف ووصفناه والعصمة تقضي فيمن وجبت له بالصواب بالاقوال والأفعال على أثبتناه فيما تقدم من الكلام وفي ذلك بيان صواب أمير المؤمنين في حروبه كلها وأفعاله بأجمعها وأقواله بأسرها وخطأ مخالفه وضلالهم عن هداه ولاهل الخلاف من المعتزلة والحشوية والخوارج أسئلة قد أجبتنا عنها في مواضعها من غير هذا الكتاب وأسقطنا شبهاتهم بدليل البرهان لم نوردنا ههنا لغنانا عن ذلك بثبوتها فيما سواه وإنما اقتصرنا على ذكر هذه الأدلة ووجهها وعدلتنا عن إيراد ما في معناها والمتفرع عليه عن اثبات رسم الحجاج في صواب علي

(ع) وفساد مذهب الناكثين فيه والايماء إلى أصول ذلك ليقف عليه من نظر في كتابنا هذا ويعلم العمدة بما فيه ويستوفى معانيه فان أحب ذلك يجده في مواضعه المختصة به لنا ولغيرنا من متكلمي عصابة الحق ولان الغرض في هذا الكتاب ما لا يفتقر إلى هذه الأدلة من براهين اصابة علي (ع) في حروبه وخطأ مخالفه ومجاريه وانا سنذكر فيما يلي هذا الفصل من الكلام وتوضيح الحجة فيه على اصول مخالفينا أيضا في طريق الامامة وثبوتها عندهم من جهة الآراء إنكارهم ما نذهب إليه من قصور طريقها

- الخواص ص ٩ والمحج الطبري في ذخائر العقبي ص ١٠٢ وفي الرياض النظرة (ج ٢ ص ٢٢٧) والرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٤٢١) وابن جرير الطبري في تفسيره (ج ٦ ص ١٦٥) والخازن في تفسيره (ج ١ ص ٤٩٦) ومثله البغوي في التفسير بهامشه إلى كثيرين ذكرهم العلامة الاميني في كتاب (الغدير) (ج ٢ ص ٤٨). (*)

[٢٥]

على النص كما قدمناه وبيناه عن الغرض فيه ووصفناه من الدليل على أن أمير المؤمنين (ع) كان مصيبا في حروبه كلها وان مخالفه في ذلك على ضلال، وهو ما تظاهرت به الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله (حريك يا علي حربي وسلمك يا علي سلمتي) وقوله يا علي (أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك) وهذان القولان مرويان من طريق العامة والخاصة، والمنتسبة من أصحاب الحديث إلى السنة المنتسبين منهم للشيعة، لم يعترض أحد من العلماء الطعن على سندهما ولا ادعى انسان من أهل المعرفة بالأثار كذب روايتهما ومن كان هذا سبيله وجب تسليمه والعمل به، إذ لو كان باطلا لما خلت الامة من عالم منها ينكره ويكذب روايته، ولا سلم من طعن فيه ولعرف سبب تخرضه وافتعاله وأقام دليل الله على بطلانه، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتهما حسبا بيناه. ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلي (ع): (تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) (١). وقوله لسهيل بن عمر ومن حضر معه لخطابه على رد من أسلم من مواليهم (لئن تهين يا معشر قريش لبيعث الله عليكم رجلا يضربكم على وتأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله) فقال له بعض أصحابه من هو يا رسول الله؟ هو فلان قال لا قال فلان؟ قال لا ولكنه خاف النعل في الحجره فنظروا فإذا به علي (ع) في الحجره يخصف نعل النبي، وقوله لعلي: (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) والقول في هذه الرواية كالاخبار التي تقدمت، قد سلمت من طاعن في سندها بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم لروايتها الفريقان فدل على صحتها. * (هامش) (١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣). (*)

[٣٦]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله: (علي مع الحق والحق مع علي) (١). وقوله صلى الله عليه وآله (اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار). (٢). وهذا أيضا خبر قد رواه محدثوا العامة وأثبتوه في الصحيح عندهم ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب ناقله وليس توجد حجة في العقل ولا السمع على فساده فوجب الاعتقاد بصحته وصوابه. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج معه إلى جمع السند له وهو أيضا مسلم عند نقلة الاخبار وقوله صلى الله عليه وآله: (قاتل الله

من قاتلك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند أهل الرواية معروف مذكور. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله من أذى عليا فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله (فحكم أن الأذى له أذى الله والأذى لله جل اسمه ضلال مخرج عن الإيمان. قال الله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا). وأمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار في معانيها الدالة على صواب علي (ع) وخطأ مخالفه كثيرة أن عملنا على إيراد جميعها طال به الكتاب وانتشر الخطاب، وفيما أثبتناه منه دليلا للحق منه كفاية في الغرض الذي نأمله انشاء الله. * (هامش) (١) تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١) ومستدرک الحاكم (ج ٣ ص ١١٩) والتلخيص للذهبي بهامشه. (٢) مستدرک الحاكم النيسابوري (ج ٣ ص ١٢٤). (*)

[٢٧]

نظرة في النصوص: (فصل وسؤال) فان قال قائل انكم ان كنتم قد اعتمدتم على هذه الاخبار في عصمة علي (ع) وهي احاد ليست من المتواترة الذي يمنع على قائلية الافتعال فما الفضل بينكم وبين خصومكم فيما يتعلقون به من أمثالها عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل فلان وفلان ومعاوية بن أبي سفيان ؟ (الجواب) قيل له: الاخبار التي يتعلق بها أهل الخلاف في دعوى فضائل من سميت على ضربين: أحدهما لا تنكر صحته وان خصومنا منفردين بنقله إذ ليس فينا مشارك لهم في شيء منه كما شاركنا الخصوم في نقل ما أثبتناه من فضائل علي (ع) إلا أنهم يغلطون في دعوى التفضيل لهم به على ما يتحيلون في معناه والآخر مقطوع بفساده عندنا بأدلة واضحة لا تخفى على أهل الاعتبار وليست مما تساوي أخبارنا التي قدمناها لقطعنا على بطلان ما يقروا به من ذلك طعنا في روايتها واستدلنا على فسادهما وأجمع مخالفونا على رواية ما رويناها مما قد بيناه وتسليمه وتخليدهم صحفهم كما ذكرناه وعدو لهم عن الطعن في شيء منه حسبا وصفناه وان كان هذا سبيله ليس يكون الامر فيه كذلك الا لاعتقاد القوم وتسخيرهم لنقله والتسليم لرواياته إذ كانت العادة جارية بأن كل شيء يتعلق به في حجاج مخالفه ونصرة مذهبه والمنفرد به دون خصمه وكان في الاقرار به شبهة على صحة مقالته المبين لمقال مخالفه، فانه لا يخلو من دافع له وجاحد وطاعن فيما يروم به ابطاله إلا أن لا تلزم الحجة في صوابه وأن يكون ملطوفا له في اعتقاده، أو مسخرا للاقرار به حجة الله تعالى في صحته ودليلا على ثبوته وبرهانا منه على نصرته والمحتج به وتبديل للحق فيه بلطف من لطائفه وإذا كان الامر في هذا الباب على ما بيناه وثبت تسليم

[٢٨]

الفريقين لاخبارنا مع اختلافهم في الاعتقاد على ما ذكرناه، وصح الاختلاف بيننا وبين خصومنا في الاحتجاج بالاخبار وبراهينها حسبا اعتمدنا سقط توهم المخالف لما يحيله من المساوات بين الامرين. إنكار الخوارج والاموية فضل علي: فان عارض الخوارج وقالوا هم يدفعون ما أتيموه من الاخبار الدالة على عصمته وذكروا الاموية، وما يعرف من ضلالهم وظاهر أمرهم في جحد ما رويناها قلنا حكمهم في جحد أخبارنا كحكمهم في جحد أخباركم سواء وإلا فما الفضل بين الامرين فانه يقال لهم الفضل بيننا وبين من عارضتم به من الخوارج في دفع النقل ظاهر لذوي الاعتبار وذلك ان الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية ولا يعرفون حفظ الآثار ولا الاعتماد على الاخبار لاكفارهم الامة جميعا واتهام كل فريق منهم فيما يروونه واعتمادهم

لذلك على ظاهر القرآن وانكارهم ما خرج عنه القرآن من جميع الفرائض والاحكام ومن كان هذا طريقة دينه وسبيله في اعتقاده ومذهبه في النقل والخبار ولم يعتقد بخلافه فيها على حال. فاما الاموية والعثمانية فسبب جحودهم لفضائل علي (ع) معروف وهو الحرص لدولتهم والعصية لملوكهم وجبايرتهم وهم كالخوارج في سقوط الاعتراض بهم فيما طريقه النقل لبعدهم عن عمله وتأنيهم عن فهمه واطراحهم للعمل به وقد انقضوا مع ذلك بحمد الله ومنه حتى لم يبق منهم أحد ينسب إلى فضل علي ولا منهم من يذكر في جملة العلماء بخلافه في شئ من الاحكام فسقط الاعتراض بهم كسقوط الاعتراض بالمارقة فيما تعتمد فيه من الاخبار مع أن الخوارج متى تعاطت الطعن في أخبارنا التي أثبتناها في الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع) فإنما

[٢٩]

يقطعو بها بالطعن روايتها في دينها المخالف كما تدين به من اكفار علي (ع) وعثمان وطلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر ومن تولى واحدا منهم واعتقد انه من الاسلام وذلك طعن يعم جميع نقلة الدين من الملة فسقط لذلك قدحهم في الاخبار وليس كذلك طعوننا في نقل ما تفردت به الناصبة في الحديث لانا لا نطعن في رواية إلا لكذبهم فيه وقيام الحجة على بطلان معانيه دون الطعن في عقايدهم وان كانت عندنا فاسدة فوضح الفرق بيننا وبين من عارضنا في الخصومة برأيه في الاخبار على ما شرحناه. جواز قتل الناكثين: باب آخر الكلام في صواب أمير المؤمنين وحروبه وخطأ مخالفه ضلالهم عن الحق في الشك فيه: قد بينا أن الحكم على محاربي أمير المؤمنين (ع) باضلال والقضاء له في حربهم بالصواب إذا بنى القول فيه على امامته المنصوصة وعصمته الواجبة له بما قدمناه ثبت القطع على حقيقة كل ما فعل وقال وإذا صحت الاخبار اثبتناها فيما قبل هذا المكان ومضمونها من حكم النبي صلى الله عليه وآله على محاربيه بالفسق المخرج عن الايمان لم يكن طريق إلى الشك في صوابه وخطأ مخالفه على ما بيناه وفيما أسلفناه في ذلك مقنع لذوي الالباب وغنى لهم في الحجة على خصومهم فيما سواه ونحن نبين القول فيه أيضا بعد الذي تقدم في معناه على مذاهب خصومنا في الأئمة وثبوت البعيد لهم من ذوي الرأي حسب اختلافهم في عدديتهم به العقد واجتماعهم على ما اتفقوا عليه في هذا الباب ليعلم الناظر في كتابنا هذا قوة الحق وتمكن ناصر به من الاحتجاج له والله الموفق للصواب.

[٤٠]

البيعة لامير المؤمنين بعد عثمان: (فصل) قد ثبت بتواتر الاخبار ومتظاهر الحديث والآثار أن أمير المؤمنين (ع) كان منزلا للفتنة بقتل عثمان وانه بعد عن منزله في المدينة (١) لئن لا تتطرق عليه الظنون برغبته في البيعة بالامر على الناس وان الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه ويحثوا عن مكانه حتى وجدوه فصاروا إليه وسألوه القيام بأمر الأمة وشكوا إليه ما يخافونه من فساد الأمة فكره اجابتهم إلى ذلك على الفور والبدأ لعلمه بعاقبة الامور وإقدام القوم على الخلاف عليه والمظاهرة له بالعداوة له والشنئان فلم يمنعهم بأوه من الاجابة عن الالاحاح فيما دعوه إليه ذكره بالله عزوجل وقالوا له انه لا يصلح لامامة المسلمين سواك ولا نجد أحدا يقوم بهذا الامر غيرك فاتق الله في الدين وكافة المسلمين فامتحنهم عند ذلك بذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاهما بيده على الايثار وإماما لهم إلى مبايعة أحد الرجلين، وضمن النصر لهما متى أرادوا اصلاح الدين

وحياطة الاسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عاداه
وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا إليه راغبين في بيعته منتظرين للرضا
بتقدمه عليهما وإمامته عليهما فامتنع فألحا عليه في قبول بيعتهما
له، واتفقت الجماعة كلها على الرضا به وترك العدول عنه إلى سواه،
وقالوا أن تجينا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الامر وقبول البيعة وإلا
انفتق الاسلام

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ ص ١٥٤) حصر عثمان وعلي بخبير وفي شرح النهج لابن
أبي الحديد (ج ٢ ص ٤٠٠) كتب عثمان إلى علي فان كنت مأكولا فكن خير أكل وإلا
فأدركني ولما امزق وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٨) مثله. (*)

[٤١]

ما لا يمكن رتقه وانصدع في الدين ما لا يستطاع شعبه فلما سمع
ذلك منهم بعد الذي ذكرناه من الابعاء عليهم والامتناع لتأكيد الحجّة
لنفسه بسط يده لبيعتهم فتداكوا عليه تذاك الابل على حياضها يوم
ورودها حتى شقوا أعطافه ووطؤا ابنيه الحسن والحسين بأرجلهم
لشدة ازدحامهم عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على
يده رغبة بتقديمه على كافتهم وتوليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه
معدلا ولا يخطر ببالهم سواه لهم مؤثلا فتمت بيعة المهاجرين
والبدرين والانصار العقبيين المجاهدين في الدين والسابقين إلى
الاسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع النبي صلى الله عليه
وأله من الخيرة البررة الصالحين ولم تكن بيعته (ع) مقصورة على
واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوها في العدد كما كانت بيعة أبي بكر
مقصورة عن بعض أصحابه على بشر بن سعد فتمت بها عنده ثم
اتبعه عليها من تابعه عليها من الناس وقال بعضهم بل تمت ببشر
بن سعد وعمر ابن الخطاب وقال بعضهم بل تمت بالرجلين المذكورين
وأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة واعتمدوا ذلك في
أن البيعة لانتم بأقل من أربعة نفر من المسلمين، وقال بعضهم بل
تمت بخمسة نفر: فيس ابن سعد واسيد بن خضير من الانصار وعمر
وأبو عبيدة وسالم من المهاجرين ثم تابعهم الناس بعدها بالخمسة
المذكورين ومن ذهب إلى هذا المذهب الجبائي وأبيه والبقية من
أصحابهما في هذا الزمان. وقالوا في بيعة عمر بن الخطاب مثل ذلك
فزعم من يذهب الا أن البيعة تتم بواحد من الناس وهم جماعة من
المتكلمين منهم الخياط والبلخي وابن مجالد ومن ذهب مذهبهم من
أصحاب الاختيار أن الامامة تمت لعمر بأبي بكر وحده وعقد له إياها
دون من سواه. وكذلك قالوا في عثمان بن عفان والعقد له انه تم
بعبد الرحمن بن عوف خاصة وخالفهم على ذلك من أضاف إلى
المذكورين غيرهما في العقد

[٤٢]

وزعم أن بيعة عمر انفردت من الاختيار له عن الامام وعثمان انما تم
له الامر ببيعة بقية أهل الشورى وهم خمسة نفر، أحدهم عبد
الرحمن فاعترفت الجماعة من مخالفينا بما هو حجة عليهم في
الخلاف على أئمتهم وبشذوذ العقادين لهم وانحصار عددهم بمن
ذكرناه. وثبتت البيعة لأمير المؤمنين (ع) باجماع من حوته مدينة
الرسول من المهاجرين والانصار وأهل بيعة الرضوان ومن انضاف إليهم
من أهل مصر والعراق في تلك الحال من الصحابة والتابعين باحسان
ولم يدع أحد من الناس انه تمت له بواحد مذكور ولا انسان مشهور
ولا بعدد يحصى محصور فيقال تمت بيعته بفلان واحد وفلان وفلان

كما قيل في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان. وإذا ثبت بالاجماع من وجوه المسلمين وأفاضل المؤمنين والأنصار والمهاجرين على إمامة أمير المؤمنين (ع) والبيعة له على الطوع والإيثار وكان العقد على الوجه الذي ثبت به إمامة الثلاثة قبله عند الخصوم بالاختيار وعلى أوكده منه بما ذكرناه في الرغبة إليه في ذلك والاجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان حسيما بيناه ثبت فرض طاعته وحرمة على كل أحد من الخلق التعرض لخلافه ومعصيته ووضح الحق في الحكم على مخالفه ومجاريه بالضلال عن هدايته والقضاء بباطل مخالفة أمره وفسقهم بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره في محكم كتابه حيث يقول: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقرن طاعة الأئمة بطاعته وذل على أن المعصية لهم كمعصيته على حد سواء في حكمه وقضيته وأجمع أهل القبلة مع عن ذكرناه على فسق مجاريي أئمة العدل وفجورهم بما يرتكبونه من حكم السمع والعقل وإذا لم يكن أمير المؤمنين (ع) أحدث بعد البيعة العامة له يخرج عن العدالة

[٤٣]

ولا كان قبلها على الظاهر بخيانة في الدين ولا خرج عن الامامة كان المارق عن طاعته ضالا فكيف إذا أضاف له بذلك حربا واستحلالا لدمه ودماء المسلمين معه ويبغي بذلك في الأرض فسادا يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب، المذكور في نص من قوله تعالى: (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (١). هذا بين أن لم يجب الهوى ويبعد عن فهمه العمى والله نسأل التوفيق. تأخر سعد وإسامة عن حرب البصرة: (فصل وسؤال) فان قال قائل كيف تتم لكم دعوى الاجماع على بيعة أمير المؤمنين (ع) وقد علمتم ان الاخبار قد ثبتت بتخلف سعد بن

(١) ذكر أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ في (أحكام القرآن) ج ٢ - ص ٢٢٤ أن عليا (ع) كان إماما لانهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لانه كان أحق الناس بالبيعة فقبلها حوطة على الامة وان لا تسفك دماءها بالتهارج ويتخرف الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الاسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتل عثمان فقال لهم علي (ع) ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه وكان علي (ع) أسدهم رأيا وأصوب قولا لانه لو تعاطى القود لتعصبت لهم قبائلهم فتكون حربا ثالثة فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الامة انه يجوز للامام تأخير الفصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة. وحينئذ فكل من خرج على علي (ع) باغ وقتال الباغي واجب حتى يفنى إلى الحق وينقاد إلى الصلح وأن قتاله لاهل الشام الذين - (*)

[٤٤]

أبي وقاص، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، وإسامة بن زيد ؛ ومحمد بن مسلمة ؛ ومظاهرتهم له بالخلاف فيما راقبه بالقتال. (الجواب): قيل له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين (ع) إلى البصرة فمشهور ورأيهم في القعود عن القتال معه ظاهر معروف وليس ذلك بمناف لبيعتهم له على الإيثار ولا مضاد للتسليم لامامته على الاختيار والذي ادعى عليه الامتناع في البيعة وأشكل عليه الأمر فظن انهم لو تأخروا عن نصرته كان ذلك منهم لامتناعهم عن بيعته، وليس الأمر كما توهموا إلا أنه قد يعرض للانسان شك فيما يتيقن سلطانه في صوابه، ولا يرى لسلطان حمله على ما هو شك

فيه لضرب من الرأي يقتضيه الحال في صواب التدبير وقد يعتقد الانسان أيضا صواب غيره في شئ يحمله الهوى على خلافه فيظهر فيما صار إليه من ذلك شبهة تعذره عند كثير من الناس فعالة وليس كل من اعتقد طاعة إمامه كان مضطرا إلى وفاقه بل قد يجمع الاعتقاد لحق الرئيس

أبوا الدخول في البيعة وأهل الجمل والنهروان الذين خلعوا بيعته حق وكان حق الجميع أن يصلوا إليه ويجلسوا بين يديه ويطلبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله). ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له فقال سعد رادا عليه لقد ندمت على تأخري عن قتال الفئة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه اه. وفي أحكام القرآن للخصاص المتوفى سنة ٣٧٠ (ج ٣ ص ٤٩٢) أن عليا كان محقا في قتاله الفئة الباغية لم يخالف فيه أحد. وفي (روح المعاني) للالوسي (ج ٢٦ - ص ١٥١) عن الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر انه قال ما وجدت في نفسي من شئ - (*)

[٤٥]

المقدم في الدين مع العصيان له في بعض أوامره ونواهيه ولولا أن ذلك كذلك لما عصى الله من يعرفه ولا خالف نبيه صلى الله عليه وآله ممن يؤمن به وليس هذا من مذاهب خصومك في الامامة فتوضح عنه بما يكسر شبهة مدعيه على أن الاخبار قد وردت باذعان القوم بالبيعة مع اقامتهم على ترك المساعدة والنصرة وما تضمنت ذكر أعذار لهم زعموها في ذلك وجاءت بما كان من أمير المؤمنين فيما أظهره وإنكاره له بحسب ما اقتضته الحال في مثله من الخطأ فيما ارتكبه. فروى أبو مخنف لوط بمن يحيي الأزدي في كتابه الذي صنفه في حرب البصرة عن أصحابه، وروى غيره من أمثاله الرواة للسيرة عن سلفهم أصحاب أمير المؤمنين (ع) لما هم بالمسير إلى البصرة بلغه عن سعد بن أبي وقاص وابن مسلمة واسامة بن زيد وابن عمر تناقلهم عنه فبعث إليهم فلما حضروا قال لهم قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا لا أكرهكم على المسير معي على بيعتي: قالوا بلى، قال فما الذي يقعدكم عن صحبتي؟ فقال له سعد إنني أكره الخروج في هذا الحرب فاصيب مؤمنا فان أعطيتني سيفا يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك. وقال له اسامة أنت أعز الخلق علي ولكنني عاهدت الله أن لا اقاتل أهل لا إله إلا الله، وكان اسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله إلى رجل في الحرب من المشركين فخافه الرجل فقال لا إله إلا الله فشجره

- ما وجدت في نفسي من هذه الآية وهي قوله تعالى: فقاتلوا التي تبغي الخ) حيث انى لم اقاتل الفئة الباغية يعني معاوية ومن معه من البايعين على علي (ع) اه. ولم يتعقبه الالوسي بشئ، ثم ذكر الالوسي عن بعض الحنابلة التصريح بوجود قتال البايعين احتجاجا بأن عليا (ع) اشتغل في زمان خلافته بقتال البايعين دون الجهاد فهو إذا أفضل من الجهاد. (*)

[٤٦]

بالرمح فقتله فبلغ النبي صلى الله عليه وآله خبره فقال يا اسامة أقتلت رجلا يشهد ان لا إله إلا الله؟ فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذا، فقال له ألا شفقت عن قتله فرعم اسامة أن النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يقاتل بالسيف من قاتل المشركين فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسفه الحجر فكسره. وقال عبد الله بن عمر لست أعرف في هذه الحرب شيئا أسألك أن لا تحملني على ما لا أعرف. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام ليس كل مفتون معاتب الستم

على بيعتي قالوا بلى قال انصرفوا فسيغيبني الله عنكم فاعترفوا له (ع) بالبيعة وأقاموا في تأخرهم عند عذرا لم يقبله منهم وأخبر أنهم بتركهم الجهاد مفتنون ولم ير الإنكار عليهم في الحال بأكثر مما أبداه من ذكر المهم عن الصواب في خلافته والشهادة بفتنتهم بترك وفاقهم له. ولأن الدلائل الظاهرة على حقه (ع) تغني عن محاججتهم بالكلام ومعرفته بباطن أمرهم الذي أظهرها خلافه في الاعتذار يسقط عن فرض التنبيه الذي يحتاج إليه أهل الرقدة عن البيان وقد قال الله عز وجل في تأكيد ما ذكرناه وحجة على ما وصفناه (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. وقد ذكر بعض العلماء ان الأسباب في تأخر القوم عن نصرة أمير المؤمنين (ع) بعد البيعة له معروفة وإن الذي أظهره من الاعتذار في خلافه خداع منهم وتمويه وستر علي أنفسهم ما استبتنوه منه خوفا من الفضيحة فيه، فقال أما سعد بن مالك فسبب قعوده عن نصرة أمير المؤمنين (ع) الحسد له والطمع كان منه في مقامه الذي يرجوه فلما خاب من أملة حملة الحسد على خذلانه والمباينة له في الرأي قال والذي أفسد سعدا طمعه فيما ليس له بأهل وجرأة على مسامات أمير المؤمنين بإدخال عمر بن الخطاب إياه في الشورى وتأهيله إياه للخلافة وإيهامه

[٤٧]

لذلك انه محل الامامة فقدم عليه وأفسد حاله في الدنيا والدين حتى خرج منها صفرا مما كان يرتجيه. وأما اسامة بن زيد فان النبي صلى الله عليه وآله كان ولاه في مرضه الذي توفي فيه على أبي بكر وعمر وعثمان فلما مضى رسول الله سبيله انصرف القوم عن معسكره وخذعوه بتسميته مدة حياتهم له بالامرة مع تقدمهم عليه في الخلافة وصانعوه بذلك مما خالفوه فيه من السمع له والسير معه والطاعة واغتر بخداعهم وقبل منهم مصانعتهم وكان يعلم ان أمير المؤمنين لا يسمح له بالخداع ولا يصانعه مصانعة القوم ويحذر من التسمية التي جعلوها له ولا يرفعه عن منزلته ويسير به سيرته في عبيده وموالي نعمته إذ كان ولائه له بالتعق الذي كان من انزاعه النبي صلى الله عليه وآله لآبيه بعد استرقاقه فصار كذلك بعد النبي صلى الله عليه وآله غير انه منه في الولاء فكره الانحطاط عن رتبته التي رتبها القوم فيه ولم يجد إلى التخلص من ذلك إلا بكفر النعمة والمباينة لسيدة والخلاف لمولاه فحمل نفسه على ذلك لما ذكرناه. وأما محمد بن مسلمة فانه كان صديق عثمان بن عفان وخاصته وبطانته فحملته المعصية له على معاونة الطالبين بثاره وكره أن يتظاهر في الكون في حيز المحاربين فهم المباينين طريقهم ولم ير بمقتضى الحال معاونة أعدائهم ولا سمحت نفسه بذلك فأظهر من العذر بتأخره عن نصرة أمير المؤمنين بخلاف باطنه منه مما كره وسترا لقبح سريرته. وأما عبد الله بن عمر فانه كان ضعيف العقل كثير الجهل ماقتا لأمير المؤمنين (ع) وراثة الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة والعداوة وكان أمير المؤمنين (ع) مع ذلك قد شجاه بهدر دم أخيه عبيد الله لقتله الهرمزان وأجلاه عن المدينة وشرده في البلاد لا يأمن على نفسه من الظفر به فيسقط قودا فلم تسمح نفسه بطاعة أمير المؤمنين (ع) ولا

[٤٨]

أمكنه المقت من الانقياد له لنصرته وتجاهل ما أبداه من الحيرة في قتال البغاة والشك في لمس ذلك وحجته. روى هذا الكلام بعينه عن أمير المؤمنين في أسباب تأخر القوم عنه فان صحت الرواية بذلك فهو أوكد بحجته وإن لم تثبت كفى في برهانه أن قائله ليس من

أهل العلم له صحة فكر وصفاء فطنة. على أنا لو سلمنا لخصومنا ما ادعوه من امتناع سعد وابن مسلمة وإسامة وابن عمر من بيعة أمير المؤمنين وكراحتهم لها باعتزالهم إياها وأضفنا إليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهر عليه بالعداوة كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ومروان بن الحكم بن أبي العاص و عبد الله بن الزبير وولد عثمان بن عفان وجماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار بني أمية المعروفين بمقت بني هاشم وعداوتهم والمباينة لهم في الجاهلية والاسلام بالخلاف لما قدح فيما اعتمدنا من دليل إمامته (ع) الذي بينا القول فيه على مذاهب الخصوم من الحشوية والمرجئة والخوارج وأهل الاعتزال وقاعدتهم في ثبوت البيعة بالاختيار من أهل الرأي إذ كنا لم نعتد في ذلك على اجماع كافة أهل الاسلام وانما اعتمدنا ما ثبت به العقل على امور القوم في بيعة أهل الفضل منهم والاجتهاد واستظهرنا في التأكيد لذلك بذكر اجماع المهاجرين الاولين وعبود الانصار وفضلاء المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ والتابعين بأحسان والخيرة الصالحين من أهل الحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد والذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ بأجمعهم سوى من يعتصم بخلافة الخصوم محصور عددهم لقتلهم رضوا بامامة أمير المؤمنين (ع) ورغبوا في تولي الامر وسألوه ورأوا أن لا يستحق له سواه وتابعوه على الطوع منهم والإيثار وبذلوا نفوسهم من بعد البيعة معه في جهاد أعدائه واعتقدوا أن التأخر عن طاعته في قتال أعدائه ضلال موبق وفسق مخرج عن

[٤٩]

الايمان والبيعة عند مخالفينا تتم ببعض من ذكرناه إذ كانوا خمسة نفر على قول فريق منهم أو أربعة على قول آخرين أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد حسبما ذكرناه فكيف يحل مع ذلك بدلينا الذي ذكرناه في إمامته (ع) خلاف النفر الذين تعلق بذكرهم في القعود عن القتال ممن تعلق أو بما ظهر بعد البيعة من خلاف مرتكبها. ومباينة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بعد الذي كان من مراسلتهم أمير المؤمنين (ع) بالبيعة والطاعة بشرط أقرارهما على ما ولاهما عليه عثمان من الاعمال فلما أبى ذلك خوفا من الله تعالى ظاهروا عليه بالخلاف وان خصومنا جهال أعمار لا معرفة لهم بوجه النظر ولا علم لهم بالاخبار. ونحن نذكر الآن جملة من بايع أمير المؤمنين (ع) الراضين بامامته الباذلين لانفسهم في طاعته بعد الذي أجملناه من الخبر عنهم ممن يعترف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيق ما وصفناه عن عنايتهم في الدين وتقدمهم في الاسلام ومكانهم من نبي الهدى وان الواحد منهم لو ولى العقد لامام لانعقد الامر به خاصة عند خصومنا فضلا عن جماعتهم وعلى مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت الامامة بالاختيار وآراء الرجال وتضمحل بذلك عنده شبهات الاموية فيما راموه من القدح في دليلنا بما ذكروه من خلاف من سموه حسبما قدمنا ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارتياب ودان بامامته على الاجماع والاتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحرير لخلافه ومعصيته والحاضرون معه في حرب البصرة الف وخمسائة رجل من وجوه المهاجرين الاولين والسابقين إلى الاسلام والانصار البدرين العقبيين وأهل بيعة الرضوان من حملتهم سبعائه من المهاجرين وثمانمائة من الانصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين بأحسان على ما جاء به الثبوت من الاخبار.

[٥٠]

بيعة المهاجرين: فمن جملة المهاجرين عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبه أخص الاصحاب كان به والثقة قبل البعثة وبعدها وأنصر الناس له وأشدهم اجتهادا في طاعته المعذب في الله أبوه وامه في أول الاسلام الذي لم يكن لاحد من الصحابة في المحنة ما كان له ولا نال أحد منهم في الدين من المكروه والصبر على الاسلام كما ناله، لم تأخذه في الله لومة لائم، مقيم مع شدة البلاء على الايمان الذي اختص من رسول الله بمدح لم يسبقه فيها سواه من الصحابة كلها، مع شهادته له بالجنة مع القطع والبيان لانذاره من قتله والتبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه أهل النقل من حملة الآثار فمن ذلك قول رسول الله (ص) ان الجنة لتشتاق إلى عمار فانها إليه أشوق منه إليها، وقوله بشر قاتل عمار وساليه بالنار، وقوله صلى الله عليه وآله عمار جلدة بين عيني وأنغي، وقوله لا تؤذوني في عمار، وقوله عمار ملا إيماننا وعلمنا، في أمثال ذلك من المدايح والتعظيمات التي اختص بها على ما ذكرناه. ثم الحصين بن الحرث بن عبد المطلب والطفيل بن الحرث المهاجران البدرين ومسطح بن أثاثة وحجار بن سعد الغفاري و عبد الرحمن بن حميل الجمحي و عبد الله ومحمد ابنا بديل الخزاعي والحرث بن عوف وأبو عابد الليثي والبراء بن عازب وزيد بن صوحان ويزيد بن نويرة الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة وهاشم بن عتبة المرقال وبريدة الاسلمي وعمرو بن الحمق الخزاعي وهجرته إلى الله ورسوله معروفة ومكانه منه مشهور ومدحه له مذكور والحرث بن سراق وأبو اسيد ابن ربيعة ومسعود بن أبي عمر و عبد الله بن عقيل وعمر بن محصن وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومن في عدادهم ممن أدرك عصر النبي

[٥١]

كحجر بن عدي الكندي وشداد بن أوس في نظرائهما من الاصحاب وامثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم في التقى ومراتبهم في الدين ممن يطول تعداد ذكره والكلام فيه. بيعة الانصار: ومن الانصار أبو أيوب وخالد بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وأبو سعيد الخدري وعبادة ابن الصامت وسهل وعثمان ابنا حنيف وأبو عباس الزرقى فارس رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وزيد بن أرقم وسعد وقيس ابنا سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله بن حزام ومسعود بن أسلم وعامر ابن أجبل وسهل بن سعيد والنعمان بن حجلان وسعد بن زياد ورفاعة ابن سعد ومخلد وخالد ابني أبي خلف وضرار بن الصامت ومسعود بن قيس وعمر بن بلال وعمار بن اوس ومرة الساعدي ورفاعة بن مالك الزرقى وجيلة بن عمرو الساعدي وعمر بن حزم وسهل بن سعد الساعدي في أمثالهم من الانصار الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبيلين واختصوا من مدايح القرآن والثناء عليهم من نبي الهدى عليه وآله السلام مما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان وممن لو أثبتنا أسماءهم لطال بها الكتاب ولم يحتمل استيفاء العدد الذي حددناه. بيعة الهاشميين: ومن بني هاشم أهل بيت النبوة ومعادن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة الحسن والحسين سبطا الرحمة وسيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام ومحمد بن الحنفية و عبد الله بن جعفر ومحمد وعون ابنا جعفر الطيار و عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله

[٥٢]

والفضل وقتم وعبيد الله بنو العباس و عبد الله بن أبي لهب و عبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب و عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن

عبد المطلب وكافة بني هاشم وبني عبد المطلب. بيعة باقي الشيعة: ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم وأهل الفضل في الدين والايامن والعلم والفقه والقرآن المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد والتمسك بحقائق الايمان: محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين وحببيه ومحمد بن أبي حذيفة ووليه وخاصته المستشهد في طاعته ومالك ابن الحرث الاشتهر النخعي سيفه، المخلص في ولايته وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد وضعفة بن صوحان العبدى وعمر بن زاررة النخعي و عبد الله بن أرقم وزيد بن الملق وسليمان بن صرد الخزاعي وقبيصة وجابر و عبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي و عبد الرحمن بن عديس السلولى واويس القرنى وهند الجملي وحنوب الازدي والاشعث ابن سوار وحكيم بن جبلة ورشيد الهجري ومعقل بن قيس بن حنظلة وسويد بن الحارث وسعد بن مبشر و عبد الله بن وال ومالك ابن ضمرة والحارث الهمداني وحية بن جوية العرنى ممن كانوا بالمدينة عند قتل عثمان وأطبقوا على الرضا بأمير المؤمنين (ع) فبايعوه على حرب من حارب وسلم من سالم وأن لا يولوا في نصرته الاذيار وحضروا مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته وبقي المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين (ع) لسبيله وكان من بقى منهم بعده على ولايته والاعتقاد بفضله على الكافة بامامته وإذا كان الامر في بيعته حسب ما ذكرناه واجماع من سميانه ونعتناه على الرضا به والطاعة له والاعتقاد كما وصفناه بطل اعتراض المتعرض في

[٥٣]

ثبوت إمامته بتأخر من سميانه من البيعة وتفردهم عن الحرب معه ووضح حصر عددهم وقلت ان الاجماع كان من كافة أهل الهجرة عليه إذ لو كان هناك سوى نفر المعدودين في خلاف أمير المؤمنين (ع) لشركهم في الرأي وذكرهم الناس في جملتهم وأحوصهم في عددهم وألحقهم بهم فيما انفردوا به من جماعتهم ولم يكن لغيرهم ذكر في ذلك فصح ما حكيناه من اتفاق المهاجرين والانصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان والتابعين باحسان على إمامته كما قدمناه فيما سلف وذكرناه والمنة لله. الاجبار في البيعة: فان قال قائل قد وجدتم فيما احتججتم به على مخالفكم في إمامة علي (ع) وثبوتها الموجب لزلزال مخالفيه وخروجهم بحربه عن الايمان عقد الصحابة على الاختيار ورغبتهم إليه في تولي امورهم ومسائلته في ذلك وإباؤه له حتى اجتمع المسلمون والالاح ممن بايعه طوعا من المهاجرين والانصار وقد جاءت الاخبار بصد ذلك وانه كان قاهرا للامة مجبرا لها على البيعة مكرها في ذلك الناس. فروى الواقي عن هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن تغلبه كيف كانت بيعة علي عليه السلام قال رأيت بيعة رأسها الاشتهر يقول من لم يبايع ضربت عنقه وحكيم بن جبلة وذووهما ما ظنك بما يكون أجبر فيه جبرا ثم قال أشهد لرأيت الناس يحشرون بيعته فيتفرقون فيؤتى بهم فيضربون ويعسفون فبايع من بايع وانفلت من انفلت، وروى أيضا عن سعيد بن المسيب قال لقيت سعد بن زيد بن نفيل فقلت بايعت ؟ فقال ما أصنع إن لم أفعل قتلني الاشتهر وذووه قال وقد عرف الناس من طلحة والزبير كانا يقولان بايعناه مكرهين، وروى عنهما انهما قالا بايعناه بأبدينا ولم تبايعه قلوبنا، والخبر مشهور عن طلحة بن عبد الله

[٥٤]

إنه كان يقول بايعت مع علي وإلا رقتي، قالوا وإذا كان البيعة لعلي بقهر وإصرار وإكراه الناس وإجبار لم تثبت إمامته ولم يثبت نظيرها في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان، الجواب: فيقال للمعتز لما حكيناه، لسائل عما ذكرناه، فاما الواقدي فعثماني المذهب بالميل عن علي أمير المؤمنين (ع) والذي روي عنه ما رواه من إكراه الناس علي البيعة لأمير المؤمنين (ع) والتخرض عليه باضافة الاباطيل إليه وقد ثبت ان شهادة المشاجر مردودة بالاجماع وحديث الخصم فيما قدح به عدالة خصمه مطروح بالاتفاق وقول المتهم الظنين غير مقبول بلا اختلاف فلا حجة في الحديث المذكور عن ابن تغلبه. ولو سلم من جميع ما وصفناه من الطعن فيه إذا كان فانه خبر واحد يصاد التواتر الوارد بخلاف معناه فكيف وهو من الوهن عل ما بيناه. وأما خبر ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن نغيل فقد صرح فيه بأقرار سعيد بالبيعة ودعواهم انه بايع خوفا من الاشتهر باطلة إذا كان ظاهره بخلاف ما ادعاه فيه وليس كل من خاف شيئا فقد وقع خوفه موقعه بل أكثر من يخاف متوهم للبعد ظان للباطل متخيل للفاسد ولم يذكر سعيد شيئا من إمارات خوفه فيكون له حجة فيما ادعاه ولم يقل أحد ان الاشتهر ولا غيره من شيعة أمير المؤمنين (ع) كلموا ممتنعا من بيعته في الحال ولا ضربوا أحدا منهم بالسوط ولا نهروه فضلا عن القتل وضرب الرقاب فكيف يخاف سعيد من الاشتهر مع ما ذكرناه وأنى يكون لخوفه وجه صحيح على ما نقلناه وهذا يدل على كذب الواقدي فيما أضافه إلى سعيد بن زيد من الخوف وأخبر عنه أو على تمويه سعيد فيما ادعاه. وأما قول طلحة والزبير إنهما بايعا مكرهين فالكلام فيه كالكلام

[٥٥]

على ابن المسيب عن سعيد والتهمة لهما في ذلك أوكد لانهما جعلتا ذلك عذرا في نكتهما البيعة والخروج عن الطاعة وطلب الرياسة والامرة فلم يجدا إلى ذلك سبيلا مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع بلا إجبار إلا بدعوى الاكراه والاحالة في ذلك على الضمائر والبواطن التي لا يعلمها إلا الله وقد ثبت في حكم الاسلام الاخذ لهما بمقتضى الاقرار منهما في البيعة والقضاء عليها بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه والخلاف عليهما لامامهما الذي اعترفا ببيعتهم له وصفقا له بأيديهما على يده بالعقد له على ظاهر الرضا والايثار وسقوط دعواهما للباطن المضاد للحكم الظاهر من ذلك وما زعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما ادعياه. مع أن ظهور مشاحتهما لأمير المؤمنين (ع) ومظاهرتهم له بالعداوة وبلوغهما في ذلك الغاية من ضرب الرقاب وسفك الدماء يبطل دعواهما على ما يقدر في عدالته ويؤثر في إمامته ويمنعه حقا له على كل حال. على أنه لو ثبت الاكراه في البيعة لأمير المؤمنين لمن ادعى المخالفون إكراهه لم يقدر ذلك في إمامته (ع) على أن اصول شيعته الداينين بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله تقتضي ذلك لان الامام المنصوص عليه المفترض طاعته على الانام أن يكره من أبي طاعته ونصرتة بالسوط والسيف على ذلك حتى يفتئ إلى أمر الله والانقياد له ويزول بذلك ما يحذر من فسادهم وفتنهم ولا يؤثر أيضا في إمامته على مذهب المخالفين القائلين بالاختيار لانه إذا بايع عندهم من أهل الفضل عدد محصور ثبت له العقد ووجب له الطاعة وكان له إكراه من أبي البيعة ورام الخلاف والعصيان وأعمال السوط والسيف في ردعه عن ذلك وإكراهه على الطاعة والدخول مع الجماعة ومعلوم ان أمير المؤمنين قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه في حروبه وبذل دمه في نصرته من المهاجرين البدرين والانصار العقبيين وأهل

بيعة الرضوان، والتابعين باحسان ممن أثبتنا أسماء بعضهم فيما سبق هذا الفصل في الكتاب فيبطل ما تعلق به الخصم من دعوى الإكراه لمن سموه والخبر في ذلك على ما ادعوه والاعتماد على أخبار شواذ به يبطله الظاهر والمنتشر في خلافهما من الأخبار. إنكار جماعة بيعة أبي بكر: على أنه يقال للخصم إن كان الخبر باكراه قوم على بيعة أمير المؤمنين يقدح في إمامة عدل فقد جاءت الأخبار المتواترة باكراه من أكره على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان فيجب أن نقطع على فساد إمامتهم بذلك وإلا كنت مناقضا عند العقلاء، ألا ترى إن المعلوم المنتشر بعد بلا ارتياب من مباينة الانصار في بيعة أبي بكر ودعائها إلى البيعة لسعد ابن عباد وإنكاره بيعة سواه وتضمن على حرف الامر عن قريش وشروعها في ذلك حتى اختلف كلمتهم وأفسد أمره بشر بن سعد منهم وبابع أبي بكر حسدا لابن عمه وظنا عليه بالرياسة وكراهة الاتباع له والتقدم على نفسه فوَقعت الفتنة وسلت السيوف ودعا عمر بن الخطاب إلى قتل سعد بن عباد وحرص عليه في ذلك وقال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا فخافت الانصار من ظفرها والجناية عليها فحملوا سعدا من السقيفة بين جماعتهم لضعفه عن النهوض بنفسه لمرض كان به في الحال وانحاز إليه أهل بيته كارهين لبيعة من عقدت له منكرين لما تم لابي بكر متوعدين فيه بالخلاف. وجاءت الاخبار متظافرة بانكار الزبير بن العوام لبيعة أبي بكر وخروجه بالسيف مصلنا للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده وضربوه بالاحجار فكسروه وجاءوا به مليبا لابي بكر حتى بايع مكرها على غير اختيار منكرا ولما حضر سلمان رضي الله عنه لامرهم

متكلما في ذلك بلسانه ومفصحا فيه بلسان العرب وما كان من إنكار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله صرف الامر عن بني هاشم وبيعتهم لمن بايعوا ودعائه أمير المؤمنين (ع) إلى بسط يده لبياعه على الامر فقال له أمدد يدك يا ابن أخي أبايك ليقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان وقول أبي سفيان حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يلي عليكم ابن تيم مرة حاكما على العرب و متى طمعت أن تتقدم على بني هاشم في الامر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تمالؤا إليه ظلما لكم أما والله لئن شئتم لاملأنا عليهم خيلا ورجالا ثم قال: بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدي فما الامر إلا فيكم واليكم * وليس له إلا أبو حسن على أبا حسن فاشدد بها كف فأنك * فأنك بالامر الذي يرتجى ملي (١) ولما اجتمع من اجتمع في دار فاطمة من بني هاشم وغيرهم للتحيز عن أبي بكر وإظهار الخلاف أنفذ عمر بن الخطاب فنغذا وقال له اخرج من في البيت فان خرجوا وإلا فاجمع الاحطاب على بابه واعلمهم انهم ان لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم نارا. ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغير بن شعبة الثقفي وسالم مولى حذيفة حتى صاروا إلى باب على فنأدى يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله اخرجي من اعتمص بيتك لبياع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا والله أضرمت عليهم نارا في حديث مشهور (٢).

(١) رواها البيهقي في تاريخه (ج ٢ - ص ١٠٥) ط النجف بزيادة بيت رابع: وإن امرءا يرمي قصيا وراءه * عزيز الحمى والناس من غالب قصي (٢) في العقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٥٢) أن عمر بن الخطاب - (*)

ولما عرف أهل اليمامة تقلد أبي بكر أنكروا أمره وامتنعوا من حمل الزكاة حتى أنفذ إليهم الجيوش فقتلهم وحكم عليهم بالردة عن الاسلام وفى إنكار أهل اليمامة بيعة أبي بكر يقول: أطعنا رسول الله ما كان بيننا * فى قوم ما شأنى وشأن أبى بكر إذا مات بكر قام عمر مكانه * وذلك لعمر الله قاصمة الظهر (١) وكان عبد الله بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خارجا عن المدينة فدخلها وقد بايع الناس أبى بكر فوقف فى وسط المسجد وأنشأ يقول (٢): ما كنت أحسب هذا الامر منتقلا * عن هاشم ثم منها عن أبى حسن اليس أول من صلى لقبيلتهم * وأعرف الناس بالأثار والسنن وآخر الناس عهدا بالنبي ومن * جبريل عون له بال غسل والكفن من فيه ما فيهم لا يمترون به * وليس فى القوم ما فيه من الحسن فما الذى ردكم عنه فنعلمه * هان بيعتكم فى أول الفتن

- جاء إلى بيت فاطمة بقبس من نار يريد أن يحرقه على من فيه فخرجت إليه فاطمة (ع) تقول يا ابن الخطاب جئت لتحرق دارنا ؟ قال نعم اه، والقبس فى نص أهل اللغة شعلة نار مضرة. (١) فى تاريخ الطبرى (ج ٣ - ص ٢٢٢) ذكر سبعة أبيات منها البيتين ونسبها للخطيل بن أوس أخو الحطينة وفى روايته عجز البيت الاول: (فى لعباد الله ما لآبى بكر) و صدر البيت الثانى: (أبورتنا بكر إذا مات بعده). (٢) فى تاريخ البيهقي (ج ٢ - ص ١٠٣) ط النجف نسبت إلى عتبة بن أبى لهب ولم يذكر الخامس وفى روايته الصدر الاول: (ما كنت أحسب أن الامر منصرف) والبيت الثانى: عن أول الناس ايماننا وسابقة * وأعلم الناس بالقرآن والسنن

رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد اسحق الكلبي وأبى صالح ورواه أيضا عن رجاله زائدة بن قدامة قال كان جماعة من الاعراب قد دخلوا المدينة ليتماروا منها فشغل الناس عنهم بموت رسول الله صلى الله عليه وآله فشهدوا البيعة وحضروا الامر فأنفذ إليهم عمر واستدعاهم وقال لهم خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبايعوا فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه، قال والله لقد رأيت الاعراب تحزموا، واتشحوا بالازر الصناعية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطا و جاؤا بهم مكرهين إلى البيعة وأمثال ما ذكرناه من الاخبار فى قهر الناس على بيعة أبى بكر وحملهم عليها بالاضطراب كثيرة ولو رمنا ايرادها لم يتسع لهذا الكتاب فان كان الذى ادعاه المخالف من إكراه من أكره على بيعة أمير المؤمنين (ع) دليلا على فسادها مع ضعف الحديث بذلك فيكون ثبوت الاخبار بما شرحناه من الادلة على بيعة أبى بكر موضحة عن بطلانها. كراهة المسلمين استخلاف عمر: هذا والامة مجتمعة على أن أبى بكر لما أراد استخلاف عمر بن الخطاب حضره وجوه المهاجرين وفيهم طلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص فقالوا ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا الفض الغليظ وأنا لم نكن نطيقه وهو رعية لك فكيف إذا ولي الامر، فاتق الله فى الاسلام وأهله ولا تسلطه على الناس، فغضب أبو بكر وقال اجلسونى فاجلس واستند إلى صدور الرجال من ضعفه ثم قال لهم: أبالله تخوفونى ان كل واحد منكم قد طمع فى هذا الامر، فلما سمع ما اریده لعمر ورم لذلك أنه قال وقد رأيتكم ما جاءته فعملتم على التأم واستعمال الستور

ونضائد الديباج لتتخذوها كسروية لا والله لا أحيبكم إلى ما تريدون
إني إذا لقيت ربي فسألني من استخلفت عليهم قلت استخلفت
عليهم خير أهلهم، وهذا خبر مشهور لا تنازع فيه العلماء (١) وهو
متضمن لعقد أبي بكر الأمر لعمر على كراهية ممن ذكرناه وقهرها لهم
وإجبارا عليهم فيجب على غلبة الخصم أن تكون إمامة عمر بن
الخطاب فاسدة لكرهتها ممن أعددناه. الصحابة يوم الشورى: قال
ولما كان في يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رحمه الله فقام في
الناس وقال إن وليتموها عليا (ع) سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عثمان
سمعنا وعصينا فقام الوليد بن عتبة وقال: يا معشر الناس أهل
الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا وإن وليتموها عليا سمعنا
وعصينا فانتهره عمار وقال له متى كان مثلك يا فاسق يعترض في
أمر المسلمين وشتات جمعها، وتسابا جميعا وتناوشا حتى حيل
بينهما فقال المقداد من وراء الباب: يا معشر المسلمين إن وليتموها
أحدا من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدرا وانهمز يوم احد ولم يحضر
بيعة الرضوان (٢)

(١) في تاريخ الطبري (ج ٤ - ٥٢) والعقد الفريد (ج ٢ - ٢٥٧) وشرح النهج لابن
أبي الحديد (ج ١ - ٥٥) إن أبا بكر ذكر هذا عند مجئ المهاجرين إليه وتذمره منهم
وفى تاريخ الخميس (ج ٢ - ٣٩٩) إن طلحة والزبير قالوا له أتولى علينا فظا غليظا
ما تقول لربك. (٢) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ٦٦) إن عبد الرحمن بن
عوف أرسل إلى عثمان يذكره بفراره يوم احد وعدم حضوره بدرا ولا بيعة الرضوان فلم
ينكر عليه. (*)

[٦١]

وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان أما والله لئن وليتها
لأردنك إلى ريك الاول، ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان
نهض أمير المؤمنين (ع) وقال مال الرجل إلى صهره وبنذ دينه وراء
ظهره وأقبل على عبد الرحمان فقال والله ما أملت منه إلا ما أمل
صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١) وانصرف مطهرا
للتنكير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان
من أمره مع المسلمين ما كان وقد عرفت الخاصة والعامه ما أظهره
أمير المؤمنين (ع) من كراهته من تقدم عليه وتظلمه منهم. فقال
في مقام بعد مقام: اللهم انى أستعيدك على قريش فانهم ظلموني
حقى ومنعوني ارثي وتمالوا على. وقال (ع) لم أزل مظلوما منذ قبض
رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال وقد عهد إلى رسول الله أن
الامة ستعذر بى من بعده. وقال اللهم أجز قريشا عنى الجوازى فقد
قطعت رحمى ودفعتني عن حقى وأغرت بى سفهاء الناس وخاطرت
بدمى (٢). خطبة علي يوم البيعة: فصل: ولما أفضى الامر إليه رقى
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال

(١) في تاج العروس (ج ٩ - ٧٩) بمادة نشم إن امرأة صنعت لزوجها طيبا تطيب به
ثم أنها صادفت رجلا فطيبته فلقية زوجها فشم طيب زوجته فقتله فاقتل الحيان من
أجله فضرب به المثل وقالوا أشأم من عطر منشم، وقيل إن المنشم حب عطر شاق
الدق وهو سم ساعة وفيه يقول زهير: تداركنا عيسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا
بينهم عطر منشم (٢) البيان والتبيين (ج ٢ - ٥٢) ط سنة ١٣٣٢ هـ)*

[٦٢]

قد كانت امور كثيرة لم تكونوا عندي فيها محمودين أما انى لو شاء
لقلت عفى الله عما سلف سبق الرجلان، وقام الثالث كالغراب همته

بطنه وفرجه، يا ويجه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له. إلى آخر الخطبة وفيها عجائب من فصيح الكلام وغرائب والعلماء متفقون عليها عنه (ع) وقد ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى وفسر غريب الكلام فيها وأوردها المدايني في كتبه وذكرها الجاحظ مع نصبه وعداوته لامير المؤمنين (ع) في كتابه الموسوم (بالبیان والتبيين) (١). الشقشقية: فاما خطبته عليه السلام التي رواها عبد الله بن عباس فهي أشهر من أن ندل عليها لشهرتها وهي التي يقول (ع) في أولها: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. أرى تراثي نهبها فصبرت وفى العين قذى، وفى الحلق شجى، إلى قوله (ع): فجعلني عمر سادس ستة زعم انى أحدهم فيالله وللشورى متى اعتراض الرب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر ولكني أسففت إذا سفوا، وطرت إذا طاروا، في كلام طويل اختصرناه ههنا (٢) فدل ما ذكرناه عنه عليه السلام على كراهيته من

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٢ - ص ٤٩٦) ان الاخبار قد تواترت عنه عليه السلام في هذا وذكر ما نص عليه المفيد. (٢) ذكر شيخنا الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قدس سره في رسالته مدارك نهج البلاغة ص ٧٠ المطبوعة مع مؤلفه المستدرك -

[٦٣]

تقدم عليه، وإنكاره ما صنعه في ذلك، وخصومنا لعنادهم الحق وتجاهلهم يجعلون الاخبار الشاذة في كراهة نفر معدودين لبيعة أمير المؤمنين (ع) قدحا في إمامته ولا يجعلون ما ذكرناه من خلاف وجوه المسلمين وعامة المؤمنين والانصار والمهاجرين في إمامة الثلاثة نفر المذكورين حجة في بطلانها ولا انكارهم لذلك وكراهتهم لها قدحا فيها ويدعون مع ذلك بعجيبهم وجرأتهم وقلة أمانتهم إجماع الأمة عليهم (ان هذا هذا لشيئ عجاب) مع انى مثبت طرفا من الاخبار التي جاءت ببيعة أمير المؤمنين (ع) وانها كانت على وفاق ما ذكرت في أول الباب من الرغبة إليه في قبولهما منهم والايثار لتقدمه عليهم والاختيار ما قصدنا به الايضاح عنه من ثبوت إمامته على اصول الموافقين من شيعته والمخالفين لهم في ذلك حسب ما بيناه ان شاء الله تعالى. امتناع علي من البيعة: فمن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد ابن عبد الله بن سواده وطلحة بن الاعلم وابنى عثمان أجمع قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب العكي (١) والناس يلتمسون من يجيبهم لهذا الامر فلا يجدون فيأتي المصريون عليا فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة فإذا لقوه يأبى عليهم، قال وروى اسحق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن اثرى

- على نهج البلاغة اقوال العلماء في الاعتراف بوجود الخطبة الشقشقية في مؤلفات كتبت قبل أن يوجد السيد الرضى وأبوه فراجعه فانه نافع جدا. (١) الطبري (ج ٥ - ص ١٠٣ و ١٥٥). (*)

[٦٤]

قال ألا احديثك بما رأيت عيناى وسمعت اذناى لما التقى الناس عند بيت المال قال على (ع) لطلحة أبسط يدك ابايعك فقال طلحة أنت أحق بهذا الامر منى وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس (١) لم يجتمع لي فقال له (ع) ما خشينا غيرك فقال طلحة لا تخشى فوالله لا تؤتى من قبلي وقام عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبى رافع ومالك بن عجلان وأبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلي (ع) ان هذا الامر قد فسد وقد رأيت ما صنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك لنايعك لتصلح من أمر الامة ما قد فسد فاستقال علي (ع) وقال قد رأيتم ما صنع بى وعرفتم رأى القوم فلا حاجة لي فيهم فاقبلوا على الانصار وقالوا يا معاشر الانصار انتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله أكرمكم الله وقد علمتم فضل علي وسابقته في الاسلام وقربته ومكانته من النبي صلى الله عليه وآله وان ولي بنى لكم خيرا فقال القوم نحن أرضى الناس به ما نريد به بدلا ثم اجتمعوا عليه وما يزالوا به حتى بايعوه. وبإسناده عن ابن أبى الهيثم بن التيهان ؛ قال يا معشر الانصار قد عرفتم رأبي ونصحي ومكاني من رسول الله صلى الله عليه وآله واختياره إياي فردوا هذا الامر إلي أقدمكم اسلاما ولولاكم برسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله أن يجمع به إلفنكم ويحقن به دماءكم فأجابه القوم بالسمع والطاعة وروى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس إلى علي وسألوه ان ينظر في امورهم وبذلوا له البيعة فقال لهم التمسوا غيرى فقالوا له ننشدك الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله في ضياع هذه الامة فلما ألحوا عليه قال لهم انى لو أحببتم حملتكم على ما أعلمه وان تركتمونى كنت لاحدكم قالوا قد رضينا بحكمك وما فينا مخالف لك فاحملنا على ما تراه ثم بايعته الجماعة.

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٥٦). (*)

[٦٥]

بيعة طلحة والزبير: وروى أبو إسحاق بن ابراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبى شيبة عن ادريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال جاء طلحة والزبير إلى علي (ع) وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا ابسط يدك لنايعك فان الناس لا يرضون إلا بك ؛ فقال لهما لا حاجة لي في ذلك ولئن أكون لكما وزيرا خير لكما من أن أكون أميرا فليبسط قرشيا منكما يده ابايعه ؛ فقالا ان الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك لنايعك أول الناس، فقال ان بيعتى لا تكون سرا فامهلا حتى اخرج إلى المسجد فقالا بل لنايعك هنا ثم لنايعك في المسجد فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر أولهم طلحة بن عبيدالله وكانت يده شلاء فصعد المنبر إليه فصفق على يده، ورجل من بنى أسد يزجر الطير قائم ينظر إليه فلما رأى أول يده صفقت على يد أمير المؤمنين يد طلحة وهى شلاء قال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد صفقت على يدي شلاء بوشك أن لا يتم هذا الامر (١) ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما، وهذه الاخبار مع كثرتها وانتشارها في كتب السير وكافه كتب العلماء وظهورها واستفاضتها تتضمن نقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين (ع) على البيعة ويبطل ما تعلق به من ذلك من شك في الخير الذى أورده الواقدي عن العثمانية المتظاهرة بعبادة أمير المؤمنين (ع). على أن الواقدي قد أثبت في كتابه الذى صنفه في حرب البصرة ما يوافق الاخبار التى قدمنا ذكرها ويضاد ما خالفها في معناه، فقال حدثنى عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال لما قتل عثمان أقبل الناس

[٦٦]

على علي ليبياعوه فتأبى عليهم وقالوا بايعنا لا تخلف أمرك فأبى عليهم فمدوا يده وبسطوها وقبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا بك ؛ وروى اسماعيل بن محمد عن محمد بن سعد عن أبيه قال أرسل علي ابن أبي طالب (ع) إلى أبي ليبياع فقال له إذا لم يبق غيري بايعتك فقال علي (ع) خلوا سعدا وأرسل إلى اسامة بن زيد فقال له اسامة أنا لك طوع ولكن اعفنى الخروج بالسيف فقال له علي لم اكره أحدا على بيعته وان جميع من بايعه كان مؤثرا له داعيا إليه في ذلك على ما قدمناه والحمد لله. قال الشيخ المفيد أدام الله تأييده: وقد دللنا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة النص عليه بها من رسول الله صلى الله عليه وآله وباختاره له من ذوى العقول والعلم والفضل والرأى على ما يذهب إليه المخالفون في ثبوت الامامة وانعقادها وأنبأنا عن عصمته (ع) بما سلف وشرحنا القول في طريقها وأوضحناه وذكرنا الاخبار الواردة من طريق الخاصة والعامّة في وجوب حقه وبرهان صوابه وتحريم خلافه وفي ذلك إبطال ما ذهب إليه كافة خصومنا على اختلافهم في تصويب محاربيه والوقوف في ذلك والشك فيه وفي ما أصلناه من ذلك ورسمناه في معناه غني عن تكليف كلام في فساد مذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على ما شرحناه عنهما في صدر هذا الكتاب من شبهات المذهب الرذل وإبطال مذهب الاصم وأتباعه ونقض شبهات الحوشية في تصويب الجماعة وإفساد ما ذهب إليه كل فريق منهم في تخطئتهم بأسرهم وإقامة البرهان على صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن شاركهم من قبائل المعتزلة والمرجئة والخوارج على أمير المؤمنين وضلال أهل البصرة وتخطئة محاربيه في هذين المقامين وضلالهم في ذلك عن طريق الرشاد وفيما أثبتناه عن عصمته (ع) وحقه أيضا دليل مقنع في إبطال مذهب الخوارج المبدعة في إنكار التحكيم وترك القتال عند المودعة حسب ما قدمناه

[٦٧]

ونحن نشفع ذلك بأسباب فتنة البصرة على ما بطن منها عن كثير من الناس وظهر منها للجمهور ونورد بعد هذا الباب الذى ذكرناه الاخبار الواردة بصورة الامر في القتال وكيفية ما جرى فيه على ترتيب ذلك في مواضعه المقتضية لذكره فيها ونأتى به على الترتيب والنظام إن شاء الله تعالى. الناكثان: فصل: فأنا ظاهر الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة والزبير من نكث البيعة التى بذلها لأمير المؤمنين (ع) طوعا واختيارا وإيثارا وخروجهما عن المدينة إلى مكة على اظهار منهما ابتغاء العمرة فلما وصلها اجتمعا مع عائشة وعمال عثمان الهاربين بأموال المسلمين إلى مكة طمعا فيما احتجبه منها وخوفا من أمير المؤمنين (ع) واتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان والتعلق عليه في ذلك بانحياز قتلة عثمان وحاصريه وخذليه من المهاجرين والانصار وأهل مصر والعراق وكونهم جندا له وأنصارا واختصاصهم به في حربهم منه ومظاهرتهم لهم بالجميل وقوله فيهم الحسن من الكلام ؛ وترك إنكار ما صنعوه بعثمان والاعراض عنهم في ذلك، والمصيب معهم في جنده إلى ما ذكرناه وشبهوا بذلك على الضعفاء واغتروا به السفهاء وأوهموهم بذلك لظلم عثمان والبراءة من شئ يستحق به ما صنع به القوم من إحضاره وخلعه والمنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة ممن استغوهو بما وصفناه وقصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان وأصحاب عامله وابن عمه كان بها وهو عبد الله بن كريز بن عامر وكان

ذلك منهم ظاهرا وباطنا بخلافه كما تدل عليه الاخبار ويوضح عن صحة الحكم به الاعتبار ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة باجماع العلماء بالسير والآثار هم الذين

[٦٨]

كانوا وأكد السبب لخلع عثمان وحصره وقتله وإن أمير المؤمنين (ع) لم يزل يدفعهم عن ذلك (١) ويلطف في منعهم عنه ويبدل الجهد في إصلاح حاله مع المنكرين عليه، العائنين له ؛ المحتجين عليه بأفعاله وأحداثه فمن أنكر ما ذكرناه أوشك في شئ مما وصفناه فهو بعيد عن علم الاخبار ناء عن معرفة السير والفتن والآثار ومكابر يحمل نفسه على جحد لا على اضطرار وهذا باب لا يحسن مكالمة الحصور فيه إلا مع الانصاف والاطلاع على ما جاءت به الاخبار ومخالطة العلماء من أهل الاخبار في الاسلام وأما من لا معرفة له بالروايات أو منقطع عنها إلى صناعة الكلام أو عامي له غفلة أو مترف مشغول باللذات فلا وجه لمجارته في هذا الباب وأمثاله طرقه السمع والاخبار وسبيله ملاقة الخاصة والعلماء والاستفادة مما عندهم من علمه على ما ذكرناه. أسباب الخروج على عثمان: فصل ونحن نثبت بتوفيق الله مختصرا من الاخبار فيما ذكرناه من كون طلحة والزبير وعائشة فيما صنعوه في أيام عثمان من أوكد أسباب ماتم عليه من الخلع والحصر وسفك الدم والفساد فمن ذلك ما رواه أبو حذيفة اسحاق بن بشر القرشي وأثبتته في كتابه الذي صنفه في مقتل عثمان وكان هذا الرجل أعنى أبا حذيفة من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنة والمباينين للشيععة يهتم فيما يروونه لمفارقة خصومه ولا يظن تخرضا فيما يجتنيه من جميع الاخبار، فقال حدثني محمد بن اسحاق عن الزهري لما قدم أهل مصر في ستمائة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري فنزلوا ذا خشب وفيهم كنانة بن بشير

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٢٥٦) كان عبيد الله بن عمر بن الخطاب يمدح عليا بأن لم يشترك في قتل عثمان. (*)

[٦٩]

الكنانى وأبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي وأبو عروة الليثي واجتمع معهم حكيم بن جبلة العبدى في طائفة من أهل البصرة وكميل بن زياد ومالك الأشتر وضععة بن صوحان وحجر بن عدى في جماعة من فراء الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان منها إلى الشام حين شكوا أحداثه التي أنكرها عليه المهاجرون والانصار (١) فاجتمع القوم على عيب عثمان وجهروا بذكر أحداثه فمر بهم عمر بن عبد الله الأصم وزياد بن النظر فقالا إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبي صلى الله عليه وآله فان أمركم أن تقدموا فاقدموا فقالوا لهما إفعلا واقصدوا عليا آخر الناس فانطلق الرجلان فبدا بعائشة وأزواج النبي بعدها ثم أنبأ أصحابه صلى الله عليه وآله فأخبروهم الخبر فأمرهم أن يقدموا المدينة وصاروا إلى أمير المؤمنين فأخبراه واستأذناه للقوم في دخول المدينة فقال لهما أتيما أحدا قبلي ؟ قال نعم أتيانا عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وآله بعدها وأصحابه من المهاجرين والانصار فأمرنا أن يقدموا فقال علي لكني لا أمرهم إلا أن يستغيثوا بمن قرب فان أغاثهم فهو خير لهم وإن أبى فهم أعلم، فخرج الرجلان إليهم جميعا وتسرع إليهم جماعة من المدينة واجتمعوا مع أهل حسب وذو مروا فلما بلغ عثمان اجتماعهم

أرسل إلى علي (ع) وقال: أخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردهم عما جاؤا إليه. فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له قد علمت يا أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الاعمال الخبيثة وما يلقاه المسلمون منه ومن عماله وكنا لقيناه واستعتبناه فلم بعثنا وكلمناه فلم يصغ إلى كلامنا وأغراه ذلك بنا وقد جئنا نطالبه بالاعتزال عن إمرة المسلمين وإستأذنا في ذلك الانصار والمهاجرين وأزواج النبي أمهات المؤمنين فأذنوا لنا

(١) ذكر الطبري (ج ٥ ص ٨٥) وابن الاثير (ج ٣ ص ٥٣) تفسير الجماعة إلى الشام وفى رسائل الخوارزمي ص ٧٧ إشارة إليه، (*)

[٧٠]

في ورود المدينة ونحن على ذلك، فقال لهم أمير المؤمنين يا هؤلاء تريتوا لا تسرعوا إلى شئ لا تعرف عاقبته فانا كنا قد عتبنا على هذا في شئ وانه قد رجع عنه فارجعوا ؛ فقالوا هيهات يا أبا الحسن لا نقتنع منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقدم به من يوثق بأمامته، فرجع أمير المؤمنين إلى عثمان وأخبره بمقالتهم فخرج عثمان حتى أتى المنبر فخطب الناس وجعل يتكلم ويدعو إلى نصرته ودفاع القوم عنه فقام إليه عمرو بن العاصي فقال يا عثمان إنك قد ركبت بالتهمة وقد ركبوها منك فتب إلى الله، فقال له عثمان وإنك لهاهنا يا بن النابغة (١) ثم رفع يده إلى السماء وقال أتوب إلى الله اللهم إني أتوب اليك ؛ فأنفذ أمير المؤمنين (ع) إلى القوم بما جرى من عثمان وما صار إليه من التوبة والاقلاع فساروا إلى المدينة بأجمعهم وسار إليهم عمرو بن معدي كرب في ناس كثيرين فجعل يحرض على عثمان ويذكر إثرته فقال: أما هلكننا ولا يبكي لنا أحد * قالت فريش ألا تلك المقادير والحر في الصيف قد تدمي جوارحه * نعطي السوية مما أخلص الكير نعطي السوية يوم الضرب قد علموا * ولا سوية إذ كانت دنانير وانظم إليهم من المهاجرين طلحة والزبير وجمهور الانصار على ذلك فخرج إليهم أمير المؤمنين (ع) فقال لهم يا هؤلاء اتقوا الله ما لكم وللرجل أما رجع عما أنكرتموه أما تاب على المنبر توبة جهر بها، ولم يزل عليه السلام يلطف بهم حتى سكنت فورتهم. ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عنهم واقترح أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عنهم وسأل أهل النهروان أن يصرف ابن كريب عنهم ويعدل عما كان عليه من منكر

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١) وشرح النهج الحديدي (ج ١ - ص ١٦٣) ذكر انكار عمرو، على عثمان وما قاله فيه. (*)

[٧١]

الافعال فدخل عليه أمير المؤمنين (ع) ولم يزل حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك وبذل لهم العهود والايامان. فخرج أمير المؤمنين إلى القوم بما ضمنه له عثمان ولم يزل بهم حتى تفرقوا فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا وإذا براكب على الطريق مسرع فلما دنا تأملوه فإذا هو غلام عثمان على ناقة من نوقه فاسترابوا به فقالوا له أين تذهب ؟ فقال بعثنى عثمان على ناقة من نوقه فاسترابوا به فقالوا له فارتج عليه وتلعثم في كلامه فنهره وزبروه فقال أنفذني إلى مصر فقالوا فيما أنفذك ؟ قال لا علم لي فزاد استرابهم فيه ففتشوه فلم يجدوا إلى معه شيئا فأخذوا أدواته ففتشوها وإذا فيها كتاب من

عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وهو إذا أتاك كتابي هذا فاضرب عنق عمرو بن بديل وعبد الرحمن البكري واقطع أيدي وأرجل علقمة وكنانه وعروة ثم دعهم يتشحطون في دمائهم فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل. فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام وعادوا إلى المدينة فاستأذنوا علي بن أبي طالب (ع) ودفعوا إليه الكتاب ففزع عليه السلام لذلك فدخل على عثمان فقال إنك وسطنتني أمرا بذلت الجهد فيه لك وفي نصيحتك واستوهبت لك من القوم فقال عثمان فماذا ؟ فأخرج إليه الكتاب ففضه وقراه فأنكره فقال له علي أتعرف الخط ؟ قال الخط يتشابه، قال أتعرف الختم ؟ قال الختم ينقش عليه، قال فهذا البعير الذي على باب دارك تعرفه ؟ قال هو بعيري ولم أمر أحدا ولا يركبونه قال فغلامك من أنفذه ؟ قال انفذ بغير أمري. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أما أنا فمعتزلك وشأنك وأصحابك وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه بابه ولم يأذن لاحد من

[٧٢]

القوم في الوصول إليه. (١) وخرج إليهم طلحة والزبير وقال لهم قد اعتزل علي بن أبي طالب وانتدبنا معكم على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره فلما علم أن القوم قد حصروه وحقق العزيمة على خلعه كتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام، وكتب إلى عبد الله بن عامر يستدعيه بجنود البصرة وفارس لينتصر بهم ويدفعهم عن نفسه وعرف أهل مصر وأهل العراق والحجاز أنه قد استغز عليهم أهل الشام وشيعته من أهل البصرة وفارس وخوزستان فجدوا في حصاره وتولى ذلك منه طلحة والزبير ومنعاه الماء وضيقا عليه وكان طلحة على حرس الدار يمنع كل أحد يدخل إليه شيئا من الطعام والشراب ويمنع من في الدار أن يخرج عنها إلى غيرها (٢). فصل: فهل يخفى على عاقل براءة أمير المؤمنين (ع) مما قرفوه به ناكثوا عهده من التآليب على عثمان والسعي في دمه مع ما روينا من الحديث عن سميانه، أم هل يرتاب عاقل فيما فعله طلحة والزبير فيما تولياه من حصر عثمان حتى آل ذلك إلى قتله وهما من بعده يقران عليا بما تولياه ويدعيان لانفسهما البراءة بما صنعاه ويجعلان شبهتهما في استحلال قتاله عليه السلام دعوى الباطل المعروف بهتاناً ممن ادعاه وهذا يكشف ان الامر فيما ادعياه وأظهره من الطلب بدم عثمان كان بخلافه على ما بيناه مما جاءت به الاخبار فيما تولاه طلحة والزبير في عثمان ما رواه أبو اسحاق جبلة بن زفر قال رأيت طلحة والزبير يرفلان في أدرعهما

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٠٧ إلى ص ١١٢). (٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ١٢٢) وشرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ١٦٧) والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٦٧) أن طلحة ممن أعان على عثمان وألب الناس عليه. (*)

[٧٣]

في عثمان ثم جاء من بعد إلى علي (ع) فبايعاه طابعين غير مكرهين ثم صنعا ما صنعا، وروى أبو حذيفة القرشي عن الحصين بن عبد الرحمان عن عمرو بن جاران عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة وساق حديثا طويلا من أمر عثمان إلى أن قال لما لقيت الفتنة والناس قد اجتمعوا على حصر عثمان وهو على خطر فأتيته طلحة والزبير فقلت لهما ما أرى هذا الرجل إلا مقتولا فمن تأمراني أن ابايع وترضونه لي فقالا عليا فخرجت حتى أتيت مكة وبها عائشة فدخلت عليها فقلت إنى لاحسب هذا الرجل مقتولا فمن تأمريني أن

أبايع فقالت بايع عليا فقضيت حجتى ثم مررت بالمدينة وقد قتل عثمان فبايعت عليا ثم عدت إلى البصرة فإذا عائشة وطلحة والزبير قد جاؤنا يطلبون بدم عثمان ويأمروننا بقتال على ابن أبي طالب فطال تعجبي من ذلك (١). وروى أبو حذيفة عن رجاله انه لما اجتمع الناس على عثمان أنفذوا إليه اخلع نفسك فقال لا أخلع سربالا سربليه الله (٢) وكتب إلى معاوية يستدعيه بجنود الشام وإلى عبد الله بن عامر بن كريز يستدعيه بجند البصرة وخرج عثمان حتى صد المنبر فلما بدأ بالخطبة قال إليه رجل من الانصار وقال له أقم كتاب الله يا عثمان فقال هو لك ثم أعادها ثانية فقال هو لك فأعادها ثالثة ففزع وأجلس فقام ناس من الانصار فخلصوه وحصب عثمان بالحصى حتى سقط مغشيا عليه فحمله بنو امية حتى أدخلوه الدار وجاءه علي (ع) يسأله عن خبره فثارت بنو امية إليه بصوت واحد يا علي كدرت علينا العيش وعملت بنا العمل والله لئن بلغت الذى تريد لنخبثن عليك الدنيا فخرج علي مغضبا فقال القوم للعباس بن الزبير فان

(١) رواه ابن حجر الهيتمي في تطهير الجنان بهامش الصواعق المحرقة ص ١١٣ ط سنة ١٣١٢ هـ والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٨٢). (٢) تاريخ الطبري (ج ٥ - ١١٨). (*)

[٧٤]

وكانت اخته تحت الحرث بن الحكم أخى مروان بن الحكم اتبع الرجل وقل له مالك ولابن عمك فاتبعه وقال له ذلك فقال عليه السلام وهو مغضب فعل الله وفعل يجني ما يجني واسأل عن أمره واتهم مع ذلك أما والله لولا مكاني لاحتز الذى فيه عيني عثمان. إنكار طلحة على عثمان: ولما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزبير حصاره والناس معهما على ذلك فحصره حصرا شديدا ومنعوه الماء وأنفذ إلى علي يقول ان طلحة والزبير قد قتلتاني من العطش، والموت بالسلاح أحسن فخرج معتمدا على يد المسور بن مخرمة الزهري حتى دخل على طلحة بن عبيد الله وهو جالس في داره يسوى نبلا وعليه قميص هندي فلما رآه رحب به ووسع له على الوسادة فقال له علي عليه السلام ان عثمان قد أرسل إلي إنكم قد هلكتموه عطشا وان ذلك ليس بالحسن والقتل بالسلاح أحسن وكنت آليت على نفسي أن لا أرد عنه أحدا بعد أهل مصر وأنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه، فقال طلحة لا والله لا ننعمة عينا ولا نتركه يأكل ولا يشرب، فقال علي (ع) ما كنت أظن أن أكلم أحدا من قريش فيردني دع ما كنت فيه يا طلحة فقال طلحة ما كنت أنت يا علي في ذلك من شئ فقام علي (ع) مغضبا وقال ستعلم يا بن الحضرمية أكون في ذلك من شئ أم لا ثم انصرف. وروى أبو حذيفة بن اسحاق بن بشير القرشي أيضا قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال والله إنى لانظر إلى طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم ويده الرمح يجول حول الدار وكأنى انظر إلى بياض ما وراء الدرع (١).

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٠٤) كان طلحة يوم قتل عثمان مقنعا بثوب يرمى الدار بالسهام وأنه حمل الذين - (*)

[٧٥]

وروى أبو إسحاق قال لما اشتد الحصار بعثمان عمدة بنو أمية على إخراجهم ليلاً إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرساً وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان، قال واطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظماً من العطش فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء واطعمونا مما رزقكم الله فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل لا والله لا تذوقه. وروى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن تغلبه بن يزيد الحمانى قال أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شك مررب فهذا الاحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهى كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عثمان وهم يتولوا سفكه ولم يظهر احد منهم إلا الذم عليه، ولما بايع الناس علياً أظهروا الندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التى رجع عليهم ما كانوا أملوه فيها منه وهو الظاهر منهم والباطن كان مخالفاً للظاهر منهم فيما ادعوه بعثمان. إنكار عائشة على عثمان: فأما تأليب عائشة على عثمان فهي أظهر مما وردت به الاخبار من تأليب طلحة والزبير عليه، فمن ذلك ما رواه محمد بن اسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال دخلت يوماً بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول: أيها الناس العهد قريب هذان نعلا رسول الله (١) وقميصه وكأنى أرى ذلك القميص

- حاصره إلى دار بعض الانصار فتسوروا منها على عثمان فقتلوه والزبير يقول اقتلوه فقد يدل دينكم وانه لجيفة على الصراط. (١) في الاغانى (ج ٤ - ص ١٧٨) ان جماعة من أهل الكوفة - (*)

[٧٦]

يلوح تقول وان فيكم فرعون هذه الامة فإذا هي عائشة وعثمان يقول لها اسكتي ثم يقول للناس انها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصعوا إلى قولها، وروى الحسن بن سعد قال رفعت عائشة ورقة من المصحف بين عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثم قالت يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب فقال لتنتهين عما أنت عليه أو لادخلن عليك جمر النار فقالت له عائشة أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثل (١). وروى الليث بن أبى سليمان عن ثابت الانصاري عن ابن أبى عامر مولى الانصار قال كنت في المسجد فمر عثمان فنادته عائشة يا غدر يا فجر أخفرت أمانتك وضعيت رعينك ولولا الصلاة الخمس لمشى اليك الرجال حتى يذبوك ذبح الشاة فقال عثمان: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين). وروى محمد بن اسحاق والمدائني وحذيفة قال لما عرفت عائشة ان الرجل مقتول تجهزت إلى مكة جاءها مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقالا لها انا لنظن ان الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه فان تقيمي يدفع الله بك عنه قالت ما أنا بقاعدة وقد قدمت ركابي وغربت غرائري وأوجبت الحج على نفسي فخرج من عندها مروان

شهدوا على الوليد بن عتبة وأخافهم عثمان فاستجاروا بعائشة فأخرجت نعل رسول الله إلى المسجد تقول: ترك عثمان سنة صاحب هذا النعل. (١) في كامل ابن الأثير (ج ٢ - ص ٨٠) والنهاية (ج ٤ - ص ١٦٦) بمادة نعثل وتاج العروس ان عائشة سمت عثمان نعثلاً وهو أما رجل يهودي أو الشيخ الاحمق أو رجل طويل اللحية بمصر. (*)

يقول: (زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت) فسمعت عائشة فقالت: أيها المتمثل هلم قد سمعت ما تقول أتراني في شك من صاحبك والله لوددت انه في غرارة من غرايري حتى إذا مررت بالبحر قذفته فيه فقال مروان قد والله تبنيت قد والله تبنيت قال فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء وابن عباس يريد المدينة فقالت يابن عباس إنك قد أوتيت عقلا وبيانا وإياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية، وهذه أيضا جملة من كثير ورد بها أخبار في تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الاملال بالتطويل وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها من بعد طلب دمه ومباينة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجمع لجره والاحتجاج في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كالظاهر بل كان لغير ذلك فيما اشتهر عند المعترين لاعمال القوم قديما وحديثا وأغراضهم في الافعال وما فيه من يصرح القول عنهم في عداوتها له (ع) فليتأمل أولوا الابصار بما رويناه وليمعن النظر فيما ذكرناه ويجد الامر فيه على ما وصفناه والله المستعان. ندم طلحة والزبير من البيعة: فصل: قد قدمناه من القول فيما كان قد عمد عليه طلحة والزبير في خلاف أمير المؤمنين (ع) والمباينة له والتحيز عنه وهو لما كرها ولايته وأنكرا إمرته ولم يؤثر من الناس بيعته لما كانا عليه من الطمع في الولاية للامر دونه والتأمر على الناس بذلك وفاتهم منه ما أملاه وندما على افراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى في بذل بيعتهما له (ع) طوعا واختيارا سرح لهما الاعتلال في تسويغ خلافهما له بدعوى إكراهه لهما على البيعة فتعلقا بذلك وجعلاه حجة لهما في خلافه

فطن به تمام الشبهة التي قصدها بعمد الامر على الجهل فلما وضح لهما تهافت ما اعتمدها من ذلك بظهور اختيارهما لبيعتته وإيثارهما لتقدمه عليهما والرضا بامامته واشتهر ذلك عند الكافة من الخاصة والعامة وعلموا انه لا حجة لهما في دفع الظاهر بدعوى الباطن وانه لو تم لهما التلبيس بدعوى الكراهة الباطنية لم تتم لهما حجة لانه لا يسع أحد كراهة بيعة المحق ولا يسوغ لاحد خلاف المهاجرين والانصار في الرضا بما يجتمعون عليه من الرضا بامامة المرتضى عليه السلام في ظاهر الحال فكيف بمن يرضى برضاء الله له في الباطن والظاهر على كل حال ولانهما لم يجدا شبهة يتعلقان بها في كراهة إمامة أمير المؤمنين (ع) مع جمعه للفضل وتقدم الايمان والذب عن الاسلام والجهاد في الدين والبراء الحسن مع الرسول والعلم الظاهر الذي لا يختلف فيه اثنان من العلماء مع الزهد في الدنيا والورع عن محارم الله وحسن التدبير وصواب الرأي والرحم الماسة منه برسول الله صلى الله عليه وآله وما كان سنه فيه من الامور الدالة على استحقاقه التقدم على كافة الانام من الامة فلم يول عليه واليا قط ولا أنفذه في سرية إلا وهو أميرها وسيدها ورئيسها وقائدها وعظيمها وانه لم يفسد أحد على عهد النبي أمرا إلا ندبه إليه فقوى تلافى فارطه به (ع) وكان الامر إذا أعضل في شئ ناطه به وأنجزه وكفى به وأغناه ورفع إليه من بعده صلى الله عليه وآله من تقدمه في مقامه عند معضل الامور فاستعلموا منه ما كان خافيا عليهم من أحكام الملة وصواب التدبير في مصالح الامة فعلم طلحة والزبير ان التعلق في خلافه بكراهة البيعة شبهة داحضة لا يثبت لهما به حجة عند أحد من الفضلاء والعقلاء وانه لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوء لحالهما عند الامة ولكان

له (ع) في حكم الشريعة ذلك إذ للامام القهر على طاعته والاكراه على الاجابة إلى ما يلزم للامة كفتنة وشمول المصلحة

[٧٩]

فلما علم الرجلان ذلك ووضح لهما ما ذكرناه في معانيه ولم يكونا ممن يخيل عليهما فساد الدعوى لما ادعياه وقصورهما عن غرضهما فيه: عدلا إلى التظاهر بطلب دم عثمان وزعما ان الذي كان منهما قد بانا منه وادعيا ان التوبة لا تصلح ان تتم لهما إلا ببذل الجهد في طلب قاتليه والاقتصاص من ظالميه فاشتبه الامر بما سارا إليه مما ذكرناه عنهما على المستضعفين واستغويا به كثيرا من العامة البعداء عن فقه الدين وسلكت عائشة في خلافها لأمير المؤمنين (ع) مسلكها في ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والاقتصاص من قاتله ومعلوم في شريعة المسلمين ان ذلك ليس لهما ولا اليهما وانهما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لانهما لم يكونا أولياء لدم عثمان ولا بينه وبينهما نسب يسوغهما للتخاصم في دمه. المرأة والحجاب: ولا إلى النساء أيضا الدخول في شئ من ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد ولا لهن أمر ولا نهى في البلاد والعباد مع ما خص به الله أزواج النبي في الحكم المضاد ولما صنعته هذه المرأة وتبينت فيه بالخلاف فيه للدين وقص الله تعالى في محكم التنزيل حيث يقول جل اسمه: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن) وفرض عليهن سبحانه التحصن والتجلبب ولا يتعرفن إلى أحد فجاء بضد ذلك من التبرج وهتك الحجاب وإطراح الجلباب وإظهار الصورة وإبداء الشخص والتهتك بين العامة فيما لا عذر لها فيه مع ما ارتكبه من قتال ولي الله الذي فرض عليها إعظامه وإجلاله وأوجب عليها طاعته وحرم عليها معصيته وسفكت فيما صنعت دماء المؤمنين وأثارت الفتنة التي شانت بها المسلمين وأنى يواطئ ذلك ما أمرها الرسول به في الحديث المشهور

[٨٠]

دخل ابن ام كلثوم وهو أعمى وهو على النبي صلى الله عليه وآله فقال لها قبل دخوله ادخلي الخباء يا عائشة فاستترت به من هذا الرجل فقالت يا رسول الله انه أعمى ولن يرانى فقال صلى الله عليه وآله إن لم يراك فانك ترينه (١). وقال سبحانه فيما أدب به أصحاب نبيه: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناهه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتهموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما) (٢). فبين الله عز اسمه أن خطاب المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه يؤذيه وان الانبساط لهن يثيق عليه ويؤلمه وصانهن لصيانته واحتراسه فنهى أن يأنس بهن أحد أو يسألهن متاعا إلا من وراء حجاب ونهى عن اللبث في بيته بعد نيل الحاجة من طعامه وغير ذلك لئلا يطول مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهم أو يأنسون بكلامهن فكيف هذا يوافق لما فعلته المرأة من مخالطتها للقوم ومساقتها معهم وإطالة النجوى لهم وكونها بمحمل من لا يحتشم في خطاب ولا كلام ولا أمر

(١) مثل هذا الحديث ما رواه الخازن في تفسيره (ج ٥ ص ٥٧) والبعث في تفسيره بهامشه كلاهما عن الترمذي وأبي داود عن أم سلمة قالت: كنت وميمونة بنت الحرث إذا أقبل ابن أم كلثوم فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بعد ما نزل الأمر بالحجاب فقال رسول الله احتجبا منه فقلنا انه أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال صلى الله عليه وآله أفعمياوتان أنتما أستما تبصرانه. (٢) سورة الاحزاب: ٥٣.
(*)

[٨١]

ونهى ويؤنس بها في كل حال وتصير بذلك كأمير العسكر وقائد الجيش الذي لا يتمكن من الاستخفاء عن أصحابه بحال وان هذا لعجيب عند من فكر فيه، والحكم بالعصيان لله عزوجل والاطراح والاستخفاف بنواهيه غير مشكل على كل ذي عقل ومن اشتبه عليه ضلالها فهو يعد من الاموات هذا مع قول الله عزوجل: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) وعند كل ذي لب عرف الشرع ودان بالاسلام ان أزواج عثمان وبناته وبنات عمه من بنى امية الذين هم أمس رحما من عائشة لو كلفن ما تكلفن للقتال وان كن عاصيات خارجات عن شريف الاسلام فما ظنك بالبعيدة نسبا النائية عنه عقلا ومذهبا المقرفة على قتله الساعية في دمه الداعية إلى خلعه المانعة عن نصرته وما الذي أحدثه بعد إنكارها عليه مما يوجب رجوعها عما كانت عليه معتقدة فهل تراه أحدث عملا صالحا بعد قتله أو أحياه الله لها فسألها نصرته أم أوحى الله إليها من باطن أمره ما كان مستورا عنها، كلا. لكن الامر فيما قصدته من حرب أمير المؤمنين (ع) وتظاهرت عليه به من عداوته كان أظهر من أن تخفيه بالعلل والإباطيل وقد أجمع أهل النقل عنها على ما ذكرناه في باطن الامر وأوضحناه في وجوه الحجاج وبيانه. عائشة تبغض عليا: فصل: فمن ذلك ما رواه كافة العلماء عنها انها كانت تقول: لم يزل بينى وبين على من التباعد ما يكون بين بنت الاحماء، وقالت في خبرها عن قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل وما كان منها في غزوة بنى المصطلق وهجر رسول الله لها وإعراضه عنها واستشارته في اسامة بن

[٨٢]

زيد قالت وكان عبدا صالحا مؤمنا وذكر له قذف القوم بصفوان فقال له اسامة لا تظن يارسول الله إلا خيرا فان المرأة مأمونة وصفوان عبد صالح ثم استشار عليا عليه السلام فقال له يارسول الله النساء عليك كثيرة سل عن الخبر بريرة خادمتها وابحث عن سر خبرها منها فقال له رسول الله فتول أنت يا على تقريرها فقطع لها علي (ع) خشبا من النخل وخلا بها يسألها ويتهددها ويهيبها لا جرم انى لا احب عليا أبدا (١). فهذا تصريح منها ببغضها له ومفتها إياه ولم يكن منه ذلك عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي ونصحه وامتناله لامر النبي صلى الله عليه وآله ومسارعة لطاعته. ومن ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة وابن عباس وان عكرمة اخبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله الذي توفى فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها فخرج رسول الله متوكئا على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر فقال

(١) روى المفسرون وأرباب الحديث قصة الافك النازل فيها قوله تعالى: (ان الذين جاؤا بالافك) الآية. وارتاحوا لتنزيه (صاحبة الجمل) عما قيل فيها، روى ذلك البخاري (ج ٣ - ص ٢٣) ومسلم (ج ٢ - ص ٤٥٥) والبخاري في تفسيره (ج ٥ - ص ٤٦) والبخاري بهامشه وابن جرير الطبري في التاريخ (ج ٣ - ص ٦٧) بالاسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة وإلى سعيد بن المسيب عنها وإلى علقمة بن وقاص عنها وإلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عنها فالمصدر لنقل الحديث عائشة فقط وأصبحت هذه الاشاعة حديث أندية المدينة ؟ ذلك نبي الله صلى الله عليه وآله لانه لم يتفق ومقامه الطافح بالعظمة القدسية وهنا يقول ابن العربي الاندلسي في أحكام القرآن (ج ٢ - ص ٩٤) - (*)

[٨٣]

عبد الله بن العباس لعكرمة فلم تسم لك الاخر قال لا والله ما سمته فقال أتدرى من هو ؟ قال لا، قال ذلك علي بن أبي طالب وما كانت والله امنا تذكره بخير وهى تستطيع. والرواية المشهورة عن ابن عباس حين أنفذه أمير المؤمنين (ع) إلى عائشة وهى بالبصرة نازلة في قصر ابن خلف يأمرها بالرحيل إلى وطنها والرجوع إلى بيتها والحديث مشهور مثبت في كتب (الجمل) وغيرها أن ابن عباس قال لها ان أمير المؤمنين يأمرك أن ترتجلي إلى بيتك فقالت رحم الله أمير المؤمنين وان تردت له وجوه ورغمت له معاطس، هذا مع الاخبار التى لا ريب فيها ولا مربة في صحتها لاتفاق الرواة عليها أنها لما قتل أمير المؤمنين جاء الناعي فنعى أهل المدينة فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

- شاور النبي صلى الله عليه وآله اسامة بن زيد وعليها (ع) في أمرها فقال له أمير المؤمنين ان الله تعالى لم يضيق عليك والنساء كثير فاسأل الجارية تصدقك، هذا كل ما في علية القوم وما ادري ولا المنجم بأرى كيف تغافل المسلمون عن نقل هذا الحادث الشانع الذى نزل القرآن في افتضاح من أشاعه فلم يذكر أحد ما روته عائشة وانفردت بنقله مع شدة حرصهم على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث، أكلهم تواصوا بالكتمان والعادة تبعده أم أن للقصة تخريجا آخر ولم تكن بذلك الظهور. نعم، أوقفنا الشيخ الجليل الثبت علي بن ابراهيم القمي من علماء القرن الثالث على حقيقة سترتها الاحقاد فروى في تفسيره (ص ٤٥٣) عن رجال أجلاء ثقة عن زرارة بن اعين قال سمعت الباقر (ع) يقول لما مات ابراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي صلى الله عليه وآله فقالت له عائشة ما الذى يحزنك عليه انه ابن جريح القبطى فبعث النبي عليا ليقتله

[٨٤]

فان يك ناعيا فلقد نعاه * لنا من ليس في فيه التراب فقالت لها زينب بنت أبي سلمى العلي تقولين ؟ فتضاحكت ثم قالت أسى فإذا نسيت فذكروني ثم خرت ساجدة شكرا على ما بلغها من قتله ورفعت رأسها وهى تقول (١). فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر هذا وقد روي عن مسروق انه قال دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبدا لرحمن قالت عبدي قلت لها فكيف سميتيه عبد الرحمن قالت حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي.

- فخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا ليس له ما للرجال فرجع علي (ع) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره بما رأى فقال صلى الله عليه وآله الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية: (ان الذين جاؤا بالافك) وفي ص - ٦٤٠ - من التفسير روى عن الصادق أن رسول الله كان عالما بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٣ - ص ٤٥٧) كانت لعائشة جرأة على رسول الله حتى كان منها في أمر مارية ما كان من الحديث الذى أسرته إلى الزوجة الاخرى وأدى إلى تظاهرها عليه فنزل فيهما قرآنا يتلى في المحارب يتضمن وعيدا غليظا عقيب

تصريح بوقوع الذنب. ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد ولكنه مشى في نقل القصة عنها مع المؤرخين ليسجل عليها اعترافا بالمباينة لأمير المؤمنين التي لا يستحق فيها شيئا جاء به من قبل نفسه وإنما هو ممثل أمر رسول الله في تعقيب المرأة لتعترف بالحقيقة ويستبين الحال. (١) البيتان في تاريخ الطبري (ج ٦ ص ٨٧).

(*)

[٨٥]

والخبر مشهور انه لما بعث إليها أمير المؤمنين بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت لا أريتم مكاني هذا فقال لها أمير المؤمنين أم والله لترتجلين أو لابتعن اليك نسوة من بكر بن وائل بأخذنك بشفار حداد فقالت لرسوله ارتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من مكان يكون هو فيه، وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطال به الكتاب ومما يؤكد ما ذكرناه من ان غرض القوم كان في مباينة أمير المؤمنين (ع) ومظاهرتة بالخلاف وانه لم يكن لاقامة حق واجتهاد ورأى في إصابة طاعة وحوز منوبة بل كان لصغاب بينه وبينهم لاسباب سالفة وأنفة أو طمع في عاجل أو حسد له وبغي عليه. عائشة تفرح وتحزن: وان حكم المرأة لما ذكرناه ظاهر لذوى الاعتبار، وما أجمع على نقله رواية الآثار، ونقلة السير والخبار انه لما قتل عثمان بن عفان خرج البغاة إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت بذلك عائشة فاستبشرت بقتله وقالت قتلته أعماله انه أحرق كتاب الله وأمات سنة رسول الله فقتله الله (١) ومن بايع الناس ؟ فقال لها الناعي لم ابرح المدينة حتى أخذ طلحة بن عبد الله نعاجا لعثمان وعمل مفاتيح لابواب بيت المال ولا شك ان الناس قد بايعوه فقالت أي هذا الاصيبي وهدوك لها محسنا وبها كافيا ثم قالت شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لاتوجه إلى

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٦٠) كانت عائشة أشد الناس عليه تأليا وتحريضا فلما سمعت بقتله قالت أبعد الله وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الأمرة تيمية فلما سمعت أن البيعة تمت لعلي (ع) صاحت واعثماناه قتل عثمان مظلوما، ونقل ذلك عن شيخه المعتزلي أبي يعقوب يوسف اللمعاني.

[٨٦]

منزلي فلما شدوا رجالها واستوتت على مركبها سارت حتى بلغت (سرفا) موضع معروف بهذا الاسم لقيها ابراهيم بن عبيد بن ام كلاب فقالت ما الخبر ؟ فقال قتل عثمان قالت قتل نعتل ؟ ثم قالت اخبرني عن قصته وكيف كان أمره ؟ فقال لها أحاط الناس بالدار وبه ورأيت طلحة بن عبد الله قد غلب على الامر واتخذ مفاتيح على بيوت الاموال والخزائن وتهيا لبياع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب (ع) ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره وخرجوا في طلب علي يقدمهم الاشتهر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمه الله حتى أتوا عليا وهو في بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الاشتهر يا علي ان الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس. قال وكان في الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي كلام قبل ذلك فقال الاشتهر لطلحة قم يا طلحة فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بيوعته ثم سعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا احفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي. فقالت يا أبا بنى بكر أنت رأيت طلحة بايع عليا ؟ فقلت أي والله رأيت بايعه وما قلت إلا رأيت طلحة والزبير أول من بايعه فقالت إنا لله أكره والله الرجل وغضب علي بن أبي طالب

أمرهم وقتل خليفة الله مظلوما ردوا بغالي ردوا بغالي فرجعت إلى مكة. قال وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت أخبرها ما كان فقالت لي هذا بعهدي وما كنت اظن ان الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم احد قلت فان كان بالبلاء فصاحبه الذى بويج ذو بلاء وعناء فقالت يا أبا بنى بكر لا تسلك غير هذا فإذا دخلت مكة وسألك لناس ما رد

[٨٧]

ام المؤمنين فقل القيام بدم عثمان والطلب به. وجاءها يعلي بن منيه فقال لها قد قتل خليفتك الذى كنت تحرضين على قتله فقالت برأت إلى الله ممن قتله. قال الآن ؛ ثم قال لها اظهري البراءة ثانيا من قاتله فخرجت إلى المسجد فجعلت تتبرء ممن قتل عثمان، وهذا الخبر يصرح مضمونه عما ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها في استحلالها دم عثمان حتى بلغها أن أمير المؤمنين قد بويج وبأبعه طلحة والزبير فقلبت الامر وأظهرت ضد الذى كانت عليه من الرأى وانه لو تم الامر لطلحة لاقامت ما كانت عليه وان طلحة والزبير كانا في الاول على عثمان وإنما رجعا عنه لما فاتهما مما كانا يأملانه من ذلك ولم يرجعا عنه لما أظهره من بعد الندم على قتل عثمان والدعاء إلى قتله ولا رجعا عنه استبصارا بضلالة ما كانا يأملانه في ذلك وان الذى ادعته الحشوية لهم من اجتهاد الرأى. باطل ومنحل وان دعوى المعتزلة في الشبهة عليهما فيما صارا إليه من خلاف أمير المؤمنين عليه السلام ليس بصحيح. بل الحق في ذلك ما ذهبت إليه الشيعة في تعمدتها خلافه وأسباب ذلك العداوة له والشنئان مع الطمع في الدنيا والسعى في عاجلها والميل للتأمر على الناس والتملك لامرهم ووسط اليد عليهم وان الرجلين خاصة لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الامر فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين أحدا وعرفا رأى المهاجرين والانصار فمن أرادا الخطوة عنده بالبدار إلى بيعته ووطننا بذلك شركاه في أمره فلما استويا بالحال من بعد وصح لهما رأيه (ع) وتحققا انهما لا يليان معه أمرا فامتحننا ذلك مع ما غلب في ظنهما مما ذكرناه بأن صارا إليه بعد استقرار الامر ببيعة المهاجرين والانصار وبنى هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة عثمان وكانوا على خفاء لاشخاصهم مخافة على دمائهم من أهل الايمان

[٨٨]

فصارا إلى أمير المؤمنين فطلب منه طلحة ولاية العراق وطلب منه الزبير ولاية الشام فأمسك علي عن إجابتها في شئ من ذلك فأنصرفا وهما ساخطان وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه (ع) فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما وكان في عليية داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالوا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة وقد جئناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا ونقضى به حقوقا علينا فقال عليه السلام قد عرفتما مالي (يبين) فان شئتما كتبت لكم ما تيسر فقالا لا حاجة لنا في مالك (يبين) فقال لهما ما اصنع ؟ فقالا له اعطنا من بيت المال شيئا لنا فيه كفاية فقال سبحان الله وأى يد لي في بيت المال وذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم فان شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك ما شئتما فان اذنوا فيه فعلت وأنى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدتهم وغائبهم لكنى ابدى لكم عذرا فقالا ما كنا بالذى نكلف ذلك ولو كلفناك لما اجابك المسلمون فقال لهما ما اصنع ؟ قالوا قد سمعنا ما عندك ثم نزلنا من العلية وكان في أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين سمعتهم يقولان

والله ما بايعنا بقلوبنا وإن كنا بايعنا بألسنتنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) فتركاه يومين آخرين وقد جائهما الخبر باظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره وكراهة من قتل عثمان والدعاء إلى نصره والطلب بدمه وإن عمال عثمان قد هربوا من الامصار إلى مكة بما احتجوه من أموال المسلمين ولخوفهم من أمير المؤمنين ومن معه من المهاجرين والانصار وإن مروان بن الحكم بن عم عثمان ويعلى بن منبه خليفته وعامله كان باليمن و عبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه وعامله على البصرة وقد

[٨٩]

اجتمعوا مع عائشة وهم يدبرون الامر في الفتنة، فصار إلى امير المؤمنين عليه السلام وتيمما وقت خلوته فلما دخلا عليه قالوا يا امير المؤمنين قد استأذناك للخروج في العمرة لانا بعيديان العهد بها إذذن لنا فيها فقال والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة، وإنما تريدان البصرة فقالا اللهم غفرا ما نريد إلا العمرة فقال عليه السلام احلفا لى بالله العظيم انكما لا تفسدان علي امر المسلمين ولا تنكثان لى بيعة ولا تسعيان في فتنة فيذلا السننهما بالايمان المؤكدة فيما استحلّفهما عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما اذن لكما امير المؤمنين ؟ قالوا نعم، فدخل على أمير المؤمنين فابتداه عليه السلام فقال يا ابن عباس أعندك الخبر قال قد رأيت طلحة والزبير فقال (ع) انهما استأذناني في العمرة فأذنت لهما بعد ان استوثقت منهما بالايمان ان لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فسادا والله يا ابن عباس وانى اعلم انهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربى فان يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك وسيفسدان هذان الرجلان علي امرى ويسفكان دماء شيعتي وانصاري. قال عبد الله بن عباس إذا كان ذلك عندك يا امير المؤمنين معلوما فلم اذنت لهما وهلا حبستهما واوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما. فقال له عليه السلام يا ابن عباس انا أمرنى بالظلم ابدأ وبالسيئة قبل الحسنة واعاقب على الظنة والتهمة واأخذ بالفعل قبل كونه كلا والله لا عدلت عما اخذ الله على من الحكم والعدل ولا ابتدأ بالفصل. يا ابن عباسى اننى اذنت لهما واعرف ما يكون منهما، ولكني استظهرت بالله عليهما والله لاقتلنهما ولاخين ظنهما ولا يلقيان من الامر مناهما وان الله يأخذهما بظلمهما لى ونكثهما بيعتى ويغيبهما على وهذا الخبر والذي تقدم مع ما ذكرناه من وجودهما في اثر مصنفات اصحاب السيرة وقد اورده

[٩٠]

ابو مخنف لوط بن يحيى في كتابه الذى صنفه في حرب الجمل وجاء به الثقفى عن رجال الكوفيين، والشاميين، وغيرهم ولم يورد احد من اصحاب الآثار نقيضه في معناه ولا ثبت ضده في فحواه، ومن تأمل ذلك علم ان القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين ولا للمسلمين، وان الذى اظهروه من الطلب بدم عثمان انما كان تشبيها وتليبسا، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان، والتظاهر بتظلم قاتليه وخاذليه والندم على ما فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء واتباعهم في صواب رأى المسلمين مما كان في عثمان وانهم انما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالاحداث التى احدثها في الدين ولكنهم ضلوا بما اظهروه وافسدوا افسادا عظيما بما اظهروه، ولم يثر

المستضعفين في هذا الباب إلا لنأيهم عن معرفة الاخبار وتدبير الاثار واشتبه الامر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما اثبتناه في ذلك من الحديث، وبعدهم عن معرفة طريقه ولعل جمهورهم لم يسمع بشئ منه فضلا عن تدبره وكل من ضل عن سبيل الحق إنما ضل بالتقليد، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد فضل من قد خرج عنه بسوء الرأي، وطريق الانصاف، فيما ذكرناه والنظر فيما وصفناه والتأمل لما اثبتناه من الاخبار فيه وشرحناه والرجوع إلى اهل السير وإلى اختلافهم في الآراء والمذهب وإلى كتبهم المصنفة في الفتن تعرف ذلك منهما ومن تدبر الامر يجده على ما وصفناه والله ولى التوفيق. براءة أمير المؤمنين من الدم: باب آخر في القول فيما يتصل بالمقدم من الكلام في معانيه ثم قد اشتبه الامر في رأى أمير المؤمنين عليه السلام ومذهبه في حصر عثمان

[٩١]

وقتله وتشعب اقوال المختلفين في ذلك، فلم احد أحدا من متكلمي اصحابنا الامامية حصر القول في ذلك، ولا كلاما في معناه يوضح عن الغرض الملتبس على العقلاء وكان كل فريق عدا الامامية من اهل القبلة يقولون في ذلك بظن أو ترجيم، ولا يضع يده في شئ منه على معرفة ويقين، والذي تدل الدلائل عليه من رأى أمير المؤمنين (ع) فيما صنعه القوم بعثمان من الحصار ومطالبته بالخلع، ومنعه الطعام والشراب، لعدم الاجابة لهم على ما دعوه إليه من اعتزال الامر ثم الهجوم عليه بالقتل والقائه على بعض المزابل لا يريدون الصلوة عليه ولا الدفن له ويمنعون من ذلك على ما اجمعت عليه رواة الآثار والاخبار والمتفق على صحته العلماء بالسير من الآثار فقد كره (ع) لجملة من ذلك واعتزل القوم فيه غير انه لم يواطى على كراهة غيره، على نيته فيه ولا وافق سواه من مخالفه على طويتهم في معناه، وذلك انه عليه السلام لم يشرع مع القوم في دعاء عثمان إلى الاعتزال، ولا رأى ما رأوه من حصاره وما ولى ذلك من افعالهم به وانه عليه السلام علم عاقبة الامر في ذلك وتحققها ولم يخف عليه ما يكون في مستقبل الاوقات في الفتنة بذلك، والاختلاف والحروب، وسفك الدماء، فان مخالفه لقديم العداوة له والبغضاء منهم له (ع) والشنآن والحسد والبغى عليه بالطغيان سيقرفونه بقتل عثمان، والسعى في دمه بهتاناً له في ذلك على ما ذكرناه من الطغناء في الدين البعداء عن علمه، ولم يصر إلى الاعتزال مما صنعه القوم بالرجل لولائه ولاعتقاد الجميل فيه، وكيف يكون اعتزاله لهم فيما رأوه من خلعه وحصره وقتله واعتقاد الحق له عليهم وثبوت إمامته بحكم الله في ذلك كما ظنه اولياء الرجل وهو عليه السلام يعلم انه مظلوم بدفعه عن الامر بعد النبي صلى الله عليه وآله وتقدم عليه من لا يستحق ذلك والتصغير من شأنه والحط بذلك له عن قدره والاعراء في السعاية

[٩٢]

بذلك في حجد فضله وإنكار فضله وتظلمه من القوم جميعا في مقام على التلويح والتصريح والتحقيق والتعريض. بقوله (ع) اللهم انى استعديك على قريش فانهم ظلموني ومنعوني حتى وصغروا شأنى ومنعوني حتى اى ار في مقام مشهور. وقوله (ع) في مقام آخر اللهم اجز قريشا عنى الجوازي فقد ظلموني ومنعوني حتى وصغروا شأنى ومنعوني ارثى. وقوله (ع) في مقام آخر لم ازل مظلوما منذ قبض رسول الله. وقوله (ع) اللهم اجز عمرا لقد ظلم الحجر والمدبر. وقوله (ع) والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبي صلى الله عليه وآله إلي ان الامة ستعذر بك من بعدى. وقوله (ع) في مقام

آخر لما قبض الله نبيه لم يكن يرى أحدا بهذا الامر منا اهل البيت حتى قوى عليه غيرنا فابتزنا حقنا منه. وقوله (ع) لما مضى نبينا صلى الله عليه وآله وتقلدها ابو بكر والله ليعلم إنى اولى بها منه كقميصي هذا وقبض قميصه بيده. وقوله صلى الله عليه وآله في خطبته المشهورة اما والله لقد تقمصها ابن قحافة وانه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتأى بين ان اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتى يلقي ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، ارى تراثي نهبا، حتى إذا حضر أجله جعلها في صاحبه عمر فيا عجا بينا هو يستقبلها في حيوته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. وفي كلامه المشهور حتى انتهى إلى الشورى فذكر عمر وقال فجعلها شورى في ستة ! زعم إنى احدهم فيالله وللشورى متى اختلج الرب

[٩٣]

في مع الاولين حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر. ثم انتهى في كلامه إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن في اختياره لعثمان عليه وقال ونهض واحد لضغنه ومال الآخر لصهره وكان عبد الرحمن صهرا لعثمان على اخته في الكلام الثابت في الخطبة إلى آخرها وقوله (ع) في اول خطبة خطبها بعد قتل عثمان وبيعة الناس له قد مضت امور كنتم فيها غير محمودي الرأي اما لو اشاء لقلت ولكن عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه وفرجه يا ويله لو قص جناحه وقع رأسه لكان خيرا له حتى انتهى إلى قوله وقد اهلك الله فرعون وهامان وقارون. فيما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها. وقوله (ع) عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى والله ما املت إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١) ثم انصرف في امثاله لهذا الكلام كثيرا ان قصدنا إثباته لطال به الكتاب وفي ثبوت النص على امير المؤمنين بالامامة في القرآن والاحبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله اوضح دليل على انه (ع) لم يكن قاضيا بتقديم أحد عليه في مقام النبوة ولا مصوبا لهم في ادعاء الامامة فكيف وقد تظافت الاخبار بما ذكرناه ومما كشف به عن عقيدته فيه ورأيه في القوم على ما بيناه ولو لم يكن نص عليه بالامامة ولا ورد عنه مقال في إنكار ما صنعه القوم في التقديم عليه في الامر لكان الدليل القاهر على فضله (ع) بثبوتهم عن جماعتهم بذلك كافيا في كراهة امرهم وإنكاره عليهم ولو فسد الطريق في ذلك اجمع واشتبته الامر فيه لم يعترض ريب في إنكاره احداث عثمان بن عفان التي اجمع على إنكارها المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وما تظاهرت به الاخبار من

(١) تقدم بيان هذا المثل. (*)

[٩٤]

مواليه (ع) على الانكار في مقام بعد مقام. ما نقم به على عثمان: ألا ترى إلى ما جاءت به الاخبار من إنكاره (ع) ادراء الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد استحق القود بقتله الهرمزان ومن قتل معه من اهل العهد بغير حق بمقتضى شريعة الاسلام ولما طالبه القوم للقود منه تغلل عثمان تارة بأن اباه قتل ولا يرى قتله اليوم لئن

لا يجترأ المسلمون بذلك وتواتر عليهم الهموم والغموم ولما خاف من الاضطراب له والفساد فرد عليه امير المؤمنين (ع) هذا الرأي وأعلمه ان حدود الله لا تسقط ولا يجوز تطبيقها بمثل هذا الاعتلال (١) فعدل عثمان إلى تغلل آخر بأن في إسقاط الحد عن ابن عمر خلافا على رأى امير المؤمنين فيه ومضادته فيما دعاه إليه وأشار به عليه في حكم الله تعالى وقال الهرمزان رجل غريب لا ولي له وأنا ولي من لا ولي له وقد رأيت العفو عن قاتله فقال له امير المؤمنين ليس للامام ان يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين إلا ان يعفو الاولياء عنه وليس له ان يعفو عن ابن عمر ولكن ان اردت ان تدرأ الحد عنه فأد الدية إلى المسلمين الذين عم اولياء الهرمزان أو اقسماها مع ما في بيت المال على مستحقه فلما رأى امير المؤمنين دفاع عثمان عن الحد الواجب في حكم الله وتغله في ذلك قال له اما انت فلمطالب بدم الهرمزان يوم يعرض

(١) في صحيح البخاري (ج ٢ - ص ٢٦٢) وصحيح مسلم (ج ٢ - ص ٣٢) والمستدرک عليهما للحاكم (ج ٤ - ص ٣٧٩) ومسنند احمد (ج ٢ - ص ٢٨٦) وسنن ابى داود والسجستاني (ج ٤ - ص ١٣٢) ان النبي صلى الله عليه وآله قال الحدود لا تسقط بحال فلم يقبل شفاعة احد في سارقة الحلبي حتى قطع يدها. (*)

[٩٥]

الله الخلق للحساب واما انا فاقسم بالله فانني لان وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لآخذت حق الله منه وان رغم انف من رغم فاستدعى عثمان عبيد الله ليلا وأمره بالهرب من امير المؤمنين (ع) فخرج من المدينة ليلا وقد أصحبه عثمان كتابا أقطع فيه قرية من قرى الكوفة وهى (كويصة ابن عمر) فلم يزل بها حتى ولي امير المؤمنين (ع) فكان من جملة المعاندين له واجتهد في حربه مع جند الشام فقتله الله بغضه ولقاه أعماله وكفى المسلمين شره. ولما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبى معيط وبيشهدون عليه بشرب الخمر وسكره وصلوته فيها بالناس الفجر وهو سكران وانه قاء بالخمر ونام في موضعه حتى حمل منه وجعل مواضع القرآن شعرا مشهورا، فاغتاط عثمان من الشهود وتغير عليهم وأمر بضربهم فصاروا إلى امير المؤمنين (ع) يشكون إليه أمرهم وما حل بهم من عثمان فقام (ع) حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال ما لك يا ابن أبى طالب أحدث أمر؟ قال نعم حدث أمر عظيم، قال وما ذلك؟ قال عطلت الحدود وضربت الشهود، فقال عثمان فما ترى؟ قال أرى أن تعزل أخاك عن الكوفة وتستدعيه وتقيم عليه الحد قال أنظر في هذا (١). ولما كان من إنكار أبى ذر وإحداث عثمان ما كان ودخل عليه في بعض الايام وعنده قوم يمدحونه بالباطيل فأخذ بيده كفا من التراب وضرب وجوههم فقال له عثمان ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب قال انه لم أفعل إلا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله إذا رأيتم

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٤٠) حوادث سنة ٣٠، والاعاني (ج ١ - ص ٣٠ و ٤ ص ١٧٦) وتاريخ يعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٢). (*)

[٩٦]

المداحين فاحتوا في وجوههم التراب وقد رأيت هؤلاء يتقربون بالباطيل اليك ويمدحونك بما ليس فيك فقال عثمان كذبت فهو إذا

يكذبه ويغلظ له في القول وأبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين فقال له عثمان يا علي أما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله فقال له علي إنزل له يا عثمان فيما قال بمنزلة مؤمن آل فرعون قال الله تعالى (إن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فغضب عثمان وقال اسكت بفيك التراب فجئا (ع) على ركبتيه ثم قال بل بفيك التراب سيكون (١) ولما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ عثمان السوط فألقاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب من شاء منكم فليقم الحد على أخي فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير المؤمنين (ع) وبيده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشتمه الوليد فسبه علي (ع) بما كان أهله وتعتته حتى أثبت إقامة الحد عليه فاستشاط عثمان من ذلك وقال له ليس لك أن تعنفه يا علي ولا لك أن تسبه فقال له عليه السلام بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سببته إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقا ثم ضربه بالسوط وكان له رأسان أربعين جلدة في الحساب بثمانين فحقدتها عليه عثمان. ولما روى عثمان طريد رسول الله وهو الحكم بن أبي العاص الذي لعنه الله وقد كان نفاه النبي من المدينة إلى الطائف وذلك انه كان يؤذى النبي حتى بلغ من أذاه له انه كان يتسلق على حائط بيته ليراه مع ازواجه فضربه صلى الله عليه وآله وهو متطلع عليه ولما وقعت عيناه في عينه كبح في وجه النبي ثم نزل وكان النبي إذا مشى مشى خلفه الحكم يتخلع في مشيته يحكيه وكان من رسول الله صلى الله عليه وآله التفاتة إليه فقال له كن كما

(١) راجع تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٨) ط النجف. (*)

أنت فلا يقدر علي المشي بعدها إلا مخلجا وكان يقف نصب عينه فإذا تكلم صلى الله عليه وآله يذكر شيئا من الوحي إليه وشرع لامته من الدين شيئا ووعظهم وأنذرهم أو وعدهم أو رغبهم وعلم شيئا من الحكم لوى شديقه في وجهه يحكيه ويعيب به فلما طال ذلك منه على رسول الله وقد كان يداري قومه من قبل بالصبر عليه فنفاه إلى الطائف وأباح دمه متى وجد بالمدينة وقضى رسول الله والحكم مطرودا فلما ولي أبو بكر جاءه عثمان فسأله في رده فامتنع عليه وقال له قد مضى رسول الله ولم يأذن له في الرد فاني لا أرده فلما مات أبو بكر وولي عمر جاءه عثمان يسأله في رده فقال له لقد كنت سألت رسول الله في ذلك فلم يجبك وسألت أبا بكر فلم يجبك ولسنت أرى إجابتك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فاني لا اخالف صاحبي (١). ولما ولي عثمان الامر استدعاه من الطائف إلى المدينة وأواه وحباه وأعطاه وقطعه المرید بمدينة الرسول فعظم ذلك على المسلمين وقالوا أوى طريد رسول الله وحباه وأعطاه وصاروا إلى أمير المؤمنين (ع) فسألوه أن يكلمه في إخراجهم عن المدينة وردة إلي حيث نفاه النبي فجاءه أمير المؤمنين وقال له قد علمت يا عثمان ان النبي قد نفى هذا الرجل عن المدينة ولم يرده وان صاحبك سلكا سبيله في تبعيده واتبعنا سنته في ذلك وقد عظم على المسلمين ما صنعت في رده وإيوائه فاخرجه عن المدينة واسلك في ذلك سنة النبي صلى الله عليه وآله فقال يا علي قد علمت مكان هذا الرجل مني وانه عمي وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أخرجه عن المدينة لبلاغه ما لم يصلح عليه وقد مضى النبي لسبيله ورأى أبو بكر وعمر ما رأياه وأنا أرى أن أصل رحمي وأقضي حق عمي وهو ليس شر أهل

[٩٨]

الارض وفي الناس من هو شر منه. فقال (ع) والله لئن بقيت يا عثمان ليقول الناس فيك ما هو شر من هذا ولما كان من عثمان من تفريق ما في بيت المال على اوليائه واقربائه واخراج خمس مال افريقية إلى مروان بن الحكم وتسويغه إياه (١) وجائه زيد بن ثابت بماء الف درهم من بيت المال واقطاعه من أقطع من أرض المسلمين واجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين أعظم المسلمون ذلك وفزعوا إلى علي (ع) فدخل عليه ووعظه وذكر له ما عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان ولم يجبه بحرف فلما طال على أمير المؤمنين سكوته قال له بماذا أرجع إلى المسلمين عنك؟ ألك عذر فيما فعلت؟ قال انصرف يا ابن أبي طالب فساخرج إلى المسجد وتسمع مني جواب ما سألت عنه. ثم خرج عثمان بعد وقت العصر حتى صعد المنبر واجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال: معشر الناس قد بلغني خوضكم في بري أهل بيتي ووصلني لهم وحياتي لمن حبوت من أهلي وأوليائي وأقربائي ان رسول الله من بني هاشم فحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخمس نصيبا ووفره عليهم ونحلهم صفو الاموال وأغناهم عن السؤال وان أبا بكر حبا أهله وخصهم بما شاء من المال وان عمر حبا بني عدى واصطفاهم وخصهم بالاكرام والاعظام وأعطاهم ما شاء من المال وان بني امية وعبد شمس اهلي وخاصتي وأنا أخصهم بما شئت من المال أما والله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلمتها إلى بني امية على رغم أنف من رغم. فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه وقال والله ان أنفي اول انف يرغم بذلك.

(١) في البداية لابن كثير (ج ٧ - ص ١٥٨) ان عثمان اعطى آل مروان الف دينار وعشرين الف دينار. (*)

[٩٩]

وتفرق المسلمون على سخط من مقالته وجاءه خزان بيت المال فالفوا المفاتيح بين يديه وقالوا لا حاجة لنا فيها وأنت تصنع في أموال الله ما تصنع. ولما كتب المسلمون كتابا يذكرون فيه ما ينكرون من أحداثه التمسوا من يوصله إليه ليوقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيه فيه فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر رحمه الله فضمن لهم عرض الكتاب عليه واخذه واستأذن عليه حاجبه في إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه وقد لبس ثيابه وهو يلبس خفيه فقال له مرحبا بك يا عمار فيما جئت؟ قال جئت بهذا الكتاب فاخذه من يده فلما قرأه تغير واستشاط غضبا وقال له يا عاص بطرامه أنت تجتري علي وتلفاني بما أكره ووثب إليه فدفعه حتى انصرع على الارض وداس بطنه وعورته حتى اغمي عليه فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وعرف المسلمون ذلك فأنكروه. وقال فيه أمير المؤمنين ما هو مشهور، وروى ذلك محمد بن اسحق عن الزهري وابو حذيفة القرشي عن رجاله وغيرهما من اصحاب السير وقد كان من أمير المؤمنين (ع) له وعظ مشهور في مقامات اخر وكان بينه وبينه هنات ومهاجرات ومباينات في أوقات متفرقات. فمن ذلك ما رواه ابو حذيفة القرشي قال حدثني اسحق بن محمد قال حدثني الحسن بن عبد الله عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال كان بين

عثمان بن عفان وبين علي (ع) كلام على عهد عمر بن الخطاب فقال له ما تقول في فما ذنبي والله ما تحبكم قريش أبدا بعد سبعين رجلا قتلتم منهم يوم بدر كأنهم شنوف الذهب.

[١٠٠]

علي ينصح عثمان: وروى المدائني عن علي بن صالح قال ذكر ابن داب قال لما غاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا عليا فيه فدخل عليه وقال ان الناس ورائي قد كلموني فيك فوالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغك وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصيحت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن أبي الخطاب بأولى بشئ من عمل الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينالا ولا سبقك إلى شئ فالله الله في نفسك فانك والله لا تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطريق لواضح بين وان أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدي فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله ان كلا لبين وان السنين لقائمة لها أعلام وان البدع لظاهرة لها أعلام وان شر الناس عند الله إمام جائر ضل وصل به فأمات سنة معلومة وأحي بدعة متروكة وإنى سمعت رسول الله يقول: يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإنى أحذرك الله واحذرك سطوته ونقماته فان عذابه شديد أليم واحذرك أن تكون إمام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة وتلبس امورها عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق لعلو الباطل يمجحون فيها موجا ويمرجحون فيها مرجا. فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم فقال (ع) ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله

[١٠١]

وصول امرك إليهم فقال عثمان والله قد علمت ما تقول أما والله لو كنت بمكانى ما أغضبتك ولا عتبت عليك ولا جئت منكرا ولا عملت سوا إن وصلت رحما أو سددت خلة (١). ثم خرج عثمان فجلس على المنبر مغضبا وقال: اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل امر عاهة، وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا لا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عبتم علي بما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنى وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له ما احببتم أو كرهتم واوطأت لكم كتفي وكففت يدى ولساني عنكم فاجترأتم على أما والله لانا عز نفرا وأقرب ناصرا واكثر عددا واقمن ان قلت هلم اتى إلي ولقد اعددت لكم اقرانكم وكشرت لكم عن نأبى واخرجتم مني خلقا لم اكن احسنه ومنطقا لم اكن به انطق فكفوا عني السننكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فانى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرصيتهم منه بدون منطقي هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي وما وجدتمكم تختلفون عليه فما بالكم. فقال مروان بن الحكم ان شئتم حكمتنا بيننا وبينكم السيف فنحن وانتم كما قال الشاعر: فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم * مغارسكم تبون في دمن الثرى فقال عثمان لمروان اسكت أسكتك الله دعني واصحابي ثم نزل

[١٠٢]

عثمان (١) فلما كان بعد ايام عاد إليه علي (ع) فوعظه فقال لست ابدء بك وانى لاعلم شأنك لي دعني واصحابي فقال (ع) لقد ادبت اليك ما اوجب الله علي وخرج من عنده. خطبة عثمان: فلم يكن بأسرع من أن عثمان خرج إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله واثى عليه وقال: أما بعد ايها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً اجهله وما جئت شيئاً الا وانا اعرفه ولكنني منتني نفسي وكذبتني نصيحتي وضل عني رشدي ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من زل فليتب ومن اخطأ فليتب ولا تتمادى بالهلكة فان من تمادى في الجور كان ابعد عن الطريق فانا اول من اتعظ أستغفر الله أستغفر الله مما فعلت واتوب إليه فمثلي نزع وتاب فإذا نزلت فليأتني إشرافكم فليروني رأيهم فوالله ائن ردني الحق عبدا لاكونن له كالمرفوق ان ملك صبر وان عتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي لئن أبت يميني لتتابعني شمالي. فقام إليه المقداد بن عمر فقال يا عثمان ليس بواصل لك ما ليس معك الله الله في نفسك فأتمم على ما قلت (٢). ولما نزل عثمان وجد مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص ونفرا من بنى امية فجلس فقال له مروان يا أمير المؤمنين أتكلم ام أصمت فقالت له نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بل أصمت فأتمم والله قاتلوه ومؤثموه

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ وص ٩٧) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٥٨). (٢) في الطبري (ج ٥ - ص ١١١) نسب القول إلى سعيد بن زيد (*)

[١٠٣]

انه قال مقالة لا ينبغي ان ينزع عنها فاقبل عليها مروان قال لها وما انت في هذا فوالله لقد مات ابوك ولا يحسن ان يتوضأ فقالت مهلا عن ذكر الابهاء فانك تخبر عنه وهو غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عنه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه لاخبرتك عنه ولم اكذب عليه ثم اعرض مروان عنها وقال انكلم ام اسكت فقال له عثمان تكلم قال بأبى انت وامي والله لوددت ان مقالتك هذه كانت وانت ممتنع منيع وكنت اول من رضى بها واعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبين وبلغ السيل الزبى وحين اعطى الخطة الذليلة الدليل والله لاقامة على خطيئة تستغفر منها اجمل من توبة تخوف عليها وانت ان شئت تقرت بالتوبة ولم نقرر بالخطيئة وقد اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج إليهم وكلمهم فانى استحي منهم فخرج إليهم مروان وفتح الباب والناس يركب بعضهم بعضا قال: ما شأنكم قد اجتمعتم ايها الناس كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه كل انسان أخذ باذن صاحبه إلا من اريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين على ما في ايدينا فرجع الناس وخرج بعضهم إلى أمير المؤمنين فقال خرج علينا مروان وقال كذا وكذا وقصوا عليه الخبر فخرج مغضبا حتى دخل على عثمان فقال يا عثمان أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك ويخدعك عن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به والله ما

مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه وأيم الله انى لاراه سيوردك ثم لا
يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك اذهبت والله شرفك
وعلبت على امرك

[١٠٤]

ثم انصرف عنه (١). كتاب عثمان إلى معاوية: وبعث عثمان في الحال
المسور بن مخزوم الزهري بكتاب إلى معاوية ابن ابي سفيان: اما
بعد: فانى كتبت كتابي هذا والله ما أحسبه يبلغك وانا حي وقد رأيتك
ورضيت عنك بمكانك واطمأنت إلى نفسك ووثقت بامنية من منك
ولن تنتهي بك الامنية دون الذلة فاحدهما خير لك من الاخرى وإذا
بلغك كتابي هذا فابعث إلى جيشا سريعا برجل معه من اهل ثقتك
في نفسك واجعله حبيب بن مسلمة ثم أمره فليجعل اليومين يوما
والليلتين ليلة والمنزلين منزلا وان استطعت ان تفاجئني مفاجأة فقد
التقت العصا ولم يبق إلا خذوات واعط وامنع وهات وهلم ونعم ولا
يبين ذلك عاجل وامر ناهض والدين مع اول صدمة والسلام (٢) في
امثال ما اثبتناه من كلام أمير المؤمنين (ع) وإنكاره عليه في مقام
بعد مقام واعتزاله امره وامر القوم حتى كان منه ومنهم ما كان وكيف
يكون علي (ع) معتوبا لعثمان مع ما وصفناه أو راضيا بشئ من افعاله
على ما ذكرناه وكيف لا يكون ساخطا مع ما بيناه ومشاركنا للقوم
جميعا في تبديعه على ما قدمناه غير أنه لم يساعدهم على حصره
ولا اعانهم على خلعه ولا شاركهم في قتله لما اسلفناه من القول
في عاتبة

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١ وص ١١٢) وابن الاثير (ج ٣ - ص ٦٥). (٢) في تاريخ
الطبري (ج ٥ - ص ١١٥) ان معاوية لما وصل إليه الكتاب تريض واطهر كراهية المخالفة
لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علم باجتماعهم عليه فأبطأ في الامر. (*)

[١٠٥]

ذلك وعلمه بها وأحاطته بجميع ما كان منها ولاقامة الحجة على
قارفيه بذمه في بطلان تزويرهم له وأيضاحه عن بهتانهم فيه عليه
وليس ذلك بمناف لرأيه الذى بينا عنه وشرحناه ولنا في أحكام قتل
عثمان وخاذليه وحاصريه ما سننيه عنه شافعا لهذا الفصل ان شاء
الله. الآراء في احداث عثمان: فصل: أعلم علمك الله الخير وجعلك من
اهله ووفقك لما يرضيه انني لم أجد احدا حقق القول في آراء
المنكرين على عثمان ما فعله من الاحداث ولا صوب مذهبهم في
ذلك واكثر من قال منهم قولا فهو مسند له إلى ظن تضعيف إمارته أو
إلى عقد يسبق في ذلك كانوا على مذاهب وآراء متباينة وأغراض
متنافية طائفة منهم تعلقوا عليه باحداث لم ينكروا مثلها من غيره
طمعا فيه واستقصاء مقاله وقصدوا إلى تقلد الامر من بعده ونيل
الرياسة بخلعها منه وقتله فمن هذه الطائفة من قدمنا من ذكر
طلحة والزبير في حصر عثمان وتولى ذلك بنفسه واعوانه وتغلب
على بيت المال في حياته وجعل لاقفال أبوابه مفاتيح في يديه
واجتهاده في سفك دمه بمنع الماء عنه وسعيه في إتلافه بذلك فلما
تم الامر في قتل الرجل تطاول منهم من تطاول الامر وظن انه مختار
متابع فيبطل زعمه بانصراف الناس إلى غيره واختيارهم سواه فلما
فاته ما كان أمله ورجاه بالسعي الذى سعاه وانقياده لبيعة الامام،
أما طمعا أو خوفا فتعقب الرأى ونكث البيعة وخرج عن العهدة وفارق
الاسلام ونصب الحرب له حتى آل أمره في ذلك إلى ما آل، ومنهم
طائفة ارغمها عثمان بمنعه لها المراد منه وردها عن طلباتها وأبطل

رسومها فحققت عليه لذلك وسعت في خلعه وسفك دمه وظنت ان الامر يصير من بعده إلى من يتمكن من قياده ويحبها إلى ملتسمها فلما تم ما سعت فيه فات القوم الذي رجت

[١٠٦]

لهم ما رجت من الامر رجعت عن رأيها إلى نقضه وأظهرت الندم على ما فرط منها وتحيزت إلى الفرقة وصارت مع من ألب على الامام القائم مجتهدة في إزالة الامر عنه ومصيرة إلى من ترجوه معيناً لها ومريداً ومطيعاً لامرهما فعمت الجميع الخيبة مما رجت وكان عاقبة أمرهم خسراً وطائفة انتقضت عاداتها بعثمان والاكرام لها والاعظام ممن تقدمه فصارت بذلك كارهة لأمره وساعية في خلعه وطائفة كان المتقدمون يقلدونهم الاعمال واستبدل بهم منها سواهم من الناس، وحرّمهم ما كانوا يصلون إليه من بيت المال فسعت في ذلك في خلعه وعاونوا من أجله على قتله وطائفة استشنعت احداثاً كانت منه، واعتقدت فيه الضلال بذلك وقصدت في خلعه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما كان منهم غالباً فيما استشنعه وربما كان منهم مصيباً فيه غير ان الغرض كان منهم فيما صنعوه قصداً لنصرة الدين والاسلام وهذه الطائفة هي التي كانت الاصل في الانكار عليه وبفعلها تسبب الاسباب في خلعه وقتله وطائفة منهم كانت تعتقد الحق في أصل الامامة وطريقها وترى ان السالك سبيل عثمان في نيل المراد مشاركا فيما أنكره منه ولم يكن الذين حملهم على معونة حاصريه وقتليه ممن عدناه بشئ من اغراضهم على ما شرحناه وفصلناه بل كان غرضهم في ذلك بما لو تم لهم ما صنعوه فيمن تقدم لسارعوا إليه لكنه لم يتفق لهم في المتقدم وانفق لهم في المتأخر واما خذلوه فجمهورهم تنقسم اغراضهم في ذلك إلى اغراض من سميناه من خذله أو الشك في حاله واحوال حاصريه وقتليه، فذلك لم يجوزوا المعونة لهم عليه ولا تفردوا بالنصرة له منهم. وأما أمير المؤمنين (ع) فلم يكن تفرده عن نصرته وترك النهوض بالدفاع عنه خذلانا له لرأى يستصوبه في خلعه وقتله بل كان رأيه عليه السلام تابعا في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه من الامراء من

[١٠٧]

كافة القوم وكان عالما بعواقب الامور غير شك في المصالح يرى الموادعة والمهادنة والرفود المسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها بذلك فامتنع (ع) من التحمل للدفاع عن حصره وقتله بمثل ما امتنع من دفاع المتقدمين عليه في الامر وذلك لشينين معروفين احدهما عدم الانصار له على مراده في ذلك والثاني لوخيم العاقبة في المباينة للجمهور ولما تقتضي الحرب وتوقع الفتنة وقد دفع عليه السلام عنه بالقول في احوال اقتضت المصلحة دفاعه عنه وأمسك عن الانكار لما كان القوم عليه والرأى في حصره وخلعه وقتله لما عرف من جميل العاقبة في ذلك ولو لم يكن (ع) مستودعا علم ذلك كما تذهب إليه الشيعة فيه لكانت مشاهدته للحال ودلائلها تكفيه وتقنعه فيما صنع وراده في الاحوال والاختلاف بين ذو العقول فان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فعمل عليه السلام في اختلاف الاقوال منه والافعال على علمه بعواقب الامور وشاهد الحال فلذلك التبس الامر على الجمهور في رأيه (ع) في عثمان وقتليه فنسبه بعض الناس إلى الرضا بما صنعه القوم بعثمان ونسبه آخرون إلى المواطاة عليه والتأليب ونسبه آخرون إلى الهوى في ذلك والتقصير فما كان يجب عليه لعثمان ونسبه آخرون إلى الكرهة لما أجرى القوم في حصر عثمان فادعوا أنه كان له مواليا

وبأعماله راضيا ولكن العجز عن نصرته أقعده عنها ثم أكد الشبهة عليهم فيما ذكرناه من اختلاف الاعتقاد في ذلك ما قدمنا في ذكره من أفعاله (ع) المختلفة مع عثمان تارة ينكر عليه ما أنكره المسلمون وتارة يدفع عنه وينهي عن قتله القاصدين إلى ذلك من اهل الامصار، وتارة ينكر على من منعه الماء ويغلظ لذلك ويغضب من خلافه فيه وتارة يجلس في بيته وهو يرى الناس يهرعون إلى قتله وترك الاجتهاد في طلب دمه فلا يكون منه وعظ في ذلك ولا تخويف بالله عزوجل في ذلك وهو

[١٠٨]

في ظاهر الحال مطاع معظم مسموع الامر متبع في الرأي هذا مع هجره لعثمان أحيانا ومنازعته له حيناً وصلحه أحيانا ومسالمته له حيناً وتغليظ القول عليه أحيانا وسعيه في الصلح بينه وبين الناس زماناً وترك ذلك إلى الكف عنه زماناً هذا مع ان المحفوظ من قوله فيه بعد قتله مما تختلف ظواهره وتشتبه معانيه. كقوله (ع): وقتنا والله ما قتلت عثمان ولا مالت في قتله. وقوله (ع) حيناً: الله قتل عثمان. وقوله (ع) وقتنا آخر: لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما دخلها ولو لم يدخل النار إلا قاتل عثمان لما دخلها. وقوله (ع) وقتنا آخر: والله ما غاضني قتل عثمان ولا سرني ولا أحببت ذلك ولا كرهته. وقوله (ع): حيناً آخر: اكبت الله قتلة عثمان. وقوله (ع) عند مطالبة القوم بقتلة عثمان: من قتل عثمان فليقم فقام أربعة آلاف من الناس المتجيزين إليه فقال هؤلاء قتلة عثمان وكون قتلة عثمان خاصة أنصاره وأعوانه واصحابه وإظهاره الولاية لهم والتعظيم والمودة والاکرام مع تقربهم إليه وإثمانه لهم. وقوله (ع): اللهم اقتل قتلة عثمان في بر الارض وبحرها في أمثال ما ذكرناه ولكن الافعال والاقول التي ذكرناها منه متلائمة غير مختلفة في معناها إذا دحض بعضها بعضاً وحمل بعضها على بعض في الرأي الذي تقتضيه الاحوال ويوجبها النظر في العلم بالعواقب وتمام المصالح. رأي الجاحظ في علي: فصل: قد زعم الجاحظ ان أمير المؤمنين (ع) كان ممتحناً بعد

[١٠٩]

قتل عثمان بمحن عظيمة وذلك ان جميع من نصب له الحرب جعل الحجة عليه في دعواه عليه قتل عثمان، قال وظاهر الحال يوهم ذلك عليه لانه كان مبايناً له في الاحوال والاوقات وهاجراً له في زمان وايام وكان المنكرون على عثمان من اهل مصر والعراق يلجأون إليه في السفارة بينه وبين عثمان وكان (ع) فيهم مسموع القول مطاعاً معظماً مأموناً ثم قعد عن نصرته وتقلد الامر من بعده واستنصر على محاربيه بقتله فلم يشك القوم انه قاتله قال وواحدة من هذه الخصال تريب فكيف بجمعها ثم قال: وقد علم الناس قد يكون في هذا المصر الذي يتولاه اميراً ووزيراً وعاملاً من يوصل مثل عمله ويصلح لمثل رتبته ويمد عنقه إلى مثل ولايته ولا يتفق له من مراده من ذلك ويقصده الناظر بما يمنعه من صرفه والتدبر في عزله فيلزم بيته ويقصر مراعاته خوفاً من بيعته في عزله وتولى مقامه فيموت حتف أنفه فلا يشك الناس انه دس إليه من قتله ولو قتل ذلك الانسان ذو غر لغرض لضره أو لطلب ماله لقطعوا ان أمير البلدة وضعه على ذلك ودبر الامر فيه عليه وقد يجلس السلطان بعض الرعية لشئ يجده في نفسه عليه فيموت في الحبس حتف أنفه فيجلف خلق من الناس بالله انه تقدم فخنقه ولا يشك الجمهور انه واطأ على دمه ولو اقسام السلطان بالله اقساماً أكدها على البرائة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله، ثم قال هذا الرجل اعني الجاحظ ان اقوال علي في عثمان انما اختلفت وتناقضت - بزعمه - لانه كان

محتاجا إلى التبرئ من دمه لكف اهل البصرة واهل الشام عنه بذلك وكان محتاجا إلى إضافة دم عثمان إليه لاستصلاح رعيته وارتباطهم لنصرته وليس الامر كما زعمه الجاحظ ولا القصد فيه كما توهمها وإنما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين (ع) في ما زعمه على احوال أهل الدنيا ومن لا دين له ولا يقين ولا تقوى من يصنع ما يصنع

[١١٠]

ويقول ما يقول لعمارة الدنيا ولا يبالي بعاقبة ذلك في الآخرة بل كانت افعال علي (ع) واقواله التي اثبتناها في ما تقدم على الاغراض التي أنبأنا عنها وأوضحنا عن اتفاقها ووافقها للدين والنظر في مصالح المسلمين ومن تأمل ما ذكرناه وفكر فيه بقلب سليم وجدده على ما وصفناه. رأي العثمانية: فصل: وقد زعمت العثمانية ان الذي يدل على مشاركة علي (ع) قتلة عثمان أشياء قد ثبتت بالاخبار وتظاهرت بها الآثار منها انه تولى الصلوة بالناس يوم النحر وعثمان محصور ولم يستأذنه في ذلك وتغلب عليه فيه وهذا مما جعل الشافعي حجة في جواز صحة صلوة المتغلب بالناس يوم الجمعة والعيدين ورد به على أهل العراق وإنكارهم ذلك وقولهم لا تصح الصلوة في الجمعة والعيدين خلف المتغلب فحكى الربيع والمزني عن الشافعي انه قال في هذه المسألة لا بأس بصلوة الجمعة والعيدين خلف الأمر فان عليا (ع) صلى بالناس وعثمان محصور وقد روى ابو حذيفة القرشي عن محمد بن اسحاق وغيره ان قوما صاروا إلى عثمان وهو محصور وقالوا ما ترى إلى هؤلاء الذين يصلون بالقوم في يوم الجمعة بالناس وانت على هذا الحال لم تأمرهم بذلك وقد كان طلحة بن عبيد الله صلى بهم يوم الجمعة في حصار عثمان فحكوا عن عثمان انه قال إذا أحسنوا فاتبعوهم وإن أساءوا فاجتنبوهم الصلوة حسنة فصلوا إذا صلوا، فزعمت العثمانية ان عليا كان متهما بدم عثمان لصلوته بالناس يوم النحر عن غير إذنه وادعى الشافعي انه كان متغلبا بذلك ولم يتعلق احد من قرف طلحة بدم عثمان لصلوته بالناس يوم الجمعة وعثمان محصور ولا نسبوه إلى التغلب بذلك وبرؤه من دمه وهو الذي تولى حصره حتى قتله وكانت شبهتهم في براءة طلحة خلاف لامير المؤمنين (ع) والتتمويه في

[١١١]

حربه بالتظاهر لطلب دمه وعقول هؤلاء القوم عقول ضعيفة واحلامهم احلام سخيصة فلذلك ينقادون من الشبهة إلى ما ذكرناه. ومما تعلق القوم به أيضا في قرف علي (ع) بدم عثمان بعد الذي ذكرناه واعدنا مقامه بالمدينة منذ حصر وقول اسامة بن زيد مشيرا عليه بالخروج عنها على ما رواه حذيفة القرشي عن رجاله قال قال اسامة ابن زيد لعلي لانت والله يا أبا الحسن أعز علي من سمعي وبصري فأطعني واخرج إلى أرضك بينبع فان قتل عثمان وأنت شاهد طلبك الناس بدمه وان لم تشهد لم تعدك بك الناس أحدا، فقال ابن عباس لاسامة يا أبا محمد أتطلب أثرا بعد عين أبعد ثلاثة من قريش وروى يوسف بن دينار عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن أبي ليلى قال سألتني عبد الملك بن مروان حين قدم الكوفة عن قتل عثمان فأخبرته فقال أين كان علي يومئذ فقلت بالمقاعد يأمر فيطاع، وينهى فيطاع ولقد رأيته عند أحجار الزيت مختبيا بسيفه ومناد ينادي أمن الله هذا الناس كلهم إلا الشقي (نعثلا) فقال عبد الملك هل سمعت عليا يقول شيئا ؟ فقال لا، وروى النخعي عن علقمة بن قيس قال أرسلت ام حبيبة بنت أبي سفيان إلى علي وهو قاعد في المسجد: ان امن لي خاصتي ومن في الدار من أهلي، فقال الناس كلهم آمنون إلا الشقي ابن أبي العاص وروى خالد الحذا عن رجل

من بني شيبان قال رأيت عليا يوم قتل عثمان يخطب الناس على المنبر وعليه السلاح فجعلت العثمانية هذه الاشياء شيئا لها فيما قذفت به أمير المؤمنين (ع) من دم عثمان واحتجت أيضا في ذلك بما صنعه علي (ع) عند قتل عثمان من أخذ نجائبه وأدراعه وأورد في ذلك قول الوليد بن عقبة يخاطب بني هاشم ويعاتبهم عند قتل عثمان (١):

(١) ذكر أبو الفرج في الاغانى (ج ٤ - ص ١٧٤) في - (*)

[١١٢]

بنى هاشم ردوا سلاح ابن اختكم * ولا تنهبوه لا تحل مناهيه بنى هاشم كيف التودد بيننا * وتبر ابن اروى فيكم وجوائبه بنى هاشم انى وما كان منكم * كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه هم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مراربه فان لم تكونوا قاتليه فانه * سواء علينا مسلموه وسالبه واحتجوا أيضا بقول حسان بن ثابت الانصاري في قتل عثمان: ضحوا بأشمط عنوا السجود له * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا يا ليت شعرى وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله اكبر يا ثارات عثماننا وله ايضا: من عذيري من الزبير ومن * طلحة هاجا أمرا له اعسار حين قالوا للناس دونكم العلى * ج فشبت وسط المدينة نار واصطلاها محمد بن أبى بكر * جهارا وخلفه عمار وعلي في بيته يسأل النا * س رويدا وعنده الاخبار باسما كفه بريد ذراعيه * وفيه سكينه ووقار خذلته الانصار إذ حضر المو * ت وكانت تعاند الانصار وكذلك اليهود ضلت عن الدي * ن - ن بما زينت لها الاخبار وامثال ما ذكرناه والجواب عن * جميعه سهل قريب والمنة لله الدفاع عن علي: فصل: فاما الجواب عما تعلقوا به من قذف علي (ع) بدم عثمان من حيث تولى الصلوة بالناس يوم النحر وعثمان محصور فهو مبنى على

- الرواية عن محمد بن حبيب ابياتا تسعة. (*)

[١١٣]

مذهبين: أحدهما الشيعة الفاتلين بالنص على علي القاطعين على إمامته بلا فصل، وهو انه إذا كان الامام المفترض الطاعة فله ان يتولى كلما يتمكن من توليه مما اقتضته إمامته، والامامة تقتضي إمامة المسلمين في الصلاة والتقدم عليهم في الجهاد، وإقامة الحدود والاحكام وليس متى تولى الامام شيئا مما له توليته عند الامكان دل ذلك على انه ساع في دم انسان ومريد لقتله على كل حال والجواب على المذهب الآخر وهو القول بالاختيار ان الامام إذا غير وبدل وأحدث ما يفسخ به عقده فلا فاضل الناس أن يتولى أمر الصلاة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يعقد الامام من بعده وعلى مذهب القوم الذين رأوا إقامة الامام بالاختيار ان في خلع عثمان باحدثه قد زال فرض طاعته بذلك وكان للافضل منهم أن يقدموا في الصلاة بهم من يرون إلى أن يتم الامر في العقد لمن يستحق ذلك ؛ ولو كان هناك من يعتقد ان إمامة عثمان لم تزل بأحدثه، إلا أنه ممنوع من الصلاة بالناس لكان للافضل أن يتولوا

الصلاة نيابة عنه في تلك الحال فعلى كل المذهبيين اللذين ذكرناهما لا تجب بصلاة علي يوم النحر بالناس وعثمان محصور أن يقضى عليه بانه كان مريدا لقتله، فضلا أن يكون مشاركا فيه وقد روى الخصم عن عثمان لما اوذن بصلاة طلحة بالناس، واستؤذن في الصلاة معه، قال لهم إذا أحسنوا فاتبعوهم وإذا أسأوا فاجتنبوهم فحكم لصلاتهم بالحسن وان كان محصورا لم يأذن فيها لهم ولم يولهم ذلك إلا انه اباحه ووصف المصلين بانهم في ذلك محسنون فان تعلق المخالف على علي عليه السلام في قتل عثمان بصلاته بالناس وهو محصور لولا انه تعنت بذلك عادل عن طريق الانصاف واما تعلقهم بعود أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة حتى قتل عثمان، وتركه الخروج منها ومباعدة القوم فيما صنعوه وما أشار عليه اسامة من الخروج وتحذيره في قعوده بمطالبة

[١١٤]

القوم له بدم عثمان فليس أيضا ما ثبتت به الحجة على ما ادعوه من قبل انه لا يمتنع أن يكون مقامه بالمدينة في تلك الحال لتدبير الدفاع عنه ولو كان خرج عنها لتعجل من قتل القوم له ما تأخر ولم يكن أيضا يؤمن ان يتعدى القتل منه إلا غيره وتحدث فتنة لا يتلافى صلاحها فجلس (ع) لذلك ولم يجلس لمعونة علي قتل عثمان، بل لو خرج من المدينة في حال حصر القوم الرجل لكانت التهمة إليه في قتله اسرع مع ما ذكرناه من المحذور، واما نقلهم جواب ابن عباس لاسامة وقوله أبعد ثلاثة من قريش تطلب أثرا بعد عين، فليس فيه أيضا دليل على إثارة ابن عباس لأمير المؤمنين (ع) قتل الرجل ولا فيه حجة على انهما شركا يفى ذلك من تولاه وانما يدل على إثارة ابن عباس ان يكون الامر فيهم بعد عثمان، ولسنا ننكر أن يكون عليا كان مؤثرا للتمكن من الامر بعد عثمان ليقوم بذلك حدود الله وينفذ به أحكامه، وينظر في مصالح المسلمين، ومن أثر ذلك من أهله فهو محمود وهذا يستمر على مذهب الشيعة الامامية والزيدية والجارودية والقائلين بالنص عليه وعلى مذهب اصحاب الاختيار معا. فاما اصحاب النص فيقولون انه الامام المفترض الطاعة على الانام وكان يجب أن يجتهد بالمتوصل بما للائمة إقامته وتولي ما لهم توليته وان لا يفرط في ذلك ولا يهمله وإذا كان مقامه لما ذكرناه كان به محمودا ولم يجز صرف الغرض فيه إلى ما ادعاه الخصوم من خلافه مع انه لم ينكر انما كان مقامه بالمدينة لدفاع ما كان يحذر من إمامة من لا يستحق الامر بعد قتل عثمان فأقام لدفاعهم عن ذلك لوجوده بينهم وعلمه برأي الناس في تقديمه على غيره ولو كان نائبا عن المدينة لغلب على الامر من يعسر على الأمة صرفه عنه ممن لا يؤمن على الدين وهو مستمر على اصول أصحاب أهل الاختيار كما استمر على اصول

[١١٥]

أصحاب النص وليس فيه دليل على ما يتعلق به القوم من قذفه بقتل عثمان حسيما بيناه وشرحناه. واما قبض أمير المؤمنين (ع) عند قتل عثمان النجائب والادراع (١) التي قبضها مما كان منسوباً إلى عثمان والتعلق بشعر الوليد بن عقبة على ما أثبتناه عنه فيما سلف وسطرناه فليس أيضا بحجة لقاذف علي (ع) بقتل عثمان وذلك انه لو لم يقبض ذلك علي (ع) لاسرع إلى قبضه ونهبه وتملكه من ليس له ذلك بحق من الرعية واحتاط بقبضه واحرازه لاربابه وقد كان هو الامام باتفاق الجمهور بعد عثمان وللإمام ان يحتاط لاموال المسلمين وتركات من قضى بينهم ليصل إلى مستحقه دون غيرهم وليس إذا التمس الوليد بن عقبة ما لا يستحق فمنع منه كان ذلك لغلول المانع

له بما التمسه ولا لتغلبه عليه ولا قول الوليد ايضا مسموع ولا شهادته مقبولة مع نزول القرآن بتفسيره، قال تبارك وتعالى اسمه (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد روى اهل التفسير ان هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين أنغذه النبي صلى الله عليه وآله إلى قوم يقبض منهم الصدقات فعاد مدعيا عليهم انهم منعه من ذلك وخرجوا إلى حربه فأعد رسول الله جماعة لحربهم فورد وارد بتكذيب الوليد وانهم على الاسلام والطاعة فأنزل الله تعالى ما اثبتناه فيه (٢). وجاء في الحديث المشهور ان الوليد قال لامير المؤمنين في محاوره

(١) روى في الاغانى (ج ٤ - ص ١٨٥) ان أمير المؤمنين (ع) أخذ من دار عثمان ابل الصدقة والسلاح، أقول وليس لاحد رد عليه بعد ان تمت البيعة فكان الخليفة المطلق يتصرف بما يراه من الصلاح. (٢) رواه البيهقي في تفسيره بهامش تفسير الخازن (ج ٦ - ص ١٨٥ والالوسي في روح المعاني (ج ٢٦ - ص ١٤٤). (*)

[١١٦]

جرت بينهما أنا أبسط منك لسانا وأحد سنانا قال عليه السلام اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (١) وبعد فلو كانت الادراع والنجائب التي قبضها أمير المؤمنين (ع) بعد قتل عثمان ملكا له، لكان اولاده وأزواجه أحق بها من الوليد وكان ارتباط علي (ع) ليوصلها إلى ورثته أولى من تسليمها للوليد وأمثاله من بني امية الذين ليس لهم من تركة عثمان نصيب على حال فكيف وقد ذكر الناس في هذه الادراع والنجائب انها من الفيئ الذي يستحقه المسلمو فغلب عليها عثمان واصطفاها لنفسه فلما بايع الناس عليا انتزعها (ع) من موضعها ليجعلها في مستحقها فما في ذلك من تهمة بقتل عثمان لولا العمى والخذلان. واما شعر حسان ابن ثابت وما تضمنه من التعريض على أمير المؤمنين (ع): وليت شعري فليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا ليسمعن وشيكا في ديارهم * الله اكبر يا ثارات عثماننا فهو لعمرى قذف بدم عثمان فلم يكن قوله حجة لنصغي إليه ولا كان عدلا فتقبل شهادته وقد نص التنزيل على رد شهادته فقال الله عزل وجل: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا منهم شهادة أبدا اولئك هم الفاسقون) ولا خلاف ان حسان كان ممن قذف عائشة وجلده النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله على قذفه وإذا كان القرآن حاصرا على المسلمين قبول شهادة الفاسقين فوجب رد شهادة حسان وان لا يقبل منه على حال مع انه لا خلاف بين أهل العراق من ان القاذف مردود الشهادة وان تاب فعلى قول

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (ج ٤ - ص ١٧٨) وتفسير الخازن (ج ٣ - ص ٢٧٠) والاعانى (ج ٤ - ص ١٨٥) وابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ١٠٣). (*)

[١١٧]

هذه الفرقة شهادة حسان مردودة على كل حال وأما من ذهب إلى أن القاذف تقبل شهادته عنه التوبة فيبينهم في ذلك اختلاف فمنهم من يقول انه يشترط في توبته أن يقف في الموضع الذي قذف فيه فيكذب نفسه ويظهر التوبة من جرمه ولم يدع أحد أن حسان كذب

نفسه ظاهرا ورجع عن قذفه مختارا فلا توبة له على قول هذا الفريق واما الفريق الاخر فانهم قبلوا شهادة القاذف بعد توبته ولم يشترط في توبته ما ذكرناه فليس معهم دليل على أنه تاب والظاهر منه القذف الذي يستحق به التفسيق ورد الشهادة في دين الاسلام فلا تعلق في قول حسان في قذف أمير المؤمنين (ع) بدم عثمان على كل حال على أن حسان مذموم مردود القول باتفاق أهل الاسلام وعلى كل مذهب لاهل القبلة وذلك انه قال في يوم الغدير بمحضر من النبي صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين ما قال وشهد له بالامامة والنص فيها عليه من الله تعالى فردته المعتزلة بذلك وأنكرته الحشوية ودفعته الخوارج وكذبه جميع من سميناه ولم يحتج فيه إلا على مذهب الشيعة الامامية والجارودية دون من سواهما من فرق الامة على ما ذكرناه وقوله الذي قدمنا ذكره وأشربنا إليه على الاجمال هو هذا: يناديهم يوم الغدير نبينهم * يخم وأسمع بالنبي مناديا يقول فمن مولاكم ووليككم * فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا ألهمك مولانا وأنت ولينا * ومالك فبنا في المقالة عاصيا فقال له قم يا علي فإني * رضيتك من بعدى إماما وهاديا فمن كنت مولاه فأنت وليه * فكونوا له انصار صدق مواليا هناك دعا اللهم وال وليه * وكن للذي عادى عليا معاديا (١)

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ١٧ ط نجف وتذكرة الخواص ص ٢٠ ومناقب الخوارزمي ص ٨٠. (*)

[١١٨]

وهذا القول مقبول عند الشيعة لانه قاله بمحضر من رسول الله ومشهده فلم ينكر عليه فصارت الحجة في صوابه شهادة رسول الله بحقه والناصية بأجمعها ترد عليه وتكذبه فيه ثم تقبل قوله في القذف الباطل وحال الفتنة الظاهرة ولا شاهد لهم على ما ادعوه ثم هو في وصفه لعثمان بأنه ظلم فيما صنع به وانه كان بريئا عند الله ومن أهل التقى والايمان مردود الشهادة عند جميع حاصري عثمان وقائليه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وعند كافة الشيعة والمعتزلة والخوارج حين قال: ضجوا بأشمط عنوان السجود له * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا إذ كان حسان مكذبا في قوله على مذهب ما ذكرناه من اهل القبلة ومردود الشهادة بما سلف له من قذف المحصنات لم يعتمد في الحجة بقوله المفترى به ومن برهان شمله الخذلان ثم هو في قول له آخر يكذب عند الشيعة بأجمعها وجمهور المعتزلة والمرجئة والحشوية القائلين بأن أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وأبى على الجبائي وابنه ورهطهما ومن شركهما في الوقف وترك القطع في التفضيل لاحد من الخلفاء الاربعة على غيره وذلك في مريته لابي بكر: إذا تذكرت شجوا من اخي ثقة * فأذكر اخاك ابا بكر بما فعلا خير البرية أتقاهها وأعدلها * بعد النبي وأوقاهها بما جملا الثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس ممن صدق الرسلا وهذا يكشف لك عن سقوط من تعلق في شئ من الدين بقول حسان من ابطال من جعل قوله حجة على كل حال وتبين انه كان في ما يقول نظما ونثرا على مذهب الشعراء الذين لا يتقون السيئات ولا يتورعون عن الخطيئات ولا يبالون بارتكاب الزلات ويقدمون على الاباطيل في ارتكاب الموبقات ممن وصفهم الله تعالى في كتابه فقال (والشعراء

[١١٩]

يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) وقد كان حسان ممن يشكر نعمة عثمان عليه واحسانه إليه ولم يكن ممن يرجع إلى تقوى فيحجزه من الباطل فيما ادعاه وإن امرأ يعتمد على قول حسان وأمثاله في القدح على أمير المؤمنين ويصوب استنغار الناس عليه واغراءهم به لخفيف الميزان عند الله بين الخسران وبالله المستعان فتنة الجمل: باب: الخبر عند ابتداء فتنة أصحاب البصرة في تديورها والاجتماع منهم على العمل عليها وما جاءت به الاخبار المتطافرة في ذلك قد اسلفنا القول في اسباب هذه الفتنة والدواعي إليها والاعراض التي كانت فيها وذكرنا من براهين الحق على ما اصلناه من المذهب الصحيح في ذلك وابطال شبهات الصالين فيه ونحن نبدأ بشرح القصة في ابتداء امر اصحاب الفتنة، وما عملوا عليه فيها وتجدد من رأيهم في تديورها حسيما جاءت به الاخبار المستفيضة بين العلماء بالسير والحوادث المشهورة. فصل: لما تم امر البيعة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) واتفق على طاعته كافة بني هاشم ووجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأيس طلحة والزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لاحدهما بالامامة وتحققت عائشة بنت ابي بكر تمام الامر لعلي بن ابي طالب أمير المؤمنين واجتماع الناس عليه وعدو لهم عن طلحة والزبير وعلمت انه لا مقام لهما بالمدينة بعد خيبتها مما املاه من الامر وعرف عمال عثمان ان أمير المؤمنين لا يقرهم على ولاياتهم وانهم ان ثبتوا في أماكنهم أو صاروا إليه طالبهم الخروج مما في أيديهم من اموال الله عزوجل وحذروا من عقابه على تورطهم في خيانة المسلمين وتكبرهم على المؤمنين واستحقاقهم بحقوق المتقين واجتباؤهم الفجرة

[١٢٠]

الفاسقين عمل كل فريق منهم على التحرز منه واحتال في الكيد له واجتهد في تفريق الناس عنه فسار القوم من كل مكان إلى مكة استعادة بها وسكنوا إلى ذلك المكان وعائشة بها وطمعوا في تمام كيدهم لامير المؤمنين للحيز إليها والتمويه على الناس بها وكانت عائشة يفدرها كثير من الناس لمكانها من النبي صلى الله عليه وآله وانها من امهات المؤمنين وابنة ابي بكر المعظم عند الجمهور وان كل عدو لعلي بن ابي طالب (ع) يلتجئ إليها متى اظهرت المباينة له ودعت إلى حربه وافساد أمره فلما تواترت الاخبار عليها وهي بمكة وتحيزها عن عثمان لقتل المسلمين له قبل أن تعرف ما كان من امر المسلمين بعده عمدت على التوجه إلى المدينة راجية بتمام الامر بعد عثمان لطلحة والزبير زوج اختها فلما صارت ببعض الطريق لقيت الناعي لعثمان فاستبشرت بنعيه له وما كان من امر الناس في اجتماعهم على قتله ثم استخبرت عن الحال بعده فأخبرت ان البيعة تمت لامير المؤمنين بعده وان المهاجرين والتابعين لهم باحسان وكافة اهل الايمان اجتمعوا على تقديمه والرضاء به فساءها ذلك وأحزنها وأظهرت الندم على ما كان منها في التأليب على عثمان والكراهة لتمام الامر لعلي بن ابي طالب فأسرعت راجعة إلى مكة فابتدأت بالحجر فتسترت فيه ونادى مناديا باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا تكلمت من وراء الستر تدعوا إلى نصره عثمان وتنعاها إلى الناس وتبكيه وتشهد انه قتل مظلوما وجاءها عبد الله بن الحضرمي عامل عثمان على مكة فقال قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره فقالت سبحان الله أنا طلبت قتله انما كنت عاتبة عليه من شئ ارضاني فيه (١)

(١) في تاريخ البيهقي (ج ٣ - ص ١٥٢) ط النجف كان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك انه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيرها اسوة غيرها من نساء رسول الله وان عثمان ليخطب في - (*)

قتل عثمان والله من عثمان بن عفان خيرا منه وارضى عند الله وعند المسلمين والله ما زال قاتله - تعني أمير المؤمنين (ع) - مؤخرا منذ بعث محمد صلى الله عليه وآله وبعد أن توفي عدل عنه الناس إلى الخيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ولا يرويه أهلا للامر ولكنه رجل يحب الامرة والله لا تجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى قيام الساعة. ثم قالت: معاشر المسلمين ان عثمان قتل مظلوما ولقد قتل عثمان من اصبع عثمان خير منه وجعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين وتحثهم على نقض عهده ولحق إلى مكة جماعة من منافقي قريش وصار إليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين ولحق بها عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم بن ابي العاص وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بني امية وانجازوا إليها وجعلوها الملجأ لهم في ما دبروه من كيد أمير المؤمنين (ع) وجعل كل من ينحاز عن أمير المؤمنين حسدا له وبغضا أو شاننا له أو خوفا من استيفاء الحقوق عليه أو لاثارة فتنة أو ادغال في الملة ينضم إليها وهي على حالتها وسنتها تنعى إليهم عثمان وتبرء من قاتله وتشهد له بالعدم والاحسان وتخبر انه قتل مظلوما وتحث الناس على فراق أمير المؤمنين والاجتماع على خلعه ولما عرف طلحة والزبير حالها وحال القوم عمدا على اللحاق بها والتعاوض على شقاق أمير المؤمنين فاستأذناه في العمرة على ما قدمناه وذكرنا الخبر في معناه وشرحناه وسارا إلى مكة خالعين الطاعة ومفارقين للجماعة فلما ورد اليهما فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طافا في البيت طواف العمرة وسعيا بين الصفا والمروة وبعثا إلى عائشة عبد

- بعض الايام إذ دلت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ونادت يا معشر المسلمين هذا جلاب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته فقال (رب اصرف عني كيدهن ان كيدهن عظيم). (*)

الله بن الزبير وقالوا له امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منا وقل لها ان طلحة والزبير يقرءك السلام ويقولان لك ان أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما وان علي بن ابي طالب ابتز الناس امرهم وعلبهم عليه بالسفهاء الذين تولوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الامر به فان رأيت أن تسيري معنا لعل الله يرتق بك فتق هذه الامة ويشعب بك صدعهم ويلم بك شعثهم ويصلح بك امورهم فأناها عبد الله فبلغها ما ارسله به فاطهرت الامتناع من اجابتها إلى الخروج عن مكة. وقالت يا بني لم أمر بالخروج لكني رجعت إلى مكة لاعلم الناس ما فعل بعثمان امامهم وانه اعطاهم التوبة فقتلوه تقيا نقيا برياً فيرون في ذلك رأيهم ويثيرون على من انقرهم امرهم وغصبهم امرهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة بتكبر وتجبر ويطن ان الناس يرون له حقا كما كانوا يرونه لغيره هيئات هيئات يطن ابن ابي طالب يكون في هذا الامر كاهن ابي قحافة لا والله ومن في الناس مثل ابن ابي قحافة تخضع إليه الرقاب ويلقى إليه المنقاد وليها والله ابن ابي قحافة وخرج منها كما دخل ثم وليها اخو بني عدى فسلك طريقه ثم مضيا فوليا ابن عفان فركبها رجل له سابقة ومصاهرة لرسول الله وأفعال مع النبي المذكورة لا يعمل أحد من الصحابة مثلما عمله في ذات الله وكان محبا لقومه فمال بعض الميل فاستتبناها فتاب ثم قتل فيحق للمسلمين ان يطلبوا بدمه فقال لها عبد الله فإذا كان هذا قولك في علي يا امه ورأيك في قاتلي عثمان فما الذي يقعدك عن

المساعدة على جهاد ابن أبي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدان فقال يا بني افكر فيما قلت وترجع إلي فرجع عبد الله إلى طلحة والزبير بالخبر. فقالا قد أجابت أمنا والحمد لله إلى ما نريد ثم قال له باكرها في غد فذكرها امر المسلمين واعلمها إنا قاصدان إليها لنجدد بها عهدا ونحكم

[١٦٣]

معها عقدا فباكرها عبد الله وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها فأجابته إلى الخروج ونادى مناديا ان ام المؤمنين تريد ان تخرج تطلب بدم عثمان فمن كان يريد ان يخرج فليتها للخروج معها وصار إليها طلحة فلما أبصرت به قالت يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت عليا فقال يا امه ما مثلى إلا كما قال الاول: ندمت ندامة الكسعي لما * رأته عيناها ما صنعت يدها وجاءها الزبير فسلم عليها فقالت له يا أبا عبد الله اشتكرت في دم عثمان ثم بايعت لعلي وأنت والله أحق بالامر منه فقال لها الزبير أما ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي من ذلك ولن أترك الطلب بدم عثمان والله ما بايعت عليا إلا مكرها التفت به السفهاء من أهل مصر والعراق واستلوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه وصار إلى مكة عبد الله ابن أبي ربيعة وكان عامل عثمان على صنعاء فدخلها وقد انكسر فخذته وكان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله انه لما اتصل بابن ربيعة حصر الناس لعثمان أقبل سريعا لنصرته فلقه صفوان بن أمية وهو على فرس يجرى و عبد الله بن أبي ربيعة على بغل فدنا منها الفرس فحادت فطرح ابن أبي ربيعة وكسرت فخذة وعرف ان الناس قد قتلوا عثمان فصار إلى مكة بعد الظهر فوجد عائشة يومئذ بها تدعو إلى الخروج لطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في المسجد ثم حمل ووضع عليه وقال للناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه فجهز ناسا كثيرا ولم يستطع الخروج معهم لما كان برجله. وروى عبد الله بن السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد يحرض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل من جاء وكان يعلى بن منبه التميمي حليف بني نوفل عاملا لعثمان على الجند فوافى الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره

[١٦٤]

وقال أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه وكان قد صحب ابن أبي ربيعة مالا جزيلا فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة. وروى الواقدي قال حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال سمعت يعلى بن منبه يقول وهو مشتمل بصره فيها عشرة آلاف دينار وهي عين مالي أقوى من طلب بدم عثمان فجعل يعطي الناس واشترى أربعمئة بعير وأناخها بالبطحاء وحمل عليها الرجال (١). ولما اتصل بأمر المؤمنين (ع) خبر ابن أبي ربيعة وابن منبه وما بذلاه من المال في شقاقه والافساد عليه قال والله ان ظفرت بابن منبه وابن أبي ربيعي لاجعلن أموالهما في سبيل الله، ثم قال بلغني ان ابن منبه بذل عشرة آلاف دينار في حربي من أين له عشرة آلاف دينار؟ سرقتها من اليمن ثم جاء بها لئن وجدته لاخذته بما اقربه فلما كان يوم الجمل وانكشف الناس هرب يعلى بن منبه ولما رات عائشة اجتماع من اجتمع بمكة إليها من مخالفة علي والميمنة له والطاعة لها في حربه تأهبت للخروج وكانت في كل يوم تقيم مناديا ينادي بالتأهب للخروج وكان المنادي ينادي فيقول من كان يريد المسير فليسر فان ام المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم. وروى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد

عن عبد الله ابن أبي رافع عن ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت كنت مقيمة بمكة تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أر إلا رسول طلحة والزبير جاءني عنهما يقول ان ام المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت معها رجونا ان يصلح بكما فتق هذه الامة فأرسلت اليهما والله ما بهذا امرت ولا عائشة لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا لا نخرج للحرب أو للقتال مع ان أولياء عثمان غيرنا والله لا يجوز لنا عفو ولا صلح ولا

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٦٦). (*)

[١٣٥]

قصاص وما ذاك إلا لولد عثمان واخرى نقاتل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ذو البلاء والعناء وأولى الناس بهذا الامر والله ما أنصفتما رسول الله في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق وتتركوا نساءكم في بيوتكم ثم أرسلت إلى عائشة فنهتها أشد النهي عن طلحة والزبير في الخروج لقتال علي (ع) وذكرتها امورا تعرفها وقالت لها أنشدك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لك اتق الله واحذري أن تبيحك كلاب الحوآب فقالت نعم وردعتها بعض الردع ثم رجعت إلى رأيها في المسير (١). مؤامرة الناكثين: فصل: فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزبير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطانتهم وقالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فان بها شيعة عثمان وانصاره وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبة ونسيه وقد عمل على استعداد

(١) في تذكرة الخواص ص ٣٨ ذكر نهى ام سلمة لها فلما رأتها لا تقبل قالت: نصحت ولكن ليس للنصح قابل * ولو قبلت ما عنفتها العواذل كان بها قد ردت الحرب رحلها * وليس لها إلا الترحل راحل وفي المحاسن والمساوي للبيهقي (ج ١ - ص ٢٣١) ان ام سلمة حلفت ان لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب علي فدخلت عائشة عليها يوماً وكلمتها فقالت ام سلمة ألم أنك ألم أقل لك قالت إني استغفر الله كلميني فقالت ام سلمة يا حائط ألم أنك ألم أقل لك فلم تكلمها ام سلمة حتى ماتت. (*)

[١٣٦]

الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعونه على الطلب بدم عثمان وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان ان ينفذ لنا الجند من الشام فان أبطنا عن الخروج خفنا أن يدهمنا علي (ع) بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من ان يفرق كلمتنا وإذا أسرعنا المسير إلى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وان اقام بالمدينة سيرنا إليه جنوداً حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وان سار فهو كالي ونحن جامون وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا بقل جموعه واهلاك نفسه أو إراحة المسلمين من فتنته. ام سلمة تحذر عائشة: وبلغ ام سلمة اجتماع القوم وما خاضوا فيه فيكت حتى اخضل خمارها ثم أدنت ثيابها فلبستها ومشيت إلى عائشة لتعظها وتصدها عن رأيها في مظاهرة أمير المؤمنين (ع) بالخلافة وتقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت إليها قالت إنك عدة رسول الله بين امته وحجابك مضروب على حرمة وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبدنيه وأملك خفرك فلا تضحها الله الله من وراء هذه الآية قد علم رسول الله مكانك لو

أراد أن يعهد اليك لفعل بل نهاك عن الفرط في البلاء وان عمود الدين لا يقام بالنساء ان انثلم ولا يشعب بهن ان انصدع فصدع النساء غض الاطراف وحف الاعطاف وقصر الوهادة وضم الذبول وما كنت قائلة لو ان رسول الله عارضك ببعض الفلاة ناصة قلوفا من منهل إلى آخر قد هتكت صداقته وتركت عهده ان يغير الله بك لهواك على رسول الله أتدريين والله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحيت ان القى رسول

[١٢٧]

الله صلى الله عليه وآله هاتكة حجابا قد ستره علي اجعلني حصنك بيتك وقاعة البيت قبرك حتى تلقينه وانت على ذلك أطوع ما تكونني له ما لزمته وانظري بنوع الدين ما حلت عنه. فقالت لها ما اعرفني بوعظك واقبلني لنصحك ولنعم المسير مسير فزعت إليه وأنا بين سائرة ومتاخرة فان اقعده فمن غير جزع وان اسير فالى ما لا بد من الازدياد منه. فلما رأت ام سلمة ان عائشة لا تمتنع عن الخروج عادت إلى مكانها وبعثت إلى رهط من المهاجر بن والانصار قالت لهم لقد قتل عثمان بحضرتكم وكانا هذان الرجلان اعني طلحة والزبير يشيعان عليه كما رأيتم فلما قضى امره بابعا عليا وقد خرجا الآن عليه زعما انهما يطلبان بدم عثمان ويريدان ان يخرجوا حبيسة رسول الله معهم وقد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا ان يقرن في بيوتهن (١) فان كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره وتخرجه الينا نعرفه فاتقوا الله عباد الله فانا نامركم

(١) في تفسير روح المعاني للالوسي (ج ٢٢ - ص ٦) عند قوله تعالى (وقرن) روى البزار عن أنس ان النساء جنن إلى رسول الله بعد نزول الآية فقلن لقد ذهب الرجال بالفضل والجهاد فهل لنا عمل ندرك به فضل المجاهدين فقال: من فعدت منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين. قال الالوسي وقد يحرم عليهن الخروج الزيارة والمسجد ويكون محرما كبيرة إذا تحققت الفتنة بخروجهن وفي الدر المنثور للسيوطي (ج ٥ - ص ١٩٦) ان سودة بنت زمعة زوجة النبي صلى الله عليه وآله لم تحج بعد نزول الآية فقيل لها في ذلك قالت اني حججت واعتمرت وامرني ربي تعالى شأنه ان أقر في بيتي فلا أخرج حتى تخرج جنازتي قال وأخرج مسروق ان عائشة كلما قرأت (وقرن في بيوتكن) تبكي حتى تبل خمارها. (*)

[١٢٨]

بتفوى الله والاعتصام بحبله والله ولي لنا ولكم. فشق كثيرا على طلحة والزبير عند سماع هذا القول من ام سلمة ثم أنفذت ام سلمة إلى عائشة فقالت لها وقد وعظتك فلم تتعظي وقد كنت اعرف رأيك في عثمان وانه لو طلب منك شربة ماء لمنعتيه ثم أنت اليوم تقولين انه قتل مظلوما وتريدين ان تثيري لقتال أولى الناس بهذا الامر قديما وحديثا فاتق الله حق تقاته ولا تعرضي لسخطه فارسلت إليها عائشة أما ما كنت تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد مخرجا منه إلا الطلب بدمه واما علي فاني امره برد هذا الامر شورى بين الناس فان فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضي الله ما هو قاض فأنفذت إليها ام سلمة أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة لك جهدي وطاقتي والله اني لخائفة عليك البوار ثم النار والله ليخيبن ظنك ولينصرن الله ابن ابى طالب على من بغى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام علي يجاهد الثاكثين: فصل: ولما اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين والتأهب للمسير إلى البصرة واتصل الخبر إليه وجاءه كتاب يخبره بخبر القوم دعا ابن عباس ومحمد بن ابى بكر وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف واخبرهم بذلك وبما عليه القوم من المسير فقال محمد بن ابى بكر

ما يريدون يا أمير المؤمنين ؟ فتبسم عليه السلام وقال يطلبون بدم عثمان فقال محمد والله ما قتله غيرهم ثم قال علي أشيروا علي بما أسمع منكم القول فيه فقال عمار الرأي ان نسير إلى الكوفة فان اهلها لنا شيعة وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة وقال ابن عباس الرأي عندي يا امير المؤمنين ان نقدم رجالا إلى الكوفة فيبايعوا لك وتكتب إلى الاشعري ان يبايع لك ثم بعده المسير حتى نلحق بالكوفة فنعاجل القوم قبل ان يدخلوا

[١٢٩]

البصرة وتكتب إلى ام سلمة فتخرج معك فانها لك قوة فقال أمير المؤمنين بل أنهض بنفسى ومن معي في اتباع الطريق وراء القوم فان ادركتهم بالطريق اخذتهم وان فاتوني كتبت إلى الكوفة واستمدت الجند من الامصار وسرت إليهم. واما ام سلمة فاني لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة فينما هم في ذلك إذ دخل عليهم اسامة بن زيد وقال لأمير المؤمنين فداك أبي وامى لا تسر وحدك وانطلق إلى ينبع وخلف على المدينة رجلا واقم بما لك فان العرب لهم جولة ثم يصيرون اليك (١). فقال له ابن عباس ان هذا القول منك يا اسامة على غير عل في صدرك فقد أخطأت وجه الرأي منه ليس هذا برأى (بغير يكون والله كهيئة الضبع في مغارتها) فقال اسامة فما الرأي قال ما أشرت به إليه وما رأى أمير المؤمنين لنفسه. ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام في الناس تجهزوا للسير فان طلحة والزبير قد نكثا البيعة ونقضا العهد وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لاثارة الفتنة وسفك دماء أهل القبلة ثم رفع يديه إلى السماء فقال اللهم ان هذين الرجلين قد بغيا علي ونكثا عهدي ونقضا عقدي وشاقاني بغير حق سومهما ذلك اللهم خذهما بظلمهما واطفرني بهما وانصرني عليهما ثم خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والانصار واستخلف على المدينة تمام بن عباس وبعث فثم بن عباس إلى مكة (٢)

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٦٠) ذكر هذا الرأي لابن عباس. (٢) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٦٩) وفي تذكرة الخواص ص ٢٠١ كان المأمون يقول ليني العباس لما ولى الامر من تولاه قبل علي (ع) لم يولوا أحدا من بني العباس ولا بني هاشم فلما صارت - (*)

[١٣٠]

ولما رأى أمير المؤمنين المسير طالبا للقوم ركب جملا أحمر وراجزه يقول (١): سيروا أبابيل وحثوا السيرا * كى تلحقوا طلحة والزبير إذ جلبا شرا وعافا خيرا * يا رب أدخلهم غدا سعيرا وسار مجدا في السير حتى بلغ (الريذة) فوجد القوم قد فاتوا فنزل بها قليلا ثم توجه نحو البصرة والمهاجرون والانصار عن يمينه وشماله محدقون به مع من سمع بمسيرهم فاتبعهم حتى نزل (بذى قار) فأقام بها. كتاب علي إلى أبي موسى الاشعري: ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتابا إلى أبي موسى الاشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان ان يوصل الكتاب إليه ليستنفر الناس منها إلى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم: من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس: أما بعد فاني أرسلت اليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في هذه الامة الحدث العظيم فأشخص الناس إلى معه حين يقدم بالكتاب عليك فلا

تحبسه فاني لم أقرك في المصر الذي أنت فيه إلا أن تكون من أعواني وأنصاري على هذا الأمر والسلام.

- إلى أمير المؤمنين ترك آل أبي طالب وأقبل على بني العباس فولى عبد الله البصرة وعبيد الله اليمن ومعبد مكة وقتل البحرين وما ترك أحدا ممن ينتمي إلى العباس إلا ولاه فهلا نكافأه في ولده. (١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٦) ان راجز علي (ع) قال سيروا أبابيل وحنوا السيرا * إذ عزم السير وقلوا خيرا حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا * نغزوا بها طلحة والزبيراً (*)

[١٣١]

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فأقرأه الكتاب وقال له ما ترى فقال له أبو السائب اتبع ما كتب به اليك فأبى أبو موسى ذلك وكسر الكتاب ومجاه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن فقال السائب بن مالك فأتيت هاشما فأخبرته بأمر أبي موسى. فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين. اما بعد: يا أمير المؤمنين فاني قدمت بكتابك على أمرء شاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغل والشقاق وقد بعثت اليك بهذا الكتاب مع المحل ابن خليفة الطائي وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فأسأله عما بدا لك واكتب إلي برأيك أتبعه والسلام (١). فلما قدم الكتاب إلى علي (ع) وقراه دعا الحسن ابنه وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس اما بعد: يا ابن الحايك والله إنى كنت لا أرى بعدك من هذا الأمر الذى لم يجعلك الله له أهلا ولا جعل لك فيه نصيبا وقد بعثت لك الحسن وعمارا وقيسا فأخل لهم المصر وأهله واعتزل عملنا مذموما مدحورا فان فعلت وإلا أمرتهم أن ينادوك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فان اظهروا عليك قطعوك إربا وإربا والسلام على من شكر النعم ورضى البيعة وعمل لله رجاء العاقبة كتاب علي إلى أهل الكوفة: فلما قدم الحسن وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لاهلها وكان في كتابه معهم: بسم الله الرحمن الرحيم. من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة

(١) رواه في شرح النهج الحديدي (ج ٣ - ص ٢٩١) عن أبي مخنف. (*)

[١٣٢]

اما بعد (١) فاني أخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كالعيان لكم ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعبابه وأقل عتابه (٢) وكان طلحة والزبير أهون سيرهما إليه الوجيف وقد كان من عائشة فيه فلتة غضب فلما قتله الناس وبايعاني غير مستنكرين طائعين مختارين وكان طلحة والزبير أول من بايعني على ما بايعا به من كان قبلي ثم استأذنانني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة فنقضا العهد وأذنا في الحرب وأخرجنا عائشة من بيتها يتخذانها فتنة فسارا إلى البصرة واخترت السير إليهم معكم ولعمري اياي تجيبون انما تجيبون الله ورسوله والله ما قاتلتهم وفي نفسي شك وقد بعثت اليكم ولدي الحسن وعمارا وقيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم والسلام (٣). خطبة الحسن وعمار وقيس بالكوفة: ولما نزل الحسن (ع) وعمار وقيس الكوفة ومعهم كتاب أمير المؤمنين (ع) قام فيهم الحسن (ع) فقال: أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين (ع) ما يكفيكم جملته وقد اتيناكم مستنفرين لكم لانكم جهة الانصار

وسنام العرب وقد نقضا طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما قال الله تعالى: (الرجال قوامون على النساء) أما والله لئن لم تنصروه

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٣ - ص ٢٩١) مصر بعث الكتاب مع ابن عباس ومحمد بن أبي بكر. (٢) الاستعجاب طلب العتبي وهي الرضا ومراده (ع) انه كان يكثر من طلب رضاه ويقبل من عتابه وتعنيفه. (٣) رواه الشيخ الطوسي في الامالي ص ٧٨ والسيد الرضى في النهج (ج ٢ - ص ٣) باختصار. (*)

[١٣٣]

لينصرنه الله يتبعه من المهاجرين والانصار وسائر الناس فانصروا ريكم ينصركم. ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا اهل الكوفة ان كانت هانت عندكم الدنيا فقد انتهت اليكم امورنا واخبارنا ان قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى الناس من قتله وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه وقد كان طلحة والزبير اول من طعن عليه وأول من امر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا عليا طوعا واختيارا ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله وقد عرفتم انه انفذه اليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين والانصار. ثم قام قيس بن سعد فقال: أيها الناس ان هذا الامر لو استقبلنا به اهل الشورى لكان علي أحق الناس به لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قتال من ابى ذلك حلالا فكيف بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعا ثم خلعا حسدا وبغيا وقد جاءكم علي في المهاجرين والانصار ثم انشأ يقول: رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا * عليا وأبناء الرسول محمد وقلنا لهم اهلا وسهلا ومرحبا * نمد يدينا من هدى وتودد فما للزبير الناقض العهد حرمة * ولا لاخيه طلحة فيه من يد اتاكم سليل المصطفى ووصيه * وانتم بحمد الله عارضة الندي فمن قائم يرجى بخيل إلى الوعى * وضم العوالي والصفوح المهند يسود من ادناه غير مدافع * وان كان ما نقضيه غير مسود فان يك ما نهوى فذاك نريده * وان نخط ما نهوى فغير تعمد (١)

(١) روى الشيخ الطوسي في الامالي ص ٩٤ وص ٨٧ بعضها للنجاشي مع زيادة لم تذكر هنا وقال ان النجاشي اجاب بالتسليم والطاعة (*)

[١٣٤]

خطبة ابى موسى الاشعري: فلما فرغ القوم من كلامهم قام ابو موسى الاشعري فقال: أيها الناس ان تطيعوا الله باديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب ياوى اليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف ان عليا انما يستنفركم لجهاد امكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله ومن معهم من المسلمين وانا اعلم بهذه الفتنة انها إذا اقبلت شبهت وان ادبرت اسفرت وان هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب وتشتبك احيانا فلا ندرى ما تأتى اشيموا سيوفكم وقصروا رماحكم وقطعوا اوتاركم والزمو البيوت خلوا قريشا إذا ابوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم بالامرة وترتق فتقها وتشعب صدعها فان فعلت فلنفسها وان ابت فعلها ما جنت سمها في اديمها استنصحنوني ولا تستشفونى يسلم لكم دينكم ودنياكم ويشقى بهذه الفتنة من جناها (١). نهضة زيد واصحابه: فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلواء ثم قال: يا أبا موسى تريد ان ترد الفرات عن ادراجه انه لا يرجع من حيث بدا

فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد وبيك (آلم احسب الناس ان يتركوا ان يقولو آمنا وهم لا يفتنون)، ثم قال: ايها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين واطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا إليه اجمعون تصيبوا الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدون.

(١) رواها ابن ابي الحديد في شرح النهج (ج ٣ - ص ٣٩٣) بزيادة. (*)

[١٣٥]

ثم قام عبد خير (١) وقال لابي موسى اخبرني يا ابا موسى هل كانا هذان الرجلان بايعا لعلي فيما بلغك وعرفت ؟ قال نعم، قال فهل جاء علي (ع) يحدث يحل عقدة بيعته حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان ؟ قال ابو موسى لا أعلم قال له عبد خير لا دريت نحن غير تاركيك حتى تدرى حينئذ خبرني يا أبا موسى هل تعلم احدا خارجا من هذه الفتنة التي تزعم انها عمياء تحذر الناس منها ؟ أما تعلم انها اربع فرق: علي (ع) يظهر بالكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعوية بالشام وفرقة اخرى بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو. فقال ابو موسى الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس فقال عبد خير غلبك عليك غشك يا أبا موسى (٢) فقام رجل من بجيلة فقال شعرا: وحاجك عبد خير يابن قيس * فأنت اليوم كالشاة الربيض فلا حقا اصبت ولا ضللا * فأنت اليوم تهوى بالحضيض ابا موسى نظرت برأى سوء * تؤول به إلى قلب مريض وتهت فليس تفرق بين خير * ولا شر ولا سود وبيض وتذكر فتنة شملت وفيها * سقطت وانت ترح بالجريض (٣) قال وبلغ أمير المؤمنين ما كان من امر ابي موسى وتخذيله الناس عن نصرته فقام إليه مالك الاشتهر (ره) فقال يا امير المؤمنين انك قد بعثت إلى الكوفة رجلا قبل هذين فلم اره أحكم شيئا وهذان اخلق من بعثت ان ينشب بهم الامر على غير ما تحب ولسنت ادري ما يكون فان رأيت جعلت فذاك ان تبغثني في أثرهم فان اهل الكوفة احسن لي طاعة وان

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٩) هو الخيواني. (٢) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٠) والطبري ج ٥ - ص ١٩٠ (٣) يقال رزح الرجل: ضعف وذهب ما بيده والجريض ابتلاع الريق غيضا وهما. (*)

[١٣٦]

قدمت عليهم رجوت ان لا يخالفني احد منهم فقال أمير المؤمنين (ع) الحق بهم على اسم الله فأقبل الاشتهر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الاعظم فأخذ لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم وقال لهم اتبعوني إلى القصر فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس فافتحم القصر وابو موسى في المسجد الاعظم يخطب الناس ويشبطهم عن نصره علي (ع) وهو يقول ايها الناس هذه فتنة عمياء تطو خطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب انها فتنة باقرة كداء البطن أتتكم من قبل مأمئكم تدع الحلیم فيها حيران كابن امس انا معاشر اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اعلم بالفتنة انها إذا اقبلت شبهت وإذا ادبرت اسفرت. وعمار والحسن وقيس يقولون له اعتزل عملنا لا ام لك وتتح عن منبرنا وابو موسى يقول لعمار هذه يدى بما سمعت من رسول الله يقول ستكون بعدي فتنة

القاعد فيها خير من القائم. فقال له عمار انما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لك خاصة ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعدا خير منك قائما. الاشرت إلى القصر: فيينا هم في الكلام إذ دخل غلمان ابى موسى ينادون يا أبا موسى هذا الاشرت اخرج من المسجد ودخل عليه اصحاب الاشرت فقالوا له اخرج من المسجد يا وبلك أخرج الله روحك انك والله لمن المنافقين فخرج ابو موسى وأنفذ إلى الاشرت ان اجلني هذه العشية قال قد اجلتك ولا تبت في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ودخل الناس ينتهبون

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠). (*)

[١٣٧]

متاع أبى موسى فاتبعهم الاشرت بمن أخرجهم من القصر وقال لهم اني اجلته فكف الناس عنه (١) ثم صعد الحسن (ع) المنبر فحمد الله واثنى عليه وذكر جده النبي صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم ذكر فضل أمير المؤمنين وانه احق بالامر من غيره وان من خالفه على ضلال. ثم نزل فصعد عمار فحمد الله واثنى عليه وصلّى على رسول الله ثم قال: أيها الناس انا لما خشينا على هذا الدين ان يهدم جوانبه وان يتعزى أديمه نظرنا لانفسنا ولديننا فاخترنا عليا (ع) خليفة ورضيناها إماما فنعم الخليفة ونعم المؤدب مؤدب لا يؤدب وفقه لا يعلم وصاحب بأس لا ينكر وذو سابقة في الاسلام ليس لاحد من الناس غيره وقد خالفه قوم من أصحابه حاسدون له وباغون عليه وقد توجهوا إلى البصرة فاخرجوا إليهم رحمكم الله فانكم لو شاهدتموهم وحاجتموهم تبين لكم انهم ظالمون. خطبة الاشرت: ثم خرج الاشرت رحمه الله وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس اصغوا لي بأسماعكم وافهموا لي بقلوبكم ان الله عزوجل قد أنعم عليكم بالاسلام نعمة لا تقدرن قدرها ولا تؤدون شكرها كنتم اعداء يأكل قلوبكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك حرمت الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والارحام عندكم مقطوعة وكل أهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم بعد العداوة وكثركم بعد ان كنتم قليلين ثم قبضه الله وحوله إليه فجوى بعده رجلا ثم ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل في احكام الله بهوى نفسه فسألناه ان

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠). (*)

[١٣٨]

يعتزل لنا نفسه فلم يفعل وإقام على احداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودينانا ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا وأعظمهم في الاسلام سهما ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأفقه الناس في الدين وأقرأهم للكتاب واشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم فما تنتظرون ؟ أسعيد أم الوليد ؟ الذى شرب الخمر وصلّى بكم على سكر وهو سكران منها واستباح ما حرمه الله فيكم أي هذين تريدون قبح الله من له هذا الرأي ألا فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم ولا يتخلف رجل له قوة فوالله ما يدرى رجل منكم ما يضره وما ينفعه وانى لكم

ناصر شفيق عليكم ان كنتم تعقلون أو تبصرون أصبحوا انشاء الله غدا عادين مستعدين وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء خطبة حجر بن عدي: ثم قام حجر بن عدي الكندي وقال: أيها الناس هذا الحسن بن أمير المؤمنين وهو من عرفتم احد ابويه النبي صلى الله عليه وآله والآخر الامام الرضي المأمون الوصي صلى الله عليهما الذين ليس لهم شبيه في الاسلام سيد شباب اهل الجنة وسيد سادات العرب أكملهم صلاحا وأفضلهم علما وعملا وهو رسول أبيه اليكم يدعوكم إلى الحق ويسألکم النصر السعيد من ودهم ونصرهم والشقي من تخلف عنهم بنفسه عن مواساتهم فانفروا معه رحمكم الله خفافا وثقالا واحتسبوا في ذلك الاجر فان الله لا يضيع اجر المحسنين. فأجاب الناس بأجمعهم بالسمع والطاعة. وقد ذكر الواقدي ان عليا أنفذ إلى أهل الكوفة رسلا وكتب إليهم كتابا عند خروجه من المدينة وقبل نزوله بذي قار وقال في حديث آخر رواه انه أنفذ إلى القوم من الريزة حين فاته رد طلحة والزبير

[١٣٩]

من الطريق ثم اتفق الواقدي وأبو مخنف وغيرهما من أصحاب السيرة على ما ذكرناه من انفاذ الرسل وكتب الكتب من ذي قار إلى أهل الكوفة يستنفرهم للجهاد معه والاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لعهد الخارجين لحربه فكان مما رواه الواقدي ان قال حدثني عبيد الله بن الحرث بن الفضل عن أبيه قال لما عزم علي (ع) على المسير من المدينة لرد طلحة والزبير بعث محمد بن الحنفية ومحمد بن ابي بكر إلى الكوفة وكان عليا ابو موسى الاشعري فلما قدما عليه أساء القول لهما واغلظ وقال: ان بيعة عثمان لفي رقة صاحبكم وفي رقتي ما خرجنا منها. ثم قام على المنبر وقال: أيها الناس إنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها ان عائشة كتبت إلي ان اكفني من قبلك وهذا علي بن ابي طالب قادم اليكم يريد ان يسفك بكم دماء المسلمين فكسروا نبلكم واقطعوا أوتاركم واضربوا الحجارة بسيوفكم. فقال محمد بن الحنفية (رض) لمحمد بن ابي بكر يا أخي ما عند هذا خير ارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر فلما رجعا إليه وأخبراه الحال وقد كان كتب معهما كتابا إلى أبي موسى الاشعري ان يبايع من قبله على السمع والطاعة وقال له في كتابه أخرج الناس عن حيزتك وارفع عنهم سوطك واجلس بالعراق فان خفت فاقبل وان ثقلت فاقعد فلما قرأ الكتاب قال اثقل ثم اثقل. كتاب علي إلى أهل الكوفة: ولما بلغ علي ما قال وصنع غضب غضبا شديدا وبعث عمار بن ياسر والحسن (ع) وكتب معهم كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي بن ابي طالب أمير المؤمنين

[١٤٠]

إلى أهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين. اما بعد: فان دار الهجرة تقلعت بأهلها فانقلعوا منها، وجاشت جيشان المرجل، وكانت فاعلة يوم ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجميل، ونبحتها كلاب الحوَاب، وقامت الفتنة الباغية يفودها، يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه؛ وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله يحلفون لكم لترضون عنهم، فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين؛ اعملوا رحمكم الله ان الجهاد مفترض على العباد فقد جاءكم في داركم من يحثكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم اني لم أجد بدا من الدخول في هذا الامر، ولو علمت ان أحدا أولى به مني لما تقدمت إليه وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم خرجا يطلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا

وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأبيا ذلك علي وهما يعلمان اني لست بدون واحد منهما مع اني قد عرضت عليهما قبل ان يبايعاني إذا أحبا بايعت لاحدهما فقالا لا ننفس على ذلك بل نبايعك ونقدمك علينا بحق فبايعا ثم نكثا والسلام. علي (ع) في الطريق: ولما سار عليه السلام من المدينة انتهى إلى فيد وكان قد عدل إلى جبال طي حتى سار معه عدي بن حاتم في ستماءة رجل من قومه فقال عليه السلام لابن عباس ما الرأي عندك في أهل الكوفة فقال له ابن عباس أنفذ عمارا فإنه رجل له سابقة في الاسلام وقد شهد بدرًا فإنه ان تكلم هناك صرف الناس اليك وأنا أخرج معه وابعث معنا الحسن ابنك ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبي موسى الأشعري فلما وصلوا الكوفة قال ابن عباس للحسن ولعمار ان أبا موسى عاق فإذا

[١٤١]

رفقنا به أدركنا حاجتنا منه فقالا افعل ما شئت. فقال ابن عباس لابي موسى ان عليا أرسلنا اليك لما يطرقه سرعتك إلى طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومصيرك إلى ما أحببنا اهل البيت وقد علمت فضله وسابقته في الاسلام ويقول لك ان تبايع له الناس ويقرك على عملك ويرضى عنك فانخدع ابو موسى وصعد المنبر فبايع لعلي ساعة من النهار ثم نزل. خطبة عمار بالكوفة: فقال عمار: الحمد لله حمدا كثيرا فإنه اهل على نعمته التي لا يحصيها ولا يقدر قدرها ولا يؤدي شكرها اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور الواضح والسلطان القاهر والامين الناصح والحكيم الراجح رسول رب العالمين وقائد المؤمنين وخاتم النبيين بالصدق وصدق المرسلين وجاهد في الله حتى اتاه اليقين. ثم ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) حفظه الله ونصره نصرًا عزيزًا وابرم له امرًا رشيدًا بعثني اليكم وابنه يأمركم بالنفر إليه فانظروا إليه واتقوا واطيعوا الله والله لو علمت ان على وجه الارض بشرًا اعلم بكتاب الله وسنة نبيه منه ما استنفرتكم إليه ولا بايعته على الموت يا معشر اهل الكوفة الله الله في الجهاد فوالله لئن صارت الامور إلى غير علي (ع) لتصيرن إلى البلاء العظيم والله يعلم اني قد نصحت لكم وامرتكم بما اخذت بيقيني وما اريد اخالفكم إلى ما انهاكم عنه ان اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب استغفر الله لي ولكم. ثم نزل فصبر هنيئة ثم عاد إلى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

[١٤٢]

أيها الناس هذا ابن عم رسول نبيكم قد بعثني اليكم استنصركم إلا ان طلحة والزبير قد سارا نحو البصرة وأخرجنا عاتشة معهما للفتنة الا وان الله قد ابتلاكم بحق امكم وحق ابيكم وحق ربكم أولى وأعظم عليكم من حق امكم وابيكم ولكن الله قد ابتلاكم لينظر كيف تعملون فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا وانفقوا في سبيل الله وانفروا إلى خليفتكم وصهر نبيكم فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد بايعوه بالمدينة وهي دار الهجرة ودار السلام أسأل الله ان يوفقكم. ثم نزل فصعد الحسن بن علي عليهما السلام على المنبر فحمد الله واثنى عليه وذكر جده صلى الله عليه وذكر فضل ابيه وسابقته وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه أولى بالامر من غيره ثم قال معاشر الناس ان طلحة والزبير بايعا عليا طابعين غير مكرهين ثم نفرا ونكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فان الجهاد معه كالجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله. ثم نزل وكان أمير المؤمنين (ع) كتب مع ابن عباس كتابا إلى أبي موسى

الاشعري وغلظ فيه فقال ابن عباس قلت في نفسي اقدم على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب ان لا ينظر في كتابي ونظرت ان اشق كتاب أمير المؤمنين وكتبت من عندي كتابا عنه لابي موسى: اما بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت وانقطاعك الينا وانما فرغب اليك لما نعرف من حسن رأيك فينا فإذا اتاك كتابي فبايع لنا الناس والسلام. فدفعه إليه فلما قرأه ابو موسى قال لي أنا الامير أو أنت ؟ قلت انت الامير فدعا الناس إلى بيعة علي فلما بايع قمت وصعدت المنبر فرام انزالي منه فقلت انت تنزلني عن المنبر ؟ وأخذت بقائم سيفي فقلت اثبت مكانك والله لئن نزلت اليك هذبتك به فلم يبرح فبايعت الناس لعلي

[١٤٣]

وخلعت ابا موسى في الحال واستعملت مكانه قرصة بن عبد الله الانصاري ولم ابرح من الكوفة حتى سيرت لعلي (ع) في البر والبحر من اهلها سبعة آلاف رجل ولحقته بذي قار قال وقد سار معه من جبال طي وغيرها الفا رجل ولما صار اهل الكوفة إلى ذي قار ولقوا عليا (ع) بها رحبوا به وقالوا الحمد لله الذي خصنا بمودتك واکرمنا بنصرتك فجزاهم خيرا. خطبة علي بذي قار: ثم قام وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وفكر النبي صلى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين واعدلهم سنة وافضلهم في الاسلام سهما وأجودهم في العرب مركبا ونصا، حزبكم بيوتات العرب وفرسانهم ومواليهم، انتم أشد العرب ودا للنبي ؛ وإنما اخترتكم ثقة بعد الله لما بذلتم لي انفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي، وخلافهما طاعتي واقبالهما بعائشة لمخالفتي ومبارزتي وإخراجهما لها من بيتها، حتى أقدمها البصرة. وقد بلغني ان اهل البصرة فرقتان: فرقة الخير والفضل والدين قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير ! ثم سكت عليه السلام، فأجابه أهل الكوفة: نحن أنصارك واعوانك على عدوك، ولو دعوتنا إلى اضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فرد عليهم خيرا (١). خطبة أخرى بذي قار: ولما أراد (ع) المسير من ذي قار تكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ان الله عزوجل بعث محمدا للناس كافة ورحمة للعالمين، فصدع بما أمر به

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٠) روى خطبته (ع) بغير هذا اللفظ. (*)

[١٤٤]

ربلغ رسالات ربه، فلما ألم به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السبيل وحقن به الدماء وألف به بين ذوى الاحقاد والعداوة الواغرة في الصدور، والضغائن الكامنة في القلوب، قبضه الله عزوجل إليه حميدا وقد ادى الرسالة ونصح للامة، فلما مضى صلى الله عليه وآله لسبيله دفعنا عن حقنا من دفعنا وولوا من ولوا سوانا ثم ولاها عثمان بن عفان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم بايعنا فقلت لكم لا أفعل ؛ فقلتم بلى لا بد من ذلك، فقبضتم يدي فبسطتموها وتداكتم على تذاك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى لقد خفت انكم قاتلي، أو بعضكم قاتل بعض ؛ فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه إنني كنت كارها للحكومة بين امة محمد، ولقد سمعته يقول ! ما من وال يلي شيئا من أمر امتي إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه فان كان عادلا نجا وان كان جائرا هوى. ثم اجتمع علي ملؤكم وبايعني طلحة والزبير

وانا اعرف الغدر في وجهيهما والنكت في عينييهما ثم أستأذناني في العمرة فأعلمتهما ان ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معها ابناء الطلقاء فقدموا البصرة وهتكوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لابي بكر وعمر وبغيهما علي وهما يعلمان اني لست دون احدهما ولو شئت ان أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب اليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام انهما يطلبان بدم عثمان والله ما انكرا علي منكرا ولا جعلنا بيني وبينهما نصفاً وان دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب فيهما يا خيبة الداعي إلى ما ادعا وبماذا اجيب، والله انهما لفي ظلاله صماء وجهالة عمياء وان الشيطان قد دبر لهما حربه واستجلب منهما خيله ورجاله ليعيد الجور إلى اوطانه ويرد الباطل إلى نصابه. ثم رفع يديه وقال: اللهم ان طلحة والزبير

[١٤٥]

قطعاني وظلماني ونكتا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكت ما أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساءة فيما عملا واملا. فقام الاشتهر رضي الله عنه فقال: خفض عليك يا أمير المؤمنين فوالله ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل لقد دخلا في هذا الأمر اختيارا ثم فارقانا على غير جور عملناه ولا حدث في الاسلام احداثاه ؛ ثم اقبلا يثيران الفتنة علينا تائهي جائر ليس معهما حجة ترى ولا أثر يعرف لقد لبسا العار وتوجها لمحو الديار، فان زعما ان عثمان قتل مظلوما فليستقد آل عثمان منهما فاشهد انهما قتلاه واشهد الله يا أمير المؤمنين لئن لم يدخلا فيما خرنا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وما كانا عليه لنلحقهما بابن عفان. أبو التيهان: وقام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال يا أمير المؤمنين صبحهم الله بما يكرهون فان اقبلوا قبلنا منهم وان ادبروا لنجاهدناهم فلعمري ما قوم قتلوا النفس التي حرم الله قتلها واخذوا الاموال واخافوا اهل الايمان باهل ان يكف عنهم، فأقبل أمير المؤمنين (ع) على عدي بن حاتم فقال له يا عدي انت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه. عدي بن حاتم: فقال عدي شهدتك أو غبت عنك فانا عندما أحببت هذه خيولنا معدة ورماحنا محددة وسيوفنا محمرة فان رأيت ان نتقدم تقدمنا وان رأيت ان نحجم أحجمنا نحن طوع لامرك فامر بما شئت نسارع إلى امتثال امرك.

[١٤٦]

أبو زينب الازدي: وقام أبو زينب الازدي فقال والله ان كنا على الحق إنك لاهدانا سبيلا وأعظمتنا في الخير نصيبا وان كنا على الضلالة والعياذ بالله أن نكون عليه، لانك اعظمتنا وزرا وأنقلنا ظهرا وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم وقطعنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة وظاهرناهم بالعداوة ونريد بذلك ما يعلمه الله عزوجل واننا ننشدك الله الذي علمك ما لم تكن تعلم السنن على الحق وعدونا على الضلال فقال (ع) اشهد لئن خرجت لديك ناصرا صحيح النية قد قطعت منهم الولاية واطهرت منهم البراءة كما قلت انك لفي رضوان الله فابشر يا أبا زينب فانك والله على الحق فلا تشك فانك انما تقاتل الاحزاب فاننا أبو زينب يقول: سيروا إلى الاحزاب أعداء النبي * فان خير الناس اتباع علي هذا اوان طاب سل المشرفى * وقودنا الخيل وهز السمهري ولما استقر أمر أهل الكوفة على النهوض لأمير المؤمنين (ع) وخف بعضهم لذلك بادر ابن عباس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذي قار للالتحاق بأمير المؤمنين وأخباره بما عليه القوم من الجد والاجتهاد في طاعته وانهم لاحقون به غير متأخرين عنه وإنما تقدمهم ليستعد للسفر وللحرب وقد كان استخلف قرصة بن كعب على الكوفة على ما قدمناه ويحث

الناس على اللحاق به. فورد على أمير المؤمنين كتابا قد كتب إليه من البصرة ما صنعه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استحلوه من الدماء ونهب الاموال وقتل من قتلوه من شيعته وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها فوجوده ابن عباس وقد أحزنه ذلك وغمه وأزعجه وأقلقه فأخبره بطاعة أهل الكوفة ووعدهم بالنصرة فسر عند ذلك وأقام ينتظر أهل

[١٤٧]

الكوفة والمدد الذي ينتصر بهم على عدوه. ابن حنيف مع الناكثين: فصل: وكان من حديث القوم فيما صنعه بعثمان بن حنيف رضى الله عنه ومن ذكرناه معه على ما جاءت به الاخبار واتفق عليه نقله السير والآثار. روى الواقدي وأبو مخنف عن أصحابهما والمدائني وابن داب عن مشايخهما بالاسانيد التي اختصرنا القول باسقاطها واعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم وكتبهم فقالوا ان عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتبعهم من بني امية وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حفر أبي موسى (١) فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ وخليفة أمير المؤمنين وكان عنده حكيم بن جبلة فقال له حكيم ما الذي بلغك فقال خبرت ان القوم قد نزلوا حفر أبي موسى فقال له حكيم ائذن لي أن أسير إليهم فاني رجل في طاعة أمير المؤمنين (ع) فقال له عثمان توقف عن ذلك حتى اراسلهم فقال له حكيم إنا لله هلكت والله يا عثمان، فاعرض عنه وارسل إلى عمران بن حصين وأبي الاسود الدؤلي فذكر لهما قدوم القوم البصرة وحلولهم حفر أبي موسى وسألهم المسير إليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن الفتنة فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها يا ام المؤمنين ما حملك على المسير؟ فقالت غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا اغضبت ان يقتل فقالا لها وما انت من سوط عثمان وعصاه وانما انت

(١) سماه ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ص ١٧٢) الحفير ولم يصفه إلى ابى موسى وفي معجم البلدان (ج ٣ - ص ٢٠٤) الحفير بالتصغير ماء لباهلة بينه وبين البصرة اربعة اميال. (*)

[١٤٨]

حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا نذكرك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقالت وهل من احد يقاتلني ! فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله قتالا أهونه شديد، ثم خرغا من عندها فدخلا على الزبير فقالا له يا أبا عبد الله ننشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقال لهما ارجعا من حيث جئتما ان لا تفسدا علينا فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له ننشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك فقال لهما طلحة أوجب علي بن ابي طالب (ع) انه إذا غلب على امر المدينة ان الامر له، وانه لا امر إلا امره والله ليعلمن فانصرفا من حيث جئتما فانصرفا من عنده إلى عثمان ابن حنيف فأخبراه الخبر. وروى ابن ابى سيرة عن عيسى بن عيسى عن الشعبي ان أبا الاسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالا لها ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وانت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد امرك ان تقرري في بيتك فقالت غضبت لكم من السوط والعصا، ولا اغضب لعثمان من السيف فقالا لها ننشدك الله ان يهراق الدماء في سبيلك وان تحملي الناس بعضهم على بعض فقالت لهما انما جئت

لاصلح بين الناس وقالت لعمران بن الحصين ها انت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال لا ابغى عنك إلا خيرا فقال لها أبو الاسود أنا ابغى عنك فهاتي، قالت له يا طليق ابن ابي عامر بلغني إنك تريد لقائي لتقاتلني، فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله لنقاتلك فقالت وانت ايضا يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عنى فخرجا من عندها إلى طلحة فقالا له يا أبا محمد ألم تجمع الناس إلى حرب ابن عم رسول الله ؟ الذى فضله الله كذا وكذا وجعلا يعددان مناقب أمير المؤمنين (ع) وفضائله وحقوقه فوقع طلحة بعلي وسبه ونال منه وقال انه ليس احد مثله اما والله ليعلمن غير ذلك، فخرجا من عنده وهما يقولان غضب هذا المدنى، ثم دخلا على الزبير فكلما مثل كلامهما لصاحبه فوقع ايضا في

[١٤٩]

علي (ع) وسبه، وقال لقوم كان بمحضرهم صبحوهم قبل ان يمسوكم فخرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر، فأذن عثمان للناس بالحرب (١). فرح حفصة: فصل: ولما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين (ع) بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر: اما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار والله ذاق عنقه كدق البيضة على الصفا انه بمنزلة الأشقر، ان تقدم نحر وان تأخر عقر فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدى واعطت جواربها دفوقا وامرتهن ان يضربن بالدفوف ويقلن ما الخبر ما الخبر علي كالأشقر بذي قار ان تقدم نحر وان تأخر عقر، فبلغ ام سلمة (رض) اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت وقالت اعطوني ثيابي حتى اخرج اليهن وأوقع بهم. ام كلثوم مع حفصة: فقالت ام كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع) أنا أنوب عنك فأنني اعرف منك فليست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواربها متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأت إلى ما هن فيه من العيب والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت لحفصة ان تظاهرت انت واختك على أمير المؤمنين (ع) فقد تظاهرتما على اخيه رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل فأنزل الله عزوجل فيكما ما انزل

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٨٣). (*)

[١٥٠]

والله من وراء حربكما (١) وأظهرت حفصة خجلا وقالت انهن فعلن هذا بجهل وفرقتهن في الحال. خطبة عائشة بالمرید: ولما بلغ عائشة رأى ابن حنيف في القتال ركبت الجمل وأحاط بها القوم وسارت حتى وقفت (بالمرید) واجتمع إليها الناس حتى امتلا المرید بهم فقالت وهى على الجمل صه صه فسكت الناس واصغوا إليها فحمدت الله تعالى وقالت: اما بعد فان عثمان بن عفان قد كان غير ويدل فلم يزل يغسله بالتوبة حتى صار كالذهب المصفى فعدوا عليه وقتلوه في داره وقتل ناس معه في داره ظلما وعدوانا ثم آثروا عليا فبايعوه من غير ملائمة من الناس ولا شورى ولا اختيار فابتز والله امرهم وكان المبايعون له يقولون خذها اليك واحذرنا أبا حسن إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط فكيف لا نغضب لعثمان من الغضب ان الامر لا يصح حتى يرد الامر إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه احد سفك دم عثمان. فقال بعض الناس صدقت وقال بعض الناس كذبت

واضطربوا بالفعال وتركتهم وسارت حتى اتت (الديباغين) وقد تحيز الناس بعضهم مع طلحة والزبير وعائشة وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين والرضا به فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها طلحة والزبير

(١) إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم من قوله تعالى: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به) الآية. ففي تفسير الخازن (ج ٧ - ص ٩٧) وروح المعاني للالوسي (ج ٢٨ - ص ١٥٢) عن ابن عباس أن حفصة أسرت حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إلى عائشة وكانتا متصافيتين وهما اللتان تظاهرتا عليه ونزل القرآن فيهما. (*)

[١٥١]

ومروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير حتى اتوا دار الامارة فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع إليه انصاره وزمرة من اهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس واصيب يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من اصحاب عثمان ابن حنيف وشيعة امير المؤمنين سوى من اصيب من ساير الناس وبلغ الحرب بينهم التزاحف إلى (مقبرة بني مازن) ثم خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى (الزابوقة) وهى ساحة دار (الرزق) (١) فاقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتل والجرح من الفريقين ثم انهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد وبيت المال وطلحة والزبير وعائشة ما شاؤا من البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم امير المؤمنين (ع) فان احبوا عبد ذلك الدخول في طاعته وان احبوا ان يقاتلوا، وكتبوا بذلك كتابا بينهم وأوثقوا فيه العهود وأكدوها وأشهدوا الناس على ذلك (٢) ووضع السلاح وأمن عثمان بن حنيف علي نفسه وتفرق الناس عنه، وطلب طلحة والزبير وأصحابهما عثمان حتى أتوا دار الامارة وعثمان ابن حنيف غافل عنهم وعلى باب الدار السبابة يحرسون بيوت الاموال

(١) في معجم البلدان (ج ٤ - ص ٣٦٦) انها بالزاء المعجمة بعدها الف ثم باء موحدة وبعدها واو ثم القاف مدينة المسامعة قرب البصرة وهم بنو مسمع بن شهاب بن بلع بن عمرو الخ. وفيها كانت وقعة الجمل (٢) نص عليه في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٧) وابن الأثير (ج ٢ - ص ٨٤) وذكر ان اسامة بن زيد قال اشهد انهما بايعا مكرهين فثار عليه تمام بن العباس وسهل بن حنيف مع جماعة فانتصر له محمد بن مسلمة وصهيب بن سنان فأخرجوه إلى منزلهم. (*)

[١٥٢]

وكانوا قوما من الزط ووضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلا منهم صبرا، يتولى منهم ذلك الزبير خاصة، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطا وعمدوا إلى لحيته وكان شيخا كث اللحية فنتفوها حتى لم يبق منها شئ ولا شعرة واحدة وقال طلحة عذبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيه واشفار عينيه وأوثقوه بالحديد. فلما اصبحوا اجتمع الناس إليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة ان يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم فمنعه طلحة فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس ان تطلع فنادى اهل البصرة الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها (١). فقالت عائشة: مروا أن يصلى بالناس غيرهما فقال لهم يعلى بن منبه يصلى عبد الله بن الزبير يوما ومحمد بن طلحة يوما حتى يتفق

الناس على أمير يرضونه فتقدم ابن الزبير وصلى بهم ذلك اليوم. وبلغ حكيم بن جبلة العبدى ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنادى في قومه يا قوم انفروا إلى هؤلاء الصالحين الضالمين الذين سفكوا الدم الحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عزوجل فأجابه سبعمائة رجل من عبد قيس وأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال للقوم أما ترون ما صنعوا بأخي عثمان بن حنيف ما صنعوا؟ لست بأخيه ان لم أنصره ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم ان طلحة والزبير لم يريدا بما عملا القرية منك وما أرادا إلا الدنيا اللهم اقتلهما بمن قتلا ولا تعطهما ما أملا ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه واقبل طلحة والزبير

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٨١) والنفت ايها النابه إلى الغاية المقصودة لهما وإلا فما هذا النزاع ان كانا يطليان الحقيقة وما عشت اراك الدهر عجبا. (*)

[١٥٢]

ومن معهما وهم في كثرة من الناس قد انضم إليهم الجمهور واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت بينهم الجرحى والقتلى وبرز إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده ورماه بها فصرعه (١). ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالاشرف فقال من اصابك؟ فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الاشرف (٢) فخبطه بالسيف حتى قتله وتكاثر الناس عليه وعلى اخيه حتى قتلوهما وتفرق الناس. ورجع طلحة والزبير ونزلا دار الامارة وغلبا على بيت المال فتقدمت عائشة وحملت مالا منه لتفرقه على انصارها فدخل عليها طلحة والزبير في طائفة معهما واحتملا منه شيئا كثيرا فلما خرجا نصبا على ابوابه الاقفال ووكلا به من قبلهما قوما فأمرت عائشة بختمه فبرز لذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير وأراد ان يختمه الزبير دونه فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت يختمها عنى ابن اختى عبد الله بن الزبير فختم يومئذ بثلاثة ختوم. ثم قال طلحة والزبير ما تأمرين في عثمان؟ فانه لما به فقالت اقتلوه قتله الله وكانت عندها امرأة من اهل البصرة فقالت لها يا اماه ابن يذهب بك أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف واخوه سهل على المدينة وله مكانة من الاوس والخزرج ما قد علمت والله لئن فعلت ذلك ليكونن له صولة بالمدينة يقتل فيها ذرارى قريش فأب إلى عائشة رأيها وقالت

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٠) وابن الأثير (ج ٣ - ص ٨٥) لما ضربه برجله وصرعه حيا إليه وقتله ثم اتكا عليه وقال: يا فخذ لن تراعى * ان معى ذراعي * احمي بها كراعي (٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٣٣) قتل مع حكيم بن جبلة ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة. (*)

[١٥٤]

لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيقوا عليه حتى أرى رأيي فحبس اياما ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من اخيه ان يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم فتركوا حبسه. مجئ ابن حنيف إلى علي: فخرج ابن حنيف حتى جاء إلى أمير المؤمنين وهو بذى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين وقد نكل به القوم بكى وقال يا عثمان بعثتك شيئا ملتحي فرددت امردا لي اللهم انك تعلم انهم اجترأوا عليك واستحلوا حرمانك اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النقمة بما صنعوا

بخليفتي ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأملا إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا هذه الغنائم التي وعدنا الله بها واخبرنا انه يعجلها لنا. علي في بيت المال: قال ابو الاسود الدؤلي وقد سمعت هذا منهما ورأيت عليا بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال يا صفراء بيضاء غري غبرى، المال يعسوب الظلمة وانا يعسوب المؤمنين فلا والله ما التفت إلى ما فيه ولا فكر فيما رآه منه وما وجدته عنده إلا كالتراب هو انا فتعجبت من القوم ومنه عليه السلام فقلت اولئك ممن يريد الدنيا وهذا ممن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه، ولما استقر الامر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف وعلم طلحة والزبير وعائشة ان أمير المؤمنين بذي قار ينتظر الجموع وانه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين امرت عائشة الزبير ان يستنفر الناس إليه فخطبهم الزبير وامرهم بالجد والاجتهاد وقال لهم ان عدوكم قد اظلكم والله لئن ظفر بكم لا ترك بكم

[١٥٥]

عينا تطرف فانهمضوا إليه حتى نكب عليه قبل ان تلحقه انصاره وقال لهم امضوا فخذوا أعطيتكم فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله امرت الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل ان يأتي علي بن ابي طالب فتضعف بئس الراي الذري رأيت فقال له الزبير اسكت وبلك ما كان غير الذي قلت فقال طلحة صدق عبد الله وما ينبغي ان يسلم هذا المال حتى يقرب منا علي فنضعه في موضعه فيمن يدفعه عنا فغضب الزبير وقال والله لو لم يبق إلا درهم واحد لاعطيته فلامته عائشة على ذلك ووافق رأيها برأي الرجلين فقال الزبير والله لتدعوني أو ألحق بمعاوية فقد بايع في الشام الناس فأمسكوا عنه. الزبير شاك متردد: وروى داود بن ابي هند عن ابن عمرة مولى الزبير ان الزبير قال يومئذ لو كان لي الف فارس إلى خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة لاسير بهم إلي علي فاما ان أتني به بياتا أو أصبح صابحا لعلي اقبله قبل ان يأتيه مدده فلم يخف معه احد فاغتاظ لذلك وقال هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها فقال له مولاه ابو عمرة رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها فتنة ثم ترى القتال فيها فقال له ويحك انا نصبره ولكن لا نصبر ثم قال بعد ذلك بيوم أو يومين والله ما كان امر قط إلا علمت اين اضع قدمي فيه إلا هذا الامر فاني لم أدر أنا فيه مقبل ام مدبر فقال له ابنه عبد الله والله ما بك هذا وانا لتنعامي فلما يملكك على هذا القول إلا انك أحسست برأيات ابن ابي طالب قد اظلت وعلمت ان الموت الناقع تحتها فقال له اعرب ويحك فانك لا علم لك بالامور. وروى الحرث بن الفضل عن ابي عبد الله الاغر ان الزبير بن العوام قال لابنه يومئذ وبلك لا تدعنا على حال انت والله قطعت بيننا

[١٥٦]

وقرقت الفتنة بما بليت به من هذا المسير وما كنت متوليا من ولي هذا الامر واقام به والله لا يقوم احد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فمن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب وان سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما اصنع بهذا المسير وضرب الناس بعضهم ببعض فقال له عبد الله ابنه افتدع عليا يستولي على الامر؟ وأنت تعلم انه كان احسن اهل الشورى عند عمر بن الخطاب ولقد أشار عمر وهو مطعون يقول لاصحابه اهل الشورى ويلكم اطعموا ابن ابي طالب فيها لا يفتق في الاسلام فتقا عظيما ومنوه حتى تجمعوا على رجل سواه. ولما صار عثمان بن حنيف إلى ذي قار وأقام بها مع أمير المؤمنين وهو مريض يعالج حتى ورد على أمير المؤمنين (ع) اهل الكوفة. فصل: وروى

الواقدي عن شيبان بن عبد الرحمن عن عامر بن كليب عن ابيه قال لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلا حتى قدم طلحة والزبير البصرة ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيرا حتى أقبل علي بن ابي طالب بذئ قار فقال شيخان من الحي اذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو إليه فلما اتينا (ذا قار) قدمنا على أذكى العرب فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو اعلم به مني واطوع فيهم فقال من سيد بني راسب فقلت فلان قال فمن سيد بني قدامة قلت فلان لرجل آخر فقال انت مبلغهما كتابين مني ؟ قلت نعم قال أفلا تبايعاني ؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون بايع بايع فقال عليه السلام دعوا الرجل فقلت انما بعثني قومي رائدا وسأنهني إليهم ما رأيت فان بايعوا بايعت وان اعتزلوا اعتزلت فقال لي رأيت لو ان قومك بعثوك رائدا فرأيت روضة وغديرا فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك فأخذت باصبع من اصابعه فقلت ابايع على ان اطيعك ما اطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا

[١٥٧]

فقال نعم وطول صوته فضربت على يده ثم التفت إلى محمد بن حاطب وكان من ناحية القوم فقال إذا انطلقت إلى قومك فأبلغهم كتبني وقولي فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه فقال ان قومي إذا اتيتهم يقولون ما يقول صاحبك في عثمان فاسب عثمان الذين حوله فرأيت عليا قد كره ذلك حتى رشح جبينه وقال ايها القوم كفوا ما اياكم يسأل ولا عنكم سائل قال فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على علي أهل الكوفة فجعلوا يقولون نرى اخواننا من اهل البصرة يقاتلوننا وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق كأنهم يرون انهم لا يقتلون وخرجت بكتاب علي (ع) فأتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب وأجابه ودللت على الآخر وكان متواريا فلو انهم قالوا له كليب ما اذن لي فدخلت عليه ودفعت الكتاب إليه وقلت هذا كتاب علي واخبرته الخبر وقلت اني اخبرت عليا إنك سيد قومك فأبى أن يقبل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله وقال لا حاجة لي اليوم في السؤدد فوالله اني لبالبصرة ما رجعت إلى علي حتى نزل العسكر ورأيت الغر الذين مع علي عليه السلام وطلع القوم. اخبار علي بعدد من يأتيه من الكوفة: وروى نصر بن عمرو بن سعد عن الاحلج عن زيد بن علي قال لما أبطأ علي علي (ع) خبر اهل البصرة وكانوا في فلاة قال عبد الله بن عباس فأخبرت عليا بذلك فقال لي اسكت يا ابن عباس فوالله لياتينا في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستمائة رجل وليغلبن أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير فوالله انني استشرف الاخبار واستقبلها حتى إذا اتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من

[١٥٨]

علي (ع) لم تنقص برجل واحد (١). وروى اسماعيل بن عبد الملك بن يحيى بن شبل عن ابي جعفر محمد ابن علي (ع) قال لما سار علي من ذي قار قاصدا البصرة حتى نزل الخريبة في اثني عشر الف وعلى الميمنة عمار بن ياسر في الف رجل وعلى الميسرة مالك الاشر في الف رجل ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل وخرج إليه من البصرة الفا رجل خرجت إليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلف عنها وجاءته بنو بكر يرأسهم شقيق بن ثور السدوسي ورأس عبد القيس عمر ابن جرموس العبدى وانه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الازد موقف الاحنف: وبعث إليه الاحنف بن قيس يقول له اني مقيم على

طاعتك في قومي فان شئت حبست عنك اربعة آلاف سيف من بني سعد فبعث إليه امير المؤمنين (ع) بل احبس وكف فجمع الاحنف قومه فقال يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم لم يهيجوكم وان ظهر علي (ع) سلمتم فكفوا وتركوا القتال (٢) واقبل هلال بن وكيع الحنظلي إلى الاحنف بن قيس حين بلغه ذلك فقال ما يقول سيدنا في هذا الامر؟ فقال الاحنف انما اكون سيدكم غدا إذا قلتم إنا وبقيت فقال هلال (٣) بل انت سيدنا اليوم

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٩) قال ابو الطفيل اخبرنا علي عليه السلام بمن يأتيه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا. (٢) المصدر. (٣) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠١) انه هلال بن وكيع - (*)

[١٥٩]

وشيخنا فقال الاحنف أنا شيخكم المعصي وأنت الشاب الممطع أقعد في بيتك ولا تخرج مع طلحة والزبير فأبى أن يرضى ثم دعا نعيما كلهم فبايعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة والزبير ما فعله الاحنف فبعثا إليه يستميلانه وبرومان أن يدخل في طاعتهما فقال اختاروا مني إحدى ثلاث خصال اما ان أقيم في بيتي واكف نفسي ولا اكون معكما ولا عليكما واما ان الحق بعلي بن ابي طالب واما ان أتى إلى الاهواز فاقم بها فقالا ننظر في ذلك ثم استشارا من حضرهما فقالوا لهما اما علي فعدوكم ولاحظ في أن يكون معه الاحنف واما الاهواز أن أتاها يلحق به كلمن لا يريد القتال معكما منهم ولكن يكون قريبا منكما فان تحرك وطأتماه على صماخه فأمره بالفعود فأنى (وادي السباع) واقام به (١). ولما قدم رسول الاحنف على علي (ع) بما بذله من كف قومه عنه قال رجل يا امير المؤمنين من هذا؟ قال ادهى العرب وخيرهم لقومه فقال كذلك هو وانى لامثل بينه وبين المغيرة بن شعبة لزم الطائف فأقام بها ينتظر على من تستقيم الامة فقال الرجل انى لاحسب ان الاحنف لاسرع إلى ما تحب من المغيرة فقال علي (ع) اجل ما يبالي المغيرة اي لواء رفع لواء ضلالة أو هدى، وروى الواقي قال حدثني معمر بن راشد عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال اقبل ابو بكره يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في امرهما فلما رأى عائشة تدبرهما رجع عنهما فقيل له مالك لم تدخل معهما فقال رأيت امرأة تلي امرهم وقد سمعت رسول الله يقول وقد ذكر ملكة سبأ فقال لا أفلح قوم تدبرهم امرأة فكرهت الدخول معهم.

- ابن مالك بن عمرو. (١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٧ و ص ٢٠١). (*)

[١٦٠]

وروى عبد الله بن عطا عن عبد الرحمن بن أبي بكره قال أعتزل أبي أن يدخل مع عائشة قال انى سمعت رسول الله يقول لا يفلح قوم تلي امرهم امرأة (١). كتاب عائشة إلى المدينة واليامة: فصل: وروى الواقي عن رجاله قال لما أفرج القوم عن عثمان ابن حنيف (ره) لما خلفوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة. بسم الله الرحمن الرحيم من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وأبنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فان الله أظهر الحق ونصر طالبيه وقد قال الله تعالى: (بل نقذف

بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الآية. ولكم الويل مما تصفون فاتقوا الله عباد الله وأسمعوا وأطيعوا وأعتصموا بحبل الله جميعاً وعرورة الحق ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملا منهم وتشاور فانا ندخل في صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا واطيعوا واعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله. وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين (٢).

(١) الفيض القدسي شرح الجامع الصغير (ج ١ - ص ٣٠٣) عن الحاكم والبخاري في المغازي والفتن والترمذي في الفتن والنسائي في القضاء قال وفيه دلالة على انها لا تصلح لشئ من امور الزعامة. (٢) عند ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٦) انه كتب في جمادى (*).

[١٦١]

وكتبت إلى أهل اليمامة وأهل تلك النواحي: اما بعد فاني اذكركم الله الذي انعم عليكم وألزمكم بالاسلام فان الله تعالى يقول: (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها أن ذلك على الله يسير) فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فان امكم ناصحة لكم فيما تدعون إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد اظهر الله عليه وان ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وانا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله وان يعضوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم واجمع لامرهم وكان ذلك لله على المسلمين فيه الطاعة فاما ان ندرك به حاجتنا أو نبلغ عذرا. فلما دنونا بالبصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع وأمرهم ان يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا لعثمان بن حنيف ويحك انما تابعنا زوج النبي وام المؤمنين واصحاب رسول الله وائمة المسلمين فتمادى في غيبه وأقام على أمره فلما رأى المسلمون انه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم غضبوا الله عزوجل ولام المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبا في ثلاثة آلاف من جهة العرب وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتمسنا ان يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله. حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس ودنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا مناغرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لانفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وأباحوا سدة بيتي ومعهم صناديد لهم

[١٦٢]

ليسفكوا دمي فوجدوا نفرا على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر من القرشيين والأزديين فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهمزوا فلم نتعرض لقبيتهم وخلينا ابن حنيف منا منا عليه وقد توجه إلى صاحبه وعرفناكم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصره دين الله والغضب لخليفته المظلوم. وروى الواقدي عن عبد بن السلام بن حفص قال حدثني المنهال ابن سلم البصري قال لما بدى لطلحة والزبير في حبس عثمان بن حنيف واشفقنا من أخيه سهل بن حنيف على مخلفيهم في المدينة أطلقوه فتوجه إلى أمير

المؤمنين (ع) وهو بذي قار. خطبة طلحة: فلما عرفا خروجه إليه قام طلحة في الناس خطيبا فنعى إليهم عثمان ابن عفان وذكر قاتليه وأكثر الذم لهم والشتم وعزا قتله إلى علي بن أبي طالب (ع) وأنصاره وذكر أن عليا أكره الناس على البيعة له فقال فيما قال: يا معشر المسلمين أن الله قد منحكم بام المؤمنين وقد عرفتم حقها ومكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكان أبيها من الاسلام فهذه هي تشهد لنا إنا لم نكذبكم فيما خبرناكم به ولا غرناكم فيما دعوناكم إليه من قتال ابن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق ولسنا نطلب خلافة ولا ملكا وإنا نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق وقد رجونا أن يكون عندكم عوننا لنا على طاعة الله وصلاح الامة فانا احق من عناه أمر المسلمين ومصالحتهم. وأن عليا لو عمل الجد في نصرة أمكم لاعتزل هذا الامر حتى تختار الامة لانفسها من ترضاه. فقال أهل البصرة مرحبا وأهلا وسهلا بام المؤمنين والحمد لله الذي

[١٦٣]

أكرمنا بها وانتم عندنا رضى وثقة وأنفسنا مبدولة لكم ونحن نموت على طاعتكم ورضاكم. ثم أنصرفوا وساروا إلى عائشة فسلموا عليها وقالوا قد علمنا أن أمنا لم تخرج الينا إلا لثقتنا بنا وأنها تريد الإصلاح وحقق الدماء وأطفاء الفتن والالفة بين المسلمين وأنا ننتظر أمرها في ذلك فان أبي عليا احد فيه قاتلناه حتى يفيء إلى الحق. وبلغ كلام طلحة مع أهل البصرة إلى عبد بن حكيم التميمي فصار إليه وقال له يا طلحة هذه كتبك وصلت الينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك عندنا بالتأليب عليه حتى قتل وبيعتك عليا في جماعة الناس ونكتك بيعته من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك وفيما جئت بعد الذي عرفناه من رأيك في عثمان فقال له طلحة اما عيبي لعثمان وتأليبي عليه فقد كان فلم نجد لنا من الخلاص منه سبيلا إلا التوبة فيما إقترفناه من الجرم له والاختذ بدمه فاما بيعتي له فاني اكرهت على ذلك وخشيت منه أن يؤلب علي أن أمتنع من بيعته ويغري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله فقال له عبد الله بن حكيم هذه معاذير يعلم الله باطن الامر فيها وهو المستعان على ما نخاف من عاقبة أمرها. خطبة أخرى له: وروى عبد الله بن عبيدة قال لما كان من كلام عبد الله بن حكيم ما كان قام طلحة فحمد الله وأثنى عليه وقال أن رسول الله صلى الله عليه وآله توفي وهو عنا راض وكنا مع أبي بكر حتى توفاه الله فمات وهو عنا راض ثم كان عمر بن الخطاب فسمعناه وأطعناه حتى قبض وهو عنا راض فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده واختار ستة نفر ورضيهم للامر فاستقام أمرنا على رجل من الستة ولبينا واجتمع رأينا عليه وهو

[١٦٤]

عثمان وكان أهلا لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعناه فأحدث بعد ذلك إحداثا لم تكن على عهد أبي بكر وعمر فكرهها الناس منه ولم يكن لنا بد مما صنعناه. وأخذ هذا الرجل الامر دوننا من غير مشورتنا وتغلب عليه ونحن فيه وهو شرع سواء فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللح على اعناقنا فبايعناه كرها والذي نطلب منه أيتها الناس الآن أن يدفع إلى ورثة عثمان قاتليه فانه قتل مظلوما ويخلع هذا الامر ويعتزله ليتشاور المسلمون فيمن يكون إماما كسنة عمر بن الخطاب فإذا استقام رأينا ورأى أهل الاسلام على رجل بايعناه. فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أنه قد كان وال هذا الامر وقوامه المهاجرون والانصار بالمدينة ولم يكن لاحد من أهل الامصار أن

ينقضوا ما أبرموا ولا يبرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأيا كتبوا به إلى الامصار فسمعوا لهم وأطاعوا وأن عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتل ويبيع الناس عليا ويأبونه في جملتهم طلحة والزبير فجاءنا نأهما بيعتهما له فبايعناه فوالله لا نخلع خليفتنا ولا ننقض بيعتنا. فصاح عليه طلحة والزبير وأمرنا بقرض لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شيء. وقام رجل من بنى جشم فقال: أيها الناس أنا فلان بن فلان فاعرفوني وإنما أنتسب لهم ليعلموا ان له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافقك كلامه قال أيها الناس أن هؤلاء القوم ان كانوا جاؤكم يطلبون بدم عثمان فوالله ما نحن قتلنا عثمان وان كانوا جاؤكم خائفين فوالله ما جاؤا إلا من حيث يأمن الطير

[١٦٥]

فلا تغتروا بهم واسمعوا قولني وأطيعوا أمرى وردوا هؤلاء القوم إلى مكانهم الذي منه أقبلوا وأقيموا على بيعتكم لامامكم وأطيعوا لاميركم. فصاح عليه الناس من جوانب المسجد وقذفوه بالحصى. ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس فقال: أيها الناس انصتوا حتى أتكم فقال له عبد الله بن الزبير ويلك ما لك وللكلام فقال مالي وله انا والله للكلام به وفيه ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وقال: يا معاشر المهاجرين كنتم أول الناس إسلاما بعث الله محمدا نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم وأسلمنا لإسلامكم فكنتم في القادة ونحن لكم تبع ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلا منكم لم تستأذنونا في ذلك فإسلمنا لكم ثم أن ذلك الرجل توفي واستخلف عمر ابن الخطاب فوالله ما استشارنا في ذلك فما رضيتم به رضينا وسلمنا ثم أن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحدا فإسلمنا لكم واتبعناكم ثم أن الرجل أحدث أحداثا أنكرتموها فحصرتموه وخلصتموه وقتلتموه وما استشرتمونا في ذلك ثم بايعتم علي بن أبي طالب وما استشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنا لكم تبعا فوالله ما ندرى بماذا نقضتم عليه ؟ هل أستاثر بمال ؟ أو حكم بغير ما أنزل الله ؟ أو أحدث منكرا ؟ فحدثونا به نكن معكم فوالله ما نراكم إلا قد ظلمتم بخلافكم له فقال له ابن الزبير ما أنت وذاك وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه فمنعتهم عشيرته. خطبة عائشة: فصل: وروى محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن طلحة قال لقد شهدت عائشة يوم الجمل وقد سألتها الناس عن عثمان فما رأيت أفصح منها لسانا ولا أربط منها جنانا فاستجلبت الناس بيديها ثم حمدت الله

[١٦٦]

وأثنت عليه وقالت: أيها الناس إنا نقمنا على عثمان لخصال ثلاثة: إمارة بالغنى وضربه بالسوط ورفعه موضع الامامة حتى إذا عتبنا منهن مصوه مص الماء بالصابون ثم عدوا عليه فاستحلقت منه حرمان ثلاث حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الخلافة والله لعثمان كان أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأعفهم للفرج أقول قولني هذا واستغفر الله لي ولكم وروى اسرافيل بن يونس عن ابي اسحق الهمداني قال جاء جليد ابن زهير الجشمي و عبد الله بن عامر التميمي فدخلوا على عائشة فإسلمنا عليها فقالت من هذان الرجلان ؟ فقيل لها هذان زهير بن جليد صاحب خراسان وهذا عبد الله بن عامر التميمي فقالت هما معنا ام علينا ؟ فقالا لا معك ولا عليك حتى يتبين لنا الامر فقالت كفى بالاعتزال نصرة. وروى عمر بن صباح قال اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة والزبير فقالوا لهما فان ولاة عثمان غيركما فدعوا ولاته يطالبون بدمه والله ما نراكم انصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله في حبيسته عرضتها للرباح

والشموس والقتال وقد أمرها الله ان تقر في بيتها وتركتما نساءكما في الاكنان والبيوت هلا جئتم بنسائكما معكما فقال لهم طلحة اغربوا عنا قبحكم الله (١). وجاء عمرو بن حصين إلى عائشة فقال لها قد كان لك يا عائشة في اخواتك عبرة وفي امثالك من امهات المؤمنين اسوة اما سمعت الله تعالى يقول: وقرن في بيوتكن. فلو اتبعت امر الله كان خيرا لك فقالت

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٦) ان جارية بن قدامة السعدى قال للزبير وطلحة جئتما بام المؤمنين فهل جئتما بنسائكما ؟ قال لا فقال فما انا منكما في شئ واعتزل القتال ثم قال من آيات ذكرها صنتم حلائلكم وقدتم امكم * هذا لعمرك قلة الانصاف (*)

[١٦٧]

له يا عمر قد كان ما كان فهل عندك عونا لنا وإلا فاحبس عنا لسانك قال اعتزل عليا قالت رضيت بذلك منك. النصيحة لاصحاب الجمل: فصل: ولما سار أمير المؤمنين (ع) من ذى قار قدم صعصعة بن صوحان بكتاب علي (ع) إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم عليهم حرمة الاسلام ويخوفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبه من قتل من قتلوا من المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان بن حنيف رحمه الله وقتلهم المسلمين صبرا ووعظهم ودعاهم إلى الطاعة قال صعصعة رحمه الله فقدتم عليهم فبدأت بطلحة واعطيته الكتاب واديت الرسالة فقال الآن حين عضت ابن ابى طالب الحرب ترفق لنا ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة ثم جئت إلى عائشة فوجدتها اسرع الناس إلى الشر فقالت نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لافعلن وافعلن فعدت إلى امير المؤمنين عليه السلام فلقية قبل ان يدخل البصرة فقال ما وراءك يا صعصعة ؟ قلت يا امير المؤمنين رايت قوما ما يريدون إلا قتالك فقال الله المستعان. ثم دعا عبد الله بن عباس فقال انطلق إليهم فناشدهم وذكرهم العهد الذى لى في رقابهم قال ابن عباس جئتهم فبدأت بطلحة فذكرته العهد فقال لى يا ابن عباس والله لقد بايعت عليا واللى على رقبتي فقلت له أنا رأيتك بايعت طابعا أو لم يقل لك على بيعتك له ان احببت ابايعك فقلت لا بل نحن نبايعك ؟ فقال طلحة إنما قال لى ذلك وقد بايعه قوم فلم استطع خلافهم والله يا ابن عباس ان القوم الذين معه يغرونه وقد لقبناه فسيسلمونه اما عملت يا ابن عباس انى جئت إليه والزبير ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله

[١٦٨]

والقدم في الاسلام وقد احاط به الناس قياما على رأسه بالسيف فقال لنا يهزل ان احببنا بايعت لكما فلو قلنا نعم افتراه يفعل ؟ وقد بايع الناس له فليخلع نفسه وبياعنا لا والله ما كان يفعل وحتى ان يغري بنا من لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين وقد جئنا نطلب بدم عثمان فقل لابن عمك ان كان يريد حقن الدماء واصلاح امر الامة فليمكننا من قتلة عثمان فهم معه ويخلع نفسه ويرد الامر ليكون شورى بين المسلمين فيولوا من شاؤا فانما علي (ع) رجل كأحدنا وان ابى اعطيناه السيف فماله عندنا غير هذا. قال ابن عباس يا ابا محمد لست تنصف ألم تعلم انك حصرت عثمان حتى مكث عشرة ايام يشرب ماء بثره وتمنعه من شرب الماء حتى كلمك علي في ان تخلى الماء له وانت تأبى ذلك ولما رأى اهل مصر فعلك وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه ثم بايع

الناس رجلا له من السابقة والفضل والقرابة برسول الله صلى الله عليه وآله والبلاء العظيم ما لا يدفع وحثت انت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما فعجب والله اقرارك لابي بكر وعمر وعثمان بالبيعة ووثوبك على ابن ابي طالب فوالله ما علي (ع) دون احد منكم واما قولك يمكنني من قتلة عثمان فما يخفي عليك من قتل عثمان واما قولك ان ابي علي (ع) فالسيف فوالله انك تعلم ان عليا لا يتخوف. فقال طلحة ايتها الآن دعنا من جدالك. قال فخرجت إلى علي وقد دخل البيوت بالبصرة فقال ما ورائك فأخبرته الخبر فقال اللهم افتح بيننا بالحق وانت خير الفاتحين ثم قال ارجع إلى عائشة واذكر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وخوفها من الخلاف على الله عزوجل ونبذها عهد النبي صلى الله عليه وآله وقل لها ان هذه الامور لا تصلحها النساء وانك لم تؤمري بذلك فلم ترضى

[١٦٩]

بالخروج عن امر الله في تبرجك وبيتك الذي امرك النبي بالمقام فيه حتى سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم وفتحت بيت المال وامرت بالتنكيل بالمسلمين وأبحت دماء الصالحين فارعي وراقبي الله عزوجل فقد تعلمين انك كنت اشد الناس على عثمان فما عدا مما بدا. قال ابن عباس فلما جئتها وأديت الرسالة إليها وقرأت كتاب علي عليه السلام عليها. قالت يا ابن عباس ابن عمك يرى انه قد تملك البلاد لا والله ما بيده منها شئ إلا وبيدنا اكثر منه. فقلت يا اماه ان امير المؤمنين (ع) له فضل وسابقة في الاسلام وعظم عناء. قالت ألا تذكر طلحة وعناه يوم أحد قال فقلت لها والله ما نعلم احدا اعظم عناء من علي (ع). قالت انت تقول هذا ومع علي اشياء كثيرة قلت الله الله في دماء المسلمين قالت واي دم يكون المسلمين إلا ان يكون علي يقتل نفسه ومن معه قال ابن عباس فتبسمت فقالت مما تضحك يا ابن عباس؟. فقلت والله معه قوم على بصيرة من امرهم يبذلون مهجهم دونه قالت حسينا الله ونعم الوكيل. قال وقد كان امير المؤمنين اوصاني ان القى الزبير وان قدرت ان اكلمه وابنه ليس يحاضر فجت مرة أو مرتين كل ذلك اجده عنده ثم جئت مرة اخرى فلم اجده عنده فدخلت عليه وامر الزبير مولاه شرحسا ان يجلس على الباب ويحبس عنا الناس فجعلت اكلمه فقال عصيتم ان خولفتم والله لتعلمن عاقبة ابن عمك فعلمت ان الرجل مغضب فجعلت الابنه فيلين مرة ويشتد اخرى.

[١٧٠]

فلما سمع شرحسا ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير وكان عند طلحة فدعاه فأقبل سريعا حتى دخل علينا. فقال يا ابن عباس دع بنيات الطريق بيننا وبينكم عهد خليفة ودم خليفة وانفراد واحد واجتماع ثلاثة وام مبرورة ومشاورة العامة. فأمسكت ساعة لا اكلمه ثم قلت لو اردت ان اقول لقلت فقال ابن الزبير ولم تؤخر ذلك؟ وقد لحم الامر وبلغ السيل الزبي قال ابن عباس فقلت ما قولك عهد خليفة فان عمر جعل الشورى إلى ستة نفر فجعل نفر امرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها فعرض الامر على علي فحلف عثمان وأبي علي ان يحلف فبويع عثمان فهذا عهد خليفة واما دم خليفة قدمه عند ابيك لا يخرج ابوك من خصلتين اما قتل واما خذل واما الانفراد واجتماع ثلاثة فان الناس لما قتلوا عثمان فزعوا إلى علي فبايعوه طوعا وتركوا اباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منهما واما قولك ان معكم اما مبرورة فان هذه الامم انما اخرجتماها من بيها وقد امرها الله تعالى ان تقر فيه فأبيت ان تدعها وقد علمت انت

وابوك ان النبي صلى الله عليه وآله حذرنا من الخروج وقال لها يا حميرا إياك ان تنبحك كلاب الحوآب (١) وكان منها ما قد رأيت وأما دعواك مشاورة العامة فكيف يشاور فيمن قد اجتمع عليه وانت تعلم ان اباك وطلحة بايعا طائعين غير كارهين فقال ابن الزبير الباطل والله ما تقول يا ابن عباس وقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن اصحاب الشورى فكان صاحبكم اخيهم عنده وما ادخله عمر في الشورى إلا وهو يقرفه ولكنه خاف فتقه في الاسلام واما قتل خليفة فصاحبك كتب إلى الأفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه وهو في داره بلسانه ويده وانا معه في الدار اقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحا واما قولك ان عليا بايعه الناس

(١) ابن حجر في تطهير الجنان بها مس الصواعق المحرقة ص ١٠٨ (*)

[١٧١]

طابعين فوالله ما بايعوه إلا كارهين والسياف على رقابهم غصبهم امره فقال الزبير دع عنك ما ترى يا ابن عباس جئتنا لتوفينا فقال له ابن عباس انتم طلبتم هذا والله ما عددناك قط إلا منا بنو هاشم لانهم اخوالك ومحبتك لهم حتى ادراك ابنك هذا فقطع ارجامهم فقال الزبير دع عنك هذا علي ينظم الجيش؛ ولما عاد رسل أمير المؤمنين من طلحة والزبير وعائشة باصرارهم على خلافه وإقامتهم على نكث بيعته والمباينة له والعمل على حربه واستحلال دماء شيعته وانهم لا يتعظون بوعظ ولا ينتهون عن الفساد بوعيد كتب الكتائب ورتب العساكر واستعمل على مقدمته عبد الله بن عباس رحمه الله وعلى ساقته هند المرادي ثم الجملي وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب سيد اهل الكوفة اسمه اسم امرأة واستعمل على كافة الخيل عمار بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن ابي بكر وفرق الريات من بعده فجعل على خيل مذحج خاصة هند الجملي وعلى رجالتها شريح ابن هاني الحارثي وعلى خيل همدان سعيد بن قيس وعلى رجالتها زياد ابن كعب بن مرة وعلى خيل كندة حجر بن عدي وعلى خيل بجيلة ورجالتها رفاعة بن شداد وعلى خيل قضاعة ورجالتها عدي بن حاتم وعلى خيل خزاعة وأفناء اليمن عبد الله بن زيد وعلى رجالتها عمرو بن الحمق الخزاعي وعلى خيل الازد جندب بن زهير وعلى رجالتها ابا زينب الذي شهد على الوليد بن عقبة بشرب الخمر وكان سبب صرفه وأقام الحد عليه وعلى خيل بكر بن وائل عبد الله بن هاشم السدوسي وعلى رجالتها حسان بن مخدوع الذهلي وعلى خيل عبد القيس من اهل الكوفة زيد بن صوحان العبدي وعلى رجالتها الحرث بن مرة العبدي وعلى خيل بكر بن وائل من اهل البصرة سفيان بن ثور الدوسي

[١٧٢]

وعلى رجالتها الحصين بن المنذر وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين: لمن راية سوداء يخفق ظلها * إذا قيل قدمها حصين تقدما وعلى المهازم خاصة جوهر بن جابر الخفر وعلى الذهليين خالد بن المعمر السدوسي وعلى خيل عبد القيس من اهل البصرة المنذر بن الجارود العبدي وعلى خيل اسد قبيصة بن جابر الاسدي وعلى رجالتها العكبر بن وائل الاسدي وهو الذي قتل محمد بن طلحة في ذلك اليوم وعلى خيول اهل الكوفة من بني تميم عمير بن عطارذ وعلى رجالتها معقل بن قيس وهو الذي سبا بني ناجية وعلى خيل قيس غيلان من اهل الكوفة عبد الله بن الطفيل البكالي

وعلى رجالها قره بن نوفل الاشجعي صاحب النخيلة وعلى خيل قريش وكنانة هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص المرقال وعلى رجالها هاشم بن هاشم وعلى من صار إليه من تميم البصرة جارية بن قدامة السعدي وعلى رجالها اعين بن ضبيعة فأحاط العسكر يومئذ من الفرسان المعروفين والرجال المشهورين على ستة عشر الف رجل. ولما بلغ طلحة والزبير ان امير المؤمنين عليه السلام كتب الكتائب ورتب العاسكر وتيقنوا منه الجد وايقنوا منه القصد والحرب عمدا على الاستعداد لها وكان اهل البصرة قد اختلفوا عليهما وقعد الاحنف في بني سعد وكانا يظنان انه معهم فأخلف ظنهم وتأخر عنهما الازد لعودة كعب بن شور القاضي (١) عنهما وكان سيد الازد واهل اليمن بالبصرة فأنفذ إليه رسوليها يسألانه النصر لهما والقتال معهما فأبى عليهما وقال انا اعتزل الفريقين فقلنا لئن قعد عنا كعب خذلنا الازد باسرها ولا غنى لنا عنه فصارا إليه وأستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما فصارا

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٢) ذكره بالسجين المهمة. (*)

[١٧٣]

إلى عائشة فخيرها خبره وسألها ان تسير إليه فأبت وراسلته تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها من ذلك. فقال طلحة والزبير يا ام ان قعد عنا كعب قعدت عنا الازد كلها وهي حي البصرة فاركبي إليه فانك ان فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك فركبت بغلا وأحاط بها نفر من اهل البصرة وصارت إلى كعب بن شور فاستأذنت عليه فأذن لها ورحب بها فقالت يا بني ارسلت اليك لتنصر الله عزوجل فما الذي اخرجك عني؟ فقال يا اماه لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة فقالت يا بني اخرج معي وخذ بخطام جملي فاني ارجو أن يقربك بي إلى الجنة واستعبرت باكية فرق لها كعب بن شور واجابها وعلق المصحف في عنقه وخرج معها فلما خرج والمصحف في عنقه قال غلام من بني وهب وقد كان عرف امتناعه وتأنيه عن خوض هذه الفتنة يقول: أيا كعب رأيك ذاك الجزيل * امثل من رأيك الخاطل أتاك الزبير يدير الامور * وطلحة بالنقل الثاكل ليستدرجك بما زخرفا * وامك تهوى إلى نازل وقد كانت الام معصومة * فأصحت فرائس للأكل تخط بها الارض مرحولها * ترد الجواب على السائل فالفيتها بين حي السباع * وعرضتها للشجى الثاكل بحرب علي وأصحابه * فقد ازم الدهر بالكاهل فأبديت للقوم ما في الضمير * وقلت لهم قولة الخاذل فأخطاهما منك ما املاه * وقد اخلفا امل الأمل وما لك في مصر من نسبة * وما لك في الحى من وائل فلا تجزعن على هالك * من القوم حاف ومن ناعل ولما نهض كعب بن شور مع عائشة في الازد اجتمع رأي طلحة

[١٧٤]

والزبير على تكتب الكتائب واستقر الامر معهما على ان الزبير أمير العسكر خاصة ومديره وطلحة في القلب واللواء مع عبد الله بن حزام ابن خويلد وكعب بن شور مع الازد وعلى خيل الميمنة مروان بن الحكم وعلى رجاله الميمنة عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وعلى خيل الميسرة وهم بنو تميم وسائر قبائل قضاة وهوازن هلال بن وكيع الدارمي وعلى رجاله الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وقد ضم إليه الحباب يزيد وعلى خيل قيس غيلان مجاشع بن مسعود وعلى رجالهم جابر بن النعمان الباهلي وعلى خيل الرباب

عمرو بن ثيري وعلى رجالتهم خرشنة ابن عمرو العتيبي وعلى من انجاز إليهم من ثقيف عبد الله بن عامر بن كريب وعلى افناء اهل المدينة عبد الله بن خلف الخزاعي وعلى رجالة مذحج الربيع بن زياد الحارثي وعلى رجالة قضاة عبد الله بن جابر الراسبي وعلى من انجاز إليهم من ربيعة مالك بن مسمع (١) ولما تقرر امر الكتائب في الفريقين فخرج كل فريق بقومه وقام خطباؤهم بالتحريض على القتال. خطبة ابن الزبير: فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس ان هذا الرعث والوعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم ينشر اموركم بالبصرة وقد غضب الناس انفسهم ألا تنصرون خليفتمكم

(١) هو مالك بن مسمع بن سيار بن حجر من آل بكر بن وائل وفد أبوه مسمع على النبي صلى الله عليه وآله وأسلم ثم ارتد وقتل بالبحرين قصاصا عن كلب قتله لقوم من عبد القيس كما في الحيوان للجاحظ (ج ١ - ص ١٣٠) وفي معارف ابن قتيبة ص ١٨٤ إذا غضب مالك غضب معه مائة الف سيف وفي الطبري (ج ٧ - ص ١٦٨) كان - (*)

[١٧٥]

المظلوم ألا تمنعون حريمكم المباح ألا تتقون الله في عطيتكم من انفسكم أترضون ان يتوردكم اهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقدم غوضبتم وقتلوا فقد قوتلتهم ان عليا لا يرى ان معه في هذا الامر احد سواه والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم وديناكم. وأكثر من نحو هذا القول وشبهه. خطبة الحسن: فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال لولده الحسن (ع) قم يا بنى فاخطب فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل وان طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي واما قوله ان عليا ابتز الناس امرهم فان اعظم حجة لابي زعم انه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أفر بالبيعة وادعى الوليعة فليأتي على ما ادعاه ببرهان وأنى له ذلك واما تعجبه من تورد اهل الكوفة على اهل البصرة فما عجبه من اهل حق توردوا على اهل باطل ولعمري والله ليعلمن اهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم إلى الله تعالى فيقضي الله الحق وهو خير الفاصلين. فلما فرغ الحسن (ع) من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود

- عثمانى العقيدة خرج إلى معاوية بعد قتل عثمان وفي ابن الاثير (ج ٤ ص ١١٢) كان معه يوم صفين وفي الاغانى (ج ٩ - ص ٢٥) لما لجأ إليه مروان بعد وقعة الجمل وطلبه أمير المؤمنين (ع) لم يدفعه إليه إلا بعد أن أخذ منه رهينة دفعها إلى أبي حفصة عتيق مروان وقال له ان حدث بصاحبك حدث فعليك بالرهينة. (*)

[١٧٦]

وانشد شعرا يمدح الحسن (١). خطبة طلحة: قال فلما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن (ع) ومدح المادح له قام طلحة خطيبا في أصحابه وقال: يا أهل البصرة قد ساق الله اليكم خير ما ساقه إلى قوم قط: امكم وحرمة نبيكم وحواري رسول الله وابن عمته ومن وفاه بيده، ان عليا غضب الناس انفسهم بالحجاز وتهيا للشام يريد سفك دماء المسلمين والتغلب على بلادهم فلما بلغه مسيرنا اليكم وقصدنا قصدكم وقد اجتمع معه منافقوا مضر وأنصار ربيعة ورجالة اليمن فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم ولا ترعوا عنهم وتقولوا ابن

عم رسول الله وهذه معكم زوجة الرسول وأحب الناس إليه وابنة الصديق الذي كان أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز كان قدم البصرة وهو غلام فقال: يا طلحة والله ما تركت جنبا صحيحا عليه بشتمك ربيعة ومضر واليمن وان كان القول كما تقول فانا لمثلهم وهم منا ونحن منهم وما يفرق بيننا وبينهم غيرك وغير صاحبك ولقد سبقت الينا من علي (ع) بيعة ما ينبغي لنا ان ننقضها وانا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس. فهم القوم به فمنعهم بنو أسد فخرج منهم ولحق بمنزل ابن صهبان مستخفيا إشفافا على دمه منهم. وقام الاسود بن عوف لما سمع طلحة يشتم الاحياء من ربيعة ومضر واليمن فقال يا هذا ان الله لا يفرق بيننا وبين مضر وان اهل الكوفة من

(١) ذكر الشعر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١ ص ٤٩) (*)

[١٧٧]

كمن شهد الاخ إلى الاخ وانما خلفنا القوم في هو ان فاعفنا مما ترك. ثم خرج فلحق بعمان ولم يشهد الجمل ولا صفين. خطبة أمير المؤمنين: وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم واجتماعهم على حربه. فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: أيها الناس ان طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي فدعواهم إلى معصية الله تعالى وخلافي فمن أطاعهما منهم فتنوه ومن عصاهما قتلوه وقد كان من قتلها حكيم بن حيلة ما بلغكم وقتلهم السبايحة وفعلها بعثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم وقد كشفوا الآن القناع واذنوا بالحرب وقام طلحة بالشنم والقذح في أديانكم وقد أردد وصاحبه وأبرقا وهذان أمران معهما الفشل ولسنا نريد منكم ان تلقوهم ليظنوا ما في نفوسكم عليهم ولا ترون ما في انفسكم لنا ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر وقد خرجوا من هدى إلى ضلال ودعوناكم إلى الرضا ودعونا إلى السخط فحل لنا ولكم ردهم إلى الحق والقتال وحل لهم بقصاصهم القتل وقد والله مشوا اليكم ضاررا وأذاقوكم أمس من الجمر فإذا لقيتم القوم غذا فاعذروني الدعاء وأحسنوا في التقية واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين. فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه وقال: أبا حسن أيقضت من كان نائما * وما كل من يدعى إلى الحق يسمع وما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا * وما كان من أعطيته الحق يقنع وأنت امرء أعطيت من كل وجهة * محاسنها والله يعطي ويمنع وما منك بالامر المؤلم غلطة * وما فيك للمراء المخالف مطمع وان رجالا بايعوك وخالفوا * هداك واجروا في الضلال فضيعوا

[١٧٨]

لاهل لتجريد الصوارم فيهم * وسمر العوالي والقنا تتزعزع فاني لارجو ان تدور عليهم * رحي الموت حتى يسكنوا ويصرعوا وطلحة فيها والزبير قرينه * وليس لما لا يدفع الله مدفع فان يمضيا للحرب أضيق حلقة * وان يرجعا عن تلك فالسلم اوسع وما بايعوه كارهين لبيعة * وما بسطت منهم إلى الكره اصبع ولا بطيا عنها فراقا ولا بدا لهم احد بعد الذين تجمعو على نقضها ممن له شد عقدها * فقصرهما منه أصابع أربع خروج بام المؤمنين وغدرهم * وعيب على من كان في القلب اشجع وذكرهم قتل ابن عفان خدعة * وهم

قتلوه والمخادع يخدع فعود علي نبعة هاشمية * وعودهما فيما هما فيه (خروج) الحرب: ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيام ليكفوا ويرعوا فلما علم اصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال: عباد الله انهذوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم فانهم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي واكلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد ان ألموه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة وهو شيخ من وجوه الانصار والفضلاء ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السياجة رجالا صالحين وقتلوا حكيم بن جبلة ظلما وعدوانا لغضبه لله تعالى ثم تتبعوا شيعتي بعد ان ضربوهم وأخذوهم في كل عايبة وتحت كل رابية يضربون أعناقهم صبرا ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون فانهدوا إليهم عباد الله وكونوا اسودا عليهم فانهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار فالقوهم صابرين محتسبين موطنين انفسكم انكم منازلون ومقاتلون قد وطنتم انفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الاقران فأمرئ احس من نفسه

[١٧٩]

رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلا أو وهنا فليذب عنه أي عن أخيه الذي فضله الله عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله. فقام إليه شداد بن شمر العدي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فانه لما كثر الخطأون وتمرد الجاحدون فرعنا إلى آل نبينا الذين بهم ابتدانا بالكرامة وهدانا من الضلالة الزمومهم رحمكم الله ودعوا من اخذ يميننا وشمالا فان أولئك في غمرتهم يعمهون وفي ضلالهم يترددون. قال ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضين من جمادي الاولى وعلى يمينته الاشر وعلى ميسرته عمار بن ياسر وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه (١) وسار حتى وقف موقفا ثم نادى في الناس لا تعجلوا حتى اعذر إلى القوم ودعا عبد الله ابن العباس فأعطاه المصحف وقال امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير ألم تبايعاني مختارين فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي وهذا كتاب الله بيني وبينكما

(١) كان لمحمد يوم البصرة عشرون سنة لان ولادته سنة (١٦) للهجرة تعرف ذلك من قول المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٢٨٢ وسبط ابن جوزي في تذكرة الخواص ص ١٦٩ وابن كثير في البداية (ج ٩ - ص ٣٨) انه توفي سنة احدى وثمانين عن خمس وستين سنة. ولا بدع في ابن (حيدرة) إذا كانت له مواقف محمودة في الجمل وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاء حسنا سجله له التاريخ وشكره الاسلام بعد ما يحدث النبي صلى الله عليه وآله عن اعز الصفات الحميدة في الطالبين وهي الشجاعة فيقول صلى الله عليه وآله: (لو ولد الناس ابو طالب -*)

[١٨٠]

قال عبد الله بن العباس فبدأت بالزبير وكان عندي أبغاهما علينا وكلمته في الرجوع وقلت له ان أمير المؤمنين (ع) يقول لك ألم تبايعني طائعا فيم تستحل قتالي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فان شئت تحاكمنا إليه قال ارجع إلى صاحبك فانا بايعنا كارهين ومالي حاجة في محاكمته فانصرفت عنه إلى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي فوجدته قد لبس الدرع وهو محتبي بحمائل سيفه ودابته واقفة فقلت له ان أمير المؤمنين يقول لك ما حملك على الخروج وبما استحللت نقض بيعتي والعهد عليك قال خرجت اطلب بدم عثمان أيطن ابن عمك انه قد حوى على الكوفة وقد والله كتبت إلى المدينة يؤخذ لي بمكة فقلت له اتق الله يا

طلحة فانه ليس لك ان تطلب بدم عثمان وولده أولى بدمه منك هذا
ابان بن عثمان ما ينهض في طلب دم ابيه قال طلحة نحن اقوى
على ذلك منه قتله ابن عمك وابتر امرنا فقلت له اذكرك الله في
المسلمين وفي دمائهم وهذا المصحف بيننا وبينكم والله ما انصتم
رسول الله إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول
الله فأعرض عني ونادى بأصحابه ناجزوا القوم فانكم لا تقومون لحجاج
ابن ابي طالب فقلت

- كلهم لكانوا شجعانا) كما نص عليه الوطواط في غرر الخصاص ص ١٧ في باب حفظ
الجوار وخطبته التي ارتجلها يوم صفين في مدح ابيه (ع) وهو واقف بين الصفين
تشهد له بالفصاحة والبلاغة على أتم معانيها فهو جليل القدر عظيم المنزلة وعدم
حضوره في مشهد الطف اما لان الحسين أذن له بالبقاء ليكون عينا له كما في مقتل
محمد بن ابي طالب الحائري أو للمرض كما يراه العلامة الحلي واعترافه بامامة
السجاد يدل على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل حال وان لم يعرف
السبب على التفصيل ولعل الحسين (ع) لاحظ مهمة دقيقة وهي كف الاذى عن آل
ابي طالب وحرمتهم من الامويين بوجود ابن الحنفية.

[١٨١]

يا أبا محمد أبا لسيف تخوف ابن ابي طالب اما والله ليعاجلنك السيف
فقال ذلك بيننا وبينكم. قال فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في
هودج وقد دُف بالدرع على جملها (عسكر) وكعب بن شور القاضي
اخذ بخطامه وجولها الازد وضبة فلما رأته قالت ما الذي جاء بك يا
ابن عباس ؟ والله لا سمعت منك شيئا ارجع إلى صاحبك وقل له ما
بيننا وبينك إلا السيف وصاح من حولها ارجع يا ابن عباس لئلا يسفك
دمك. فرجعت إلى أمير المؤمنين (ع) فأخبرته الخبر وقلت ما تنتظر
والله لا يعطيك القوم إلا السيف فاحمل عليهم قبل ان يحملوا عليك.
فقال (ع) نستظهر بالله عليهم قال ابن عباس فوالله ما رمت من
مكاني حتى طلع علي نشابهم كأنه جراد منتشر فقلت ما ترى يا
امير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم فقال حتى اعذر إليهم
ثانية ثم قال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وانا
ضامن له على الله الجنة فلم يقر احد إلا غلام عليه قباء ابيض حدث
السنن من عبد القيس يقال له مسلم كاني اراه فقال انا اعرضه يا
امير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عند الله فأعرض عنه
إشفاقا ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم
وليعلم انه مقتول وله الجنة فقال مسلم بعينه وقال انا اعرضه ونادى
ثالثة ولم يقر غير الفتى فدفع المصحف إليه وقال إمض إليهم
واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه فأقبل الغلام حتى وقف بآراء
الصفوف ونشر المصحف وقال هذا كتاب الله وامير المؤمنين يدعوكم
إلى ما فيه. فقالت عائشة اشجروه بالرماح فقيحه الله فتبادروا إليه
بالرماح فطعنوه من كل جانب وكانت امه حاضرة فصاحت وطرحت
نفسها عليه وجرت من موضعه ولحقها جماعة من عسكر امير
المؤمنين (ع)

[١٨٢]

اعانوها على حمله حتى طرحت بين يدي امير المؤمنين وهي تبكي
وتقول (١) يا رب ان (مسلم) دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه قناهم * وامهم قائمة تراهم تأمرهم بالقتل لا تناهم
فلما رأى امير المؤمنين ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من
سفك الدم لحرام رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اليك شخصت
الابصار وبسطت الايدي وافضت القلوب وتقربت اليك بالاعمال ربنا

افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية رسول الله (ص) وقال يا بني هذه راية لا ترد قط ولا ترد أبدا قال محمد فأخذتها والريح تهب عليها فلما تمكنت من حملها صارت الريح على طلحة والزبير واصحاب الجمل فأردت ان امشي بها فقال امير المؤمنين قف يا بني حتى آمرك. ثم نادى ايها الناس لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على حريح ولا تكشفوا عورة ولا تهيجوا امرأة ولا تمثلوا بقتيل فينا هو يوصي قومه إذ اظلنا نيل القوم فقتل رجل من اصحاب امير المؤمنين فلما رآه قتيلا قال اللهم اشهد ثم رمي ابن عبد الله بن بديل فقتل فحملة ابوه عبد الله ومعه عبد الله بن العباس حتى وضعناه بين يدي امير المؤمنين فقال عبد الله بن بديل حتى متى يا امير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلا رجلا قد والله اعذرت ان كنت تريد الاعتذار ثم قال محمد بن الحنفية فقال امير المؤمنين رايتك يا بني قدمها وبعث في الميمنة والميسرة ودعا بدرع رسول الله فلبسه وحزم بطنه بعصابة اسفل من سرتة ودعا ببغلة الشهداء وهي بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوى على ظهرها

تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠٥) وفي روايته للرايع والخامس خلاف ما هنا. (*)

[١٨٣]

ووقف امام صفوف اصحابه فوقفت بين يديه باللواء وهو للحرب مستعد فجاء قيس بن عباد وانشأ يقول: هذا اللواء الذي كنا نحف به * مع النبي وحبريل لنا مددا ما ضر من كانت الانصار عينه * ان لا يكون له من غيرها أحدا قوم إذا حاربوا طالت اكفهم * بالمشرقية حتى يفتحوا البلدا وصف اصحاب عائشة صفوفهم وجاؤا بالجمل وعليه اليهودج وفيه عائشة وخطامه في يد كعب بن شور وقد تقلد بالمصحف والازد وبنو ضبة قد احاطوا بالجمل و عبد الله بن الزبير بين يدي عائشة ومروان بن الحكم عن يمينها والزبير يدير العسكر وطلحة على الفرسان ومحمد بن طلحة على الرجالة فقال محمد بن الحنفية قال لي ابي حين رأى القوم قد زحفوا نحونا قدم اللواء فقدمته وزحف المهاجرون والانصار فلما رأى القوم قد زحفت باللواء بارزا عن اصحابي رشقوني رشقة رجل واحد فوقفت مكاني وايقنت منهم وقتل ينقضني رشقهم في مرة أو مرتين ثم اتقدم فلم اشعر إلا وأمير المؤمنين (ع) قد ضرب بين كتفي بيده ثم اخذ اللواء مني بيده ونادى (يا منصور أمت) فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم قد زلزلت اقدامهم وارتعدت فرائصهم والتقى بعضهم ببعض وتزايلا لترى عائشة موضع كل فريق منهم وتقدم عمار ومالك الاشتهر مصلتين سيفهما نحو القوم ونادى أمير المؤمنين يا محمد بن ابي بكر ان صرعت عائشة فوارها وتول امرها فتضعض القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا وامير المؤمنين واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضهم ورجعت إليهم نفوسهم ونادوا البراز فتقدم رجل من بني عدي امام الجمل وبيده السيف وهو يقول: اضريكم ولا ارى عليا * عممته ابيض مشرفيا * اريح منه قومنا عديا فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين (ع) يقال له امية

[١٨٤]

العبيدي وهو يقول: هذا علي والهدى سبيله * والرشد فيه والتقى دليله من يتبع الحق يكن خليله ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطاه العدوي وضربه العبيدي فقتله فقام مقامه رجل يقال له ابو الحرياء

عاصم بن مرة من اصحاب الجمل وهو يقول: انا ابو الحرياء واسمي عاصم * وامنا ام لها محارم فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول: اليك اني تابع عليا * وتارك امكم مليا إذ عصت الكتاب والنبيا * واركتبت من امرها فريا وضربه فقتله فقام مقامه رجل من اصحاب الجمل يقال له الهيثم بن كليب الازدي وهو يقول: نحن نوالي امنا الرضية * وننصر الصحابة المرضية فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول: دليلكم عجل بني امية * وامكم خاسرة شقية * هاوية في فتنة عمية وضربه ففلق هامته وخر صريعا إلى الارض وبرز من بعده عمرو ابن يثربي (١) وكان من شياطين اصحاب الجمل فنادى هل من مبارز فيبرز إليه علياء بن الهيثم فاختلفت بينهما ضربتان فقتل علياء رحمه الله فقام مقامه هند بن المرادي فيادره بالسيف فاتقاه وضربه عبد الله بن الزبير وشغله بنفسه وثناه هند بن يثري فقتلاه جميعا فبرز مقامه زيد بن صوحان العبدى فتضاربا وجاء فارس من اصحاب الجمل ووقف بجنب

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٧) هو اخو عميرة القاضى وفي ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) ان عميرة لم يقتل وبقي حتى تولى قضاء البصرة لمعاوية. (*)

[١٨٥]

عمرو يحميه فطعنه زيد في خاصرته طعنة أثخنه بها وبدر إليه عمرو فضربه فقتل منها وبدأ عمرو يفتخر ويقول: انا لمن ينكرني ابن يثربي * قاتل علياء وهند الجملي وابن لصوحان على دين علي فبرز إليه مالك الاشر فضربه على وجهه ضربة وقع بها على الارض وحماه اصحابه فنهض وقد تراجعته نفسه وهو يقول لا بد من الموت فدلوني على علي بن ابي طالب فلئن بصرت به لاملان سيفي من هامته فبرز إليه عمار بن ياسر (١) وهو يقول: لا تيرح العرصة يابن يثربي * حتى اقاتلك على دين علي نحن وبيت الله أولى بالنبي وضربه ضربة هلك منها وخر صريعا فأكب قومه عليه فاحتملوه إلى معسكرهم. ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك نادى اصحاب ميمنته ان يميلوا على ميسرة القوم ونادى اصحاب ميسرته ان يميلوا على ميمنتهم ووقف عليه السلام في القلب فما كان بأسرع من ان تضعض القوم واخذت السيوف من هاماتهم مأخذها فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة واصيب من اصحاب أمير المؤمنين نفر كثير واحاطت الازد بالجمل يقدمهم كعب بن شور

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٧) كان عمار بن ياسر ضعيفا قصيفا حمش الساقين فاسترجع الناس حين راوه بارزا فضربه ابن يثربي فنشب في جحفته ثم ضربه عمار فصرعه ورموه اصحاب علي بالحجارة حتى أثخنوه وفيه ص ٢١٠ وابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) كان لعمار يومئذ تسعون سنة ف ضرب ابن يثربي على رجليه فقطعهما وجيء به إلى علي (ع) أسيرا فأمر به فقتل. (*)

[١٨٦]

وخطام الجمل بيده واجتمع إليهم من كان انفتل بالهزيمة ونادت عائشة يا بني الكرة الكرة اصبروا فاني ضامنة لكم الجنة فحفوا بها من كل جانب واستقدموا حتى دنوا من عسكر أمير المؤمنين ولغت عائشة نفسها ببردة كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الايسر والايسر إلى الايمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل

عند الاستسقاء ثم قالت ناولوني كفا من تراب فناولوها فحثت به وجوه اصحاب أمير المؤمنين وقالت شأهت الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر قال وجر كعب بن شور بالخطام وقال اللهم ان اردت ان تحقن الدماء وتطفى هذه الفتنة فاقتل عليا ولما فعلت عائشة من السب المبرح وحصب اصحاب امير المؤمنين قال عليه السلام وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك انشاء الله وأنشدت ام ذريح العبدية من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام عائش ان جئت لتهمينا * وتنشري البر لتغليينا وتقذفي بالحصيات فينا * تصادفي ضريا وتنكرينا بالمشرفيات إذا غزينا * نسفك من دمائكم ماشينا فقال محمد بن الحنفية رحمه الله قال لي أمير المؤمنين (ع) يا بني تقدم باللواء وصف اصحابه فجعل الحسن في الميمنة والحسين في الميسرة وكان في ميمنة اهل الجمل هلال بن وكيع وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان وتزاحف الفريقان بعضهم إلى بعض قال فوالله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن شور بعد ان قطعت يمينه التي كان فيها الخطام فأخذه بشماله وقتل بعد ذلك وقتل معه اخوه وابناه ثم اخذ بخطام الجمل بعده رجل وهو يقول شعرا: يا امنا عائش لا تراعي * كل بنيك بطل شجاع فما برح حتى قطعت يده وطعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت يمينه وضرب على رأسه فهلك فما زال كل من اخذ بخطام الجمل رجل

[١٨٧]

قطعت يده وجذ ساقه حتى هلك منهم ثمانمائة رجل وقيل ذلك اليوم قتل سبعون رجل من قريش وكان آخر من اخذ بزمام الجمل رجل من بني ضبة فجعل يقول (١): نحن بني ضبة اصحاب الجمل * ننعي ابن عفان بأطراف الاسل ردوا الينا شيخنا ثم نحل فبرز إليه الاشر وهو يقول: كيف نرد نعتلا وقد نحل وضربه على هامته فلقها فخر صريعا فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير وتناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذي اخذ بخطام جملي؟ قال انا عبد الله ابن اختك فقالت واثل كل اسماء ثم برز الاشر إليه فخلى الخطام من يده واقبل نحوه فقام مقامه في الخطام عبد اسود واصطرع عبد الله والاشر فسقطا إلى الارض فجعل ابن الزبير يقول وقد اخذ الاشر بعنقه ينادى اقتلونني ومالكا واقتلوا مالكا معي. قال الاشر فما سرني إلا قوله مالكا ولو قال الاشر لقتلونني فوالله لقد تعجبت من حمق عبد الله إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه المشوم ان قتلت وقتل هو معي ولم تلد امرأة من النخع غيري فأفرجت عنه فانزهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه. فلما تفرق الناس عن الجمل اشفق امير المؤمنين عليه السلام ان يعود إليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمل فتبادر إليه اصحاب علي (ع) فعرقبوه ووقع لجنبه وصاحت عائشة صيحة أسمعت من في العسكرين وقد جاءت الروايات من مبارزة القوم وارتجازهم بما يطول شرحه وانما اقتصرنا على بعضه للايجاز والاختصار فيما كان من امر الجمل وقطع

(١) في ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) والطبري (ج ٥ ص ٢١٠) الابيات لوسيم بن عمرو بن ضرار الصبي. (*)

[١٨٨]

ايدي الآخذين بخطامه وجذ اقدامهم. ما رواه مسلم بن عمارة وقال بشر العامري اقبلت من نحو المدينة اريد الكوفة في زمن عثمان

فلقيت علجا قد جعل على وجه حماره ورقة فيها قرآن فأعظمت ذلك
واخذت العلج وشتمته فقال لي ما تريد مني ؟ قلت ما هذا الذي
صنعت ؟ وبيك تحمل على وجه حمارك ورقة من القرآن فقال ويحك
ان هذا ومثله مطروح على الكناسات والحشوش عندنا كتب صاحبك
تمزق وتلقى في الحشوش قال فلقيت حذيفة فأخبرته قال قد فعلوا
ذلك كأنى بهم وقد ساروا بها والذي بعث محمدا بالحق نبيا والازد
وضية قد حضروهما جذ الله اقدامهم قال فأتيت الوقعة في البصرة
فنظرت إلى تميم وضية حول الجمل ونظرت إلى الازد وقد قطعت
اقدامهم من العراقيب واسفل قال ولما قتل كعب بن شور تقدم غلام
من الحذان يقال له وائل بن عمر وهو بيكي ويقول: يا رب فارحم سيد
القبائل * كعب بن شور غرة القبائل وخير حاف منهم وناعل * وخير
مقتول وخير قاتل ابشر بخير يا كعب كامل * بنصرك الحق وترك
الباطل فخرج إليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم وهو يقول: لا
رحم الله بن شور إذ مضى * ولا تولاه يعفو ورضى فقد قضى بالجور
فيما قد قضى * ودان بالكفر ولم يعص الهوى واتبع الضلال من اهل
العمى * فصار بالفتنة مع من قد هوى ثم ضرب وائل بن عمر فقتله
وبرز رجل من بنى قشير يقال له حنتمة ابن الاسود وهو يقول: نحن
صحاب الجمل المكرم * ومانعوا هودجه المعظم وناصروا زوج النبي
الاکرم * ذلك دين الله فينا الاقدم فخرج إليه رجل من شيعة امير
المؤمنين يقال له عبيد الله بن سالم

[١٨٩]

وهو يقول: نحن مطيعون جميعا لعلي إذ أنت ساع في الفساد يا
شقي ان الغوي تابع امر الغوي * قد خالفت زوج النبي للنبي
وخرجت من بيتها مع من هوى ثم ضرب يده بالسيف فقطعها ووقع
لجنبه فرام اصحابه تخليصه وازدحموا عليه فوطؤه. وروى الواقدي قال
حدثني عبد الله بن الفضيل عن ابيه عن محمد ابن الحنفية قال لما
نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصفنا صفونا دفع ابي علي (ع) إلي
باللواء وقال لا تحدثن شيئا حتى يحدث فيكم ثم نام فنالنا نبل القوم
فأفرغته ففرز وهو يمسح عينيه من النوم واصحاب الجمل يصيحون يا
لثارات عثمان فبرز (ع) وليس عليه إلا قميص واحد ثم قال تقدم
باللواء فتقدمت وقلت يا ابيه في مثل هذا اليوم بقميص واحد قال
(احرز امرء اجله) والله قاتلت مع النبي صلى الله عليه وآله وانا حاسر
اكثر مما قاتلت وانا دارع ثم دنا كل من طلحة والزبير فكلمهما ورجع
وهو يقول: يا بى القوم إلا القتال فقاتلوهم فقد بغوا ودعا بدرعه البتراء
ولم يلبسها بعد النبي إلا يومئذ فكان بين كنفه منها متوهيا قال
وجاء امير المؤمنين وفي يده شسع نعل فقال له ابن عباس ما تريد
بهذا الشسع يا امير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام اربط بها ما قد
توهى من هذا الدرع من خلفي فقال له ابن عباس أفي مثل هذا
اليوم تلبس مثل هذا ؟ فقال (ع) لم ؟ قال اخاف عليك قال (ع) لا
تخف ان اوتى من ورائي والله يا ابن عباس ما وليت في زحف قط ثم
قال له اليس يا ابن عباس فلبس درعا سعديا ثم تقدم إلى الميمنة
وقال احملاوا ثم إلى الميسرة وقال احملاوا وجعل يدفع في ظهري
ويقول تقدم يا بني فجعلت اتقدم وكانت اياها حتى انهزموا من كل
وجه.

[١٩٠]

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ اهل البصرة
قال لما صف علي بن ابي طالب صفوه أطال الوقوف والناس
ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فصاحوا حتى متى فصفق باحدى
يديه على الاخرى ثم قال عباد الله لا تعجلوا فاني كنت ارى رسول

الله صلى الله عليه وآله يستحب ان يحمل إذا هبت الرياح قال فامهل حتى زالت الشمس وصلى ركعتين ثم قال ادعوا ابني محمدا فدعي له محمد بن الحنفية فجاء وهو يومئذ ابن تسع عشرة سنة فوقف بين يديه ودعى بالراية فنصبت فحمد الله وأثنى عليه وقال: اما هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبدا وانى واضعها اليوم في أهلها ودفعتها إلى ولده محمدا وقال تقدم يا بنى فلما رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعوا فما هو إلا أن الناس التقوا ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين ووجدوا مس السلاح حتى انهزموا. وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن عمر عن علي بن ابي طالب قال لما سمع ابي أصواب الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه محمد ما يقولون ؟ قال يقولون يا لثارات عثمان قال فشد عليهم وأصحابه يهشون في وجهه يقولون ارتفعت الشمس وهو يقول الصبر أبلغ حجة. خطبة علي عليه السلام يوم الجمل: ثم قام خطيبا يتوكأ على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وقال: اما بعد فان الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه فاقدموا ولا تتكلموا وهذه الاصوات التي تسمعوها من عدوكم فشل واختلاف انا كنا نؤمر في الحرب بالصمت فعضوا على الناجذ واصبروا لوقع السيوف فوالذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون علي من مية علي فراشي فقاتلوهم صابرين محتسبين فان الكتاب معكم والسنة معكم ومن

[١٩١]

كنا معه فهو القوي اصدقوهم بالضرب فأى امرء احس من نفسه شجاعة واقداما وصبرا عند اللقاء فلا يطرئه ولا يرى ان له فضلا على من هو دونه وان رأى من أخيه فشلا وضعفا فليذب عنه كما يذب عن نفسه فان الله لو شاء لجعله مثله. ثم دعا بدرعه فلبسه حتى إذا وقع موقعه من بطنه فأمر ابنه محمد يحزمهما بعمامته ثم انتضى سيفه فهزه حتى رضى به وعمده وتقلده والناس على صفوفهم وأصحاب الجمل قد دنوا فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى محمد بن الحنفية وقال تقدم بالراية واعلم ان الراية امام أصحابك فكن متقدما يلحقك من خلفك فان كان لمن يتقدم من أصحابك جولة رجع اليك. وجعل عليه السلام الناس أثلاثا مضر في القلب واليمن في الميمنة وعليهم مالك الاشر وفي الميسرة عمار بن ياسر. وصف أصحاب الجمل صفوفهم فجعلوا على حنظلة هلال بن وكيع وعلى بني عمرو وبني تميم عمير بن عبد الله بن مرقد وعلى بني سعد زيد ابن جبلة بن مردان وعلى بني ضبة والرياب عمرو بن يثربى وراية الازد مع عمرو بن الاشرف العتكي. قال محمد بن علي (ع) فالتقينا وقد عجل أصحاب الجمل وزحفوا علينا فصاح ابي امض فمضت بين يديه أخطوا بالراية خطوا سرعان ان يلحقوا أصحابنا فلاذ أصحاب الجمل ونشب القتال واختلفت السيوف وأبي خلفي يقول تقدم فقلت ما أجد متقدما إلا علي الاسنة فغضب (ع) وقال أقول لك تقدم تقول علي الاسنة ثق بالله يا بنى وتقدم بين يدي علي الاسنة. وتناول الراية مني وتقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته وقلت اعطني الراية فقال لي خذها وقد عرفت ما وصف لي.

[١٩٢]

ثم تقدم بين يدي وجرى سيفه وجعل يضرب به ورأيت قد ضرب رجلا فأبان زنده وقال الزم رايتك يا بنى فان هذا ستكفاه فرمقت لضرب ابي ولحظته وإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دما وإذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم وأحدقنا بالجمل وصار القتل حوله واضطربنا أشد اضطراب رآه راء حتى ظننت انه القتل وصاح ابي يا ابن

أبى بكر اقطع البطان فقطعه وتلقوا اليهودج فكان والله الحرب جمرة عليها صب الماء. وروى الواقدي قال ابن جريح كان محمد بن الحنفية يحمل راية أمير المؤمنين أبيه يوم الجمل ورأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه قال محمد فأدركته وعالجته على ان يردها فأبى علي طويلا ثم ردها وقال خذها احسن حملها وتوسط اصحابك ولا تخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها اصحابك ففعلت ما قال لي فقال عمار يا أبا القاسم ما احسن ما حملت الراية اليوم فقال له امير المؤمنين عليه السلام بعد ماذا ؟ فقال عمار ما العلم إلا بالتعلم. وروى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبى هند قال اخبرنا اصحابنا ممن حضر القتال يوم البصرة ان عليا قاتل يومئذ اشد القتال وسمعوه وهو يقول تبارك الله الذى اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع ونظر يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزى وهو يسترجع من الخوف وما التحم من الشر فقال له امير المؤمنين (ع) انحر إلى اصحابي ولا تقتل فانحاز إليهم إلى أن حمل اصحاب الجمل على امير المؤمنين (ع) حملة فإذا هو قد صار في حيزهم فحمل عليه رجل من همدان وعلي يصيح كف عنه والهمداني لا يفهم حتى قطعه إربا إربا فقال عليه السلام يا ويحه ان لفته السيوف وقد كان مقتله بيغضا. وروى أبو الزباد عن هشام بن عروة عن أبيه عبد الله بن الزبير

[١٩٣]

قال لم يأخذ بزمام جمل عائشة يوم الجمل إلا قتل وكان كلما جاء انسان يأخذ بخطام جملها قالت من أنت ؟ حتى اتيتها وكنت آخر من اخذه حين لم أحد أحد يأخذه فقالت من أنت ؟ فقلت ابن اختك فقالت واثكل اسماء فأقبل الاشتهر إلى فتصارعنا فجعلت اقول اقتلونى ومالكا معي وجعل يقول اقتلونى وعبد الله ولو قال ابن الزبير لقتلت ولو قلت الاشتهر لقتلنا جميعا فاثقلني الجراح حتى سقطت وانا مجروح مطروح في القتلى. فاتاني الاسود بن ابي البخترى فوجدني صريعا فأخذني بالعرض على فرسه وسار بي فجعل إذا أبصر انسانا من اصحاب علي القاني وإذا لم ير احدا حملني حتى مر به رجل يعرفني فحمل عليه فأخطاه واصاب رجل فرسه ثم حملني فانطلق بي حتى انزلني على رجل من بني ضبة له امرأتان تميمية وبكرية من شيعة عثمان فغسلت جراحتي وحشتها كافورا فوالله ما فاح منها شئ. وجعلت عائشة تسأل عني فلا تخبر عني بشئ حتى إذا برأت جراحتي قلت لصاحب منزلي انطلق إلى عائشة وأخبرها بي واياك ان يراك محمد ابن أبى بكر وقلت له انه قصير ووصفته له فانطلق فأخبرها وقال لها انه قد امرني ان لا يراني محمد بن أبى بكر قالت كلا فانطلق إلى محمد بن أبى بكر وادعه إلى وذلك بعد هزيمتنا ووضع الحرب اوزارها فانطلقت إليه فدعوته وجاءها فقالت له يا أخي ما تراك فاعلا في أمر أمرك به ؟ قال ما هو ؟ قالت انطلق إلى عبد الله بن الزبير فجيئ به فجاء محمد إلى موضعي فدخل على عبد الله فلما رآه خافه وقال مالك فعل الله بك وفعل قال له محمد لا تعجل ثم اخبره الخبر. قال ابن الزبير فخرجت معه فتأخر لي عن الفرس فركبت بين يديه وجعل يكف ثيابه لا يصيني وانا اوخر ثيابي عنه لا تصيبه ولم يزل

[١٩٤]

يسير بي حتى اتينا عائشة فسمعت سب عثمان علانية فبكت وقلت لا اقيم ببلد يسب فيه عثمان علانية فامتنعت منهم واخذت راحلة منهم فإذا رجل يحيد مني وانا احيد منه فإذا هو عبد الرحمن بن الحرث وأبصرت رجلا مغلولا لفرسه فقلت هذا والله فرس الزبير فأردت قتله فقال عبد الرحمن لا تعجل عليه فانه لن يفلتنا فإذا هو

غلام الزبير قد اقبل فقلت له أين الزبير ؟ فقال لا أدري فعلمت ان الزبير قد قتل. وروى محمد بن عبد الله بن عبيد الله عن عمر بن دينار عن صفوان قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صايح من اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب يا معاشر شباب قريش اراكم قد لحتم وغلبتم على امركم هذا وانى انشدكم الله ان تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا انفسكم اتقوا الاشر النخعي وجندب بن زهير العامري فان الاشر يشمر درعه حتى تتبعوا اثره وان جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه وفي رايته علامة حمراء فلما التقى الناس اقبل الاشر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومعيد بن زهير بن خلف بن امية وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال أتركك لعائشة. وروى محمد بن عبد الله بن عبيد بن وهب قال قطعت يوم الجمل يد عبد الرحمن وفيها الخاتم فأخذه بشر فطرحه باليمامة فأخذه اهل اليمامة واقتلعوا حجره وكان ياقوتا فابتاعه رجل منهم بخمسمائة دينار فقدم به مكة فباعه بريح عظيم. وروى محمد بن موسى عن محمد بن ابراهيم عن ابيه قال سمعت معاذ ابن عبد الله التميمي وكان قد حضر الجمل يقول لما التقينا واصطفنا نادى منادي علي بن ابي طالب يا معاشر قريش اتقوا الله على انفسكم فاني اعلم انكم قد خرجتم ووطنتم ان الامر لا يبلغ إلى هذا فالله الله في انفسكم فان السيف ليس له بقيا فان احببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء

[١٩٥]

القوم وان احببتم فالي انكم آمنون بأمان الله قال فاستحيينا اشد الحياء وابصرنا ما نحن فيه ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل من قتل منا فوالله لقد رأيت اصحاب علي وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صايح اعقروه فعقروه ونادى علي (ع) من طرح السلاح فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن فوالله ما رأيت اكرم عفوا منه. وروى سليمان بن عبد الله بن عويمر الاسلامي قال قال ابن الزبير انى لوافق في يمين رجل من قريش إذ صاح صايح يا معاشر قريش احذركم الرجلين جندب العامري والاشتر النخعي قال وسمعت عمارا يقول لاصحابنا ما تريدون وما تطلبون ؟ فنادينا نطلب بدم عثمان فان خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم فقال عمار لو سألتمونا ان ترجعوا عنا بئس الفخار فانه الام الغنم فحلا وشرها لحما ما اعطيناكموهم ثم التحم القتال وناديناهم مكنونا من قتلة عثمان ونرجع عنكم فنادانا عمار قد فعلنا هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشا فأبدوا بهم فإذا فرغتم منهم تعالوا الينا نبدل لكم الحق فأمسك والله اصحاب الجمل كلهم. وروى عبد الله بن رياح مولى الانصاري عن عبد الله بن زياد مولى عثمان قال خرج عمار بن ياسر يوم الجمل الينا فقال يا هؤلاء على أي شئ تقاتلونا ؟ فقلنا على ان عثمان قتل مؤمنا فقال عمار نحن نقاتلكم على انه قتل كافرا قال وسمعت عمارا يقول والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانكم على الباطل وسمعته والله يقول ما نزل في تأويل هذه الآية إلا اليوم: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه). قال ولما جال الناس تلك الجولة قتل بينهم خلق كثير وسمع اصوات السيوف في الرؤوس كأنها مخاريق قال الراوي والله مررت بعد الوقعة بالبصرة فدنوت من دير النصارى فسمعت الشبات على الحجارة فشبهتها

[١٩٦]

بالاصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ وفي تلك الجولة قتل طريف بن عدي بن حاتم وفقات عين عدي. وروى محمد

بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال امير المؤمنين لابنه محمد خذ الراية وامض وعلي (ع) خلفه فناده يا ابا القاسم فقال ليبيك يا ابة فقال يا بني لا يستفزنا ما ترى قد حملت الراية وانا اصغر منك فما استفزني عدوى وذلك انى لم ابارز احدا إلا حدثني نفسي بقتله فحدث نفسك بعون الله تعافى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين فان ذلك أشد الخذلان قال قلت يا ابة أرجو أن أكون كما تحب ان شاء الله قال فالزم رايتك فان اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك فان لم تبين من أصحابك فاعلم انهم سيرونك قال والله انى لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم احد يردهم عني وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم فما شعرت إلا بأبى خلفي قد جرد سيفه وهو يقول لا تقدم حتى اكون امامك فتقدم بين يدي يهرول ومعه طائفة من اصحابه فضرب الذين في وجهه حتى نهضوهم ولحقتهم بالراية فوقفوا وقفة واختلط الناس وكدت السيوف ساعة فنظرت إلى ابى يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم امامه فأردت ان اجول فكرهت خلافه ووصيته لي لا تفارق الراية حتى انتهى إلى الجمل وحوله اربعة آلاف مقاتل من بني ضبة والازد وتميم وغيرهم وصاح اقطعوا البطان فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه واطلع اليهودج فقالت عائشة من انت ؟ قال ابغض اهلك اليك قالت ابن الختعمية ؟ قال نعم ولم تكن دون امهاتك قالت لعمرى بل هي شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذي سلمك قال قد كان ذلك ما تكرهين قالت يا أخي لو كرهته ما قلت ما قلت قال كنت تحبين الظفر وانى قتلت قالت قد كنت احب ذلك لكنه ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتي منك فاكفف ولا تعقب

[١٩٧]

الامور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة فان أباك لم يكن لومة ولا عدلة قال وجاء علي (ع) ففرع اليهودج برمحه وقال يا شقيراء بهذا وذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت يا ابن ابى طالب قد ملكت فاسجح. وجاءها عمار فقال لها يا امه كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف ؟ فصمتت ولم تجبه. وجاءها مالك الاشتهر رحمه الله وقال لها الحمد لله الذي نصر وليه وكبت عدوه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة ؟ فقالت من أنت ثكلتك امك ؟ فقال أنا ابنك الاشتهر قالت كذبت لست بامك قال بلى وان كرهت فقالت انت الذي اردت ان تتكل اختي اسماء بابنها، فقال المعذرة إلى الله واليك والله لولا انني كنت طاويا ثلاثا لارحتك منه وأنشأ يقول بعد الصلاة على الرسول. أعائش لولا اننى كنت طاويا * ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا غدات ينادى والرماح تنوشه * بأضعف صوت (اقتلوني ومالكا) فركبت وقالت فخرتم وعلبتم وكان امر الله قدرا مقدورا. ونادى امير المؤمنين عليه السلام محمد بن ابى بكر فقال سلها هل وصل إليها شئ من الرماح والسهام فسيألها قالت نعم وصل إلى سهم خدش رأسي وسلمت من غيره الله بينى وبينكم فقال محمد والله ليحكم عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين امير المؤمنين (ع) حتى تخرجين عليه وتؤلين الناس على قتاله وتبذي كتاب الله وراء ظهرك فقالت دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسنى وكان اليهودج كالقنفذ من النبل فرجعت إلى امير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بيني وبينها وما قلت وما قالت. فقال عليه السلام هي امرأة والنساء ضعاف العقول فتول امرها

[١٩٨]

واحملها إلى دار عبد الله بن خلف حتى ننظر في امرها فحملتها إلى
الموضع وإن لسانها لا يفتر من السب لي ولعلي والترحم على
اصحاب الجمل. وروى الواقدي قال حدثنا هشام بن سعد عن عباس
بن عبد الله ابن معبد عن معاذ بن عبد الله التميمي قال لما قدمنا
البصرة مع عائشة وأقمنا ما أقمنا ندعوا الناس إلى نصرتنا والقيام
معنا فالقابل لما ندعوا إليه والآبي له ونحن على ما نحن عليه نقول
إلا نقاتل علي بن ابي طالب ابدا إلى ان قيل قد نزل علي (ع) فما
ادرى حتى نشبت الحرب نشيها الصبيان واوقدها العبيد وإذا الجمل
رحل والناس يهويون إلى القتال وإذا عسكر علي قد تحرك فبادر
اصحابنا فرموا وجبلوا وصيحوا واكثرنا فسمعت عائشة تقول هذا اول
الفشل وعلي (ع) وعسكره لا يثنون ثم صف علي اصحابه وولى
الرايات موضعها واعطى ابنه محمدا الراية العظمى راية بيضاء تملأ
الرمح ثم وقف علي (ع) في القلب وحمل سرعان الميمنة والميسرة
وحمل سرعان القلب فاسمع عليا ينادي محمدا تقدم بالراية وتوسط
القلب فينكر من تقدمك وان جالوا أو دفعوا يلحقك من خلفك ثم
سمعتة يقول اصحابك امامك تقدم تقدم وتقدم علي والراية بين
كنتيه وجرده سيفه وضرب رجلا فابان زنده ثم انتهى إلى الجمل وقد
اجتمع الناس حوله واختلطوا واحدقوا به من كل جانب واستجن
الناس تحت بطان الجمل فانظروا لله إلى علي يصيح بمحمد بن ابي
بكر اقطع البطان وارى عليا قد قتل ممن اخذ بخطام الجمل عشرة
بيده وكلما قتل رجلا مسح سيفه في ثيابه ثم جاوزت حتى صرنا
في ايديهم كأننا اغنام نساق فانصرفنا حينئذ وتلاومنا وندمنا. وروى
الواقدي قال حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد بن عكرمة ابن خالد
قال قال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كنت انا والاسود ابن ابي
البخري و عبد الله بن الزبير قد تواعدنا وتعاهدنا بالبصرة لئن

[١٩٩]

لقينا القوم لنموتن أو لنقتلن عليا واصحاب علي لم يكونوا عدلوا
صفوفهم ثم نظرنا إليهم وقد عدلوا صفوفهم ميمنة وميسرة قال عبد
الرحمن كنت واقفا عند عبد الله بن الزبير والاسود بن البخري فقلت
ما وراءكما ؟ قالوا نحن على ما كنا عليه إلى ان مالت ميسرته على
ميمنتنا فهزمهم ومالت ميمنته على ميسرتنا ففعلوا مثل ذلك ورأيت
عليا وراء ابنه محمد وقد تقدم يحمل علما اسودا عظيما وعلي
شاهر سيفه فلقى رجلا من ضيه فقتله ثم ضرب آخر فقتله ثم خلص
اليينا ووقف عند رجلين فلاذ كل بصاحبه وجعل الاسود يقول هل من
مهرب وتقدم ابن الزبير فأخذ الجمل فكان آخر من اخذه فانظر إلى
علي وقد انتهى إلى الجمل والسيف يرعف دما وهو واضعه على
عاتقه وهو يصيح لمحمد بن ابي بكر اقطع البطان فكانت الهزيمة فلم
نر مثل لزوم السواد الاكبر فلما انهزمنا خرجنا خائفين من مسالح
علي (ع) فما زلنا نخاف الطلب حتى سرنا مراحل. وروى عن ابن
الزبير قال خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها (عسكر) قد
اتخذت عليه خدرا ودفته بالدرع خشية ان يخلص إليها النيل وسار
إليهم علي بن ابي طالب حتى التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا واخذ
بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلا من قريش كلهم قتل وخرج مروان
بن الحكم و عبد الله بن الزبير ورأيتهما جريحين فلما قتلت تلك
العصابة من قريش اخذ رجال كثير من بني ضبة بخطام الجمل فقتلوا
عن آخرهم ولم يأخذ بخطامه احد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء
القتلى وتقدم محمد بن ابي بكر فقطع بطان الجمل واحتمل الخدر
ومعه اصحاب له وفيه عائشة حتى انزلوها بعض دور البصرة وولى
الزبير منهزما فأدرکه ابن جرموز فقتله. ولما رأى مروان توجه الامر
على اصحاب الجمل نظر إلى طلحة

وهو يريد الهرب فقال والله لا يفوتني ثاري من عثمان فرماه بسهم فقطع اكله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول: انا لله هذا والله سهم لم يأتني من بعد ما اراه إلا من معسكرنا لله ما رأيت مصرع شيخ اضيع من مضرعي ثم لم يلبث أن هلك (١). وروى الواقدي أيضا عن موسى بن عبد الله عن الحسين بن عطية عن ابيه قال شهدت الجمل مع علي (ع) فلقد رأيت جمل عائشة وعليه هودجها وعليه دروع الحديد ثم لقد رأيت فيه من النبل والنشاب أمرا عظيما ثم عقر فما سمعت كصوته شيئا قط ونادى أصحاب علي عليكم الجمل فاعقروه فشدت عليه رجال فعقروه فوق لحينه. وروى يزيد عن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال نظرت الهودج يوم الجمل كأنه قنغذ من النشاب والنبل. وروى ابن أبي ميرة عن علقمة بن أبي علقمة عن ابيه قال جعلنا الهودج من خشب فيه مفاتيح الحديد وفوقه دروع من حديد وفوقها طبالسة من خز أخضر وفوق ذلك ادم أحمر وجعلنا لعائشة منه منظر العين فما أغنى ذلك عنها من القوم. وروى الواقدي عن رجاله العثمانية عن عائشة ذكر الحال وهزيمة القوم في الحرب وشرح الصورة ورأيها فكان ما كان من ذلك فقال حدثنا محمد بن حميد عن حميدة بنت ابن رفاعة عن امها كبشة بنت كعب قالت كان أبي لقي علي عثمان حربا عظيما وبكاه ولم يمنعه من الخروج إلا أن بصره ذهب ولم يبايع عليا ولم يقر به بغضا له ومقتا. وخرج علي (ع) من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة جاءها أبي فسلم على الباب ثم دخل وبينها وبينه حجاب فذكرت له بعض

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٦) وفي الطبري (ج ٥ ص ٢١٥) مات في خربة من دور البصرة لبنى سعد ودفن فيها. (*)

امر ولم تشرحه له فلما امسينا بعثنا إلى عائشة نستأذن عليها فأذنت لنا قالت كبشة فدخلت في نسوة من الانصار فحدثنا بخروجها وانها لم تظن الامر يبلغ إلى ما بلغ ثم قالت لقد عمل لي على هودج حملني ثم البس الحديد ودخلت فيه وقمت في وسط الناس أدعو إلى الصلح وإلى الكتاب والسنة فليس أحد يسمع من كلامي حرفا وعجل من لقينا القتال فرموا النبل وصرعهم القوم حتى قتل من اصحاب علي رجل ورجلان ثم تقارب الناس ولحم الشر وصار القوم ليس لهم همة إلا جملي ولقد دخلت علي سهام فجرحتني فأخرجت ذراعها وارتننا جرحا على عضدها فبكت وأبكتنا. قالت وجعل كلما اخذ بخطام جملي رجل قتل حتى أخذه ابن اختي عبد الله فصحت به وناشدته بالرحم انه يتجافاني فقال يا ام هو الموت يقتل الرجل وهو عظيم الغنى عن أصحابه على نيته خير ان يدرك وقد فارقت نيته فصحت واثكل اسماء فقال يا ام الزمي الصمت وقد لحم ما ترين فأمسكت وكان من معنا فتیان احداث من قريش لا علم لهم بالقتال ولم يشهدوا الحرب فكانوا جزرا للقوم فاني لعلى ما نحن فيه وقد كان الناس كلهم حول جملي فسكتوا ساعة فقلت خيرا أم شرا ذا سكوتمك ضرس القتال وإذا ابن أبي طالب أنظر إليه يباشر القتال بنفسه وإسمعه يصيح الجمل الجمل فقلت أرادوا والله قتلي فإذا هو علي بن أبي طالب ومعه محمد بن أبي بكر أخي ومعاذ بن عبد الله التميمي وعمار ابن ياسر وقطعوا البطان واحتملوا الهودج فهوى علي أيدي الرجال يرفلون به وهرب من كان معنا فلم أحس لهم خيرا. ونادى منادي علي بن أبي طالب لا يتبع مدبرا ولا يجهب علي جريح ومن طرح السلاح فهو آمن فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا على الناس واستحيوا من السعي فادخلت منزل عبد الله بن خلف

الخرزاعي (١) وانه منزل رجل قد قتل وأهله مستعبرون عليه ودخل معي كل من خاف عليا ممن نصب له واحتمل ابن اختي عبد الله جريحا فوالله انى لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل ابو محمد طلحة إذ قال قائل قتل فقلت ما فعل أبو سليمان فقيل قد قتل فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناى فانقطعت من الحزن وأكثرت من الاسترجاع والندامة وذكر من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه وأنا أسأل عن عبد الله فقيل قتل فازددت غما وهما حتى كاد ينصدع قلبي فوالله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل في فمي طعام ولا شراب وانى عند قوم ما يقصروا في ضيافتي وان الخبز في منازلهم لكثير لكنى أذهب اعالج الشبع من الطعام فما اقدر فنعود بالله من الفتنة ولقد كنت أبيت على عثمان حتى نيل منه ما نيل فلما قتل ندمت وعلمت ان المسلمين لا يستخلفون مثله أبدا كان والله أجلمهم حلما وأعبدتهم عبادة وأبذلهم عند النائبة وأوصلهم للرحم قالت كبشة بنت كعب فرجعت إلى أبى فقال ما حدثتكم به عائشة فأخبرته بما قالت فقال يرحم الله عائشة ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان هي كانت أشد الناس عليه ولقد نذعت وتابت وأرادت ان تأخذ بثاره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهم الله جميعا. ثم قال رحم الله عمر بن الخطاب كان والله يرى هذا كله قال يوما ان كان يصير اختلاف فانما يكون بينكم وان كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون. وروى الواقدي قال حدثنا محمد بن نجار عن عائشة بنت سعد قالت اشتكى أبى فدخل عليه مروان بن الحكم يعوده فذكر عائشة فقال مروان يا أبا اسحق لقد حضرت امورا فاعتزلت عنها يوم الدار وحضرتها

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٩) زوجته صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبي طلحة وهي ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف. (*)

فقاتلت أمامي حتى وقعت جريحا ثم حضرت الجمل وانى لانظر إلى خروج عائشة وهودجها وعليه درع الحديد وقد انهزم الناس وما اخذ بخطام الجمل أحد إلا مات فقال له أبى وهو يبكي وعمار وسطها فقال مروان أي والله فيكى أبى قال ثم خرجت يومئذ فحملت جريحا فلم أر يوما كان أسرع انكشافا من يوم الجمل فقال له أبى ما أحب ان حضرت الدار أمرا ولا ناهيا ولا أحب ان حضرت الجمل أمرا ولا ناهيا ثم خرج مروان وجعل أبى يبكي ويقول ليت شعري ما لقي عمار وأصحابه وأمثاله من أصحابنا الله حملهم وغرسهم في جنته. وروى ابن ابى سبرة علقمة عن امه قال سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل وان على هودجي الدروع الحديدية والنبل يخلص إلي منها وأنا في الهودج فهون ذلك علي ما صنعنا بعثمان أبنا عليه حتى قتلناه وجربنا عليه الغواة فنعود بالله من الفرقة بين المسلمين. وروى منصور بن أبى الاسود عن مسلم الاعور عن حبة العرنى قال والله انى لانظرن إلي الرجل الذى ضرب الجمل ضربة على عجزه فسقط لجنبه فكأنى أسمع عجيح الجمل ما سمعت قط عجيجا أشد منه. قال لما عقر الجمل وانقطع بطان الهودج فزال عن ظهر الجمل وانفض اهل البصرة منهزمين وجعل عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر يقطعان الحقب والانساع واحتملاه - أي الهودج - ووضعاه على الارض فأقبل علي بن أبى طالب حتى وقف عليها وهي في هودجها ففرع الهودج بالرمح وقال يا حميراء أرسول الله امرك بهذا المسير ونادى عمار بن ياسر يومئذ لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا

موليا ورأيت يومئذ سعيد وابان ابنا عثمان فجيئ بهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فلما وقفا بين يديه قال بعض من حضر اقتلها يا أمير المؤمنين فقال بئس ما قلتم آمنت الناس كلهم واقتل هذين ثم أقبل عليهما وقال لهما ارجعا عن غيكما وانزعا

[٢٠٤]

وانطلقا حيث شئتما وان أحببتما فأقيما عندي حتى أصل أرحامكما فقالا يا أمير المؤمنين نحن نبايع فبايعا وانصرفا. قتل طلحة بن عبد الله: وروى أسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال حدثني أبي علي بن زين العابدين عليه السلام قال قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت والله لادركن ثاري ولا فوزن منه الآن فرميت طلحة فأصبت نساها فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به فأخذه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات. وروى ابن سليمان عن ابن خيثمة قال قال عبد الملك بن مروان يوما وقد ذكر عثمان وقتل طلحة ولولا ان أبي قتله لم يزل في قلبي جرحه إلى اليوم وقال عبد الملك سمعت أبي يقول نظرت إلى طلحة يوم الجمل وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا عينيه فقلت كيف لي به فنظرت إلى فتق في درعه فرميته فأصبت نساها فقطعته فاني أنظر إلى مولى له يحمله على ظهره موليا فلم يلبث ان مات. وروى عبد الحميد بن عمران عن ابن كعب القرظي عن رواح بن الحرث عن عمير قالت لقيت طلحة بن عبد الله فقلت يا أبا محمد ما أخرجك إلى ههنا؟ أفلم تبايع عليا بالمدينة طايعا غير مكره؟ قال دعني والله ما يابعته إلا والسيف على عنقي فلما التقى الناس يوم الجمل جاءه سهم غرب (١)

(١) ذكر ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ٢١٥) انه اصابه سهم غرب وفي كتاب (مبادي اللغة) تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ ص ١٠٨ يقال اصابه سهم غرب إذا لم يعرف الرامي. (*)

[٢٠٥]

قطع نساها فنزف الدم حتى مات. وروى ابو سهل عن الحسن قال لما رمي طلحة ركب بغلا وقال لغلामه التمس لي مكانا أدخل فيه فقال الغلام ما ادرى اين ادخلك فقال طلحة ما رأيت كالليوم اضيع من دم شيخ مثلي وقال الحسن وكان امر الله فدرا مقدورا. وفي رواية علي بن زيد بن جذعان قال لما بلغ طلحة ان الزبير قد اندفع ذهب في طلبه وقد التقى وهم لا يعلمون برجوع الزبير فمر مروان ابن الحكم فرآه فقال لا اطلب ثارى بدم عثمان بعد اليوم والله وقاتل عثمان بين اعجاز الابل وصدورها ثم رماه بسهم فقتله. وفي رواية سفيان بن عنبسة عن ابي موسى عن الحسن بن ابي الحسن قال خرج طلحة بن عبد الله من رساتيق أقطعه إياها عثمان إذ كان يقبضها بينيخ بها الف راكب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه فلما كان يوم البصرة خرج للقتال وقد ليس درعا استجن به من السهام إذ اتاه سهم فأصابه وكان امر الله قدرا مقدورا ورأيته يقول حين اصابه السهم ما رأيت كالليوم مصرع شيخ اضيع من مصرعي قال الحسن وقد كان قبل ذلك جاهد جهادا مع رسول الله ووقاه بيده فضيع امر نفسه ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء فيضع عنده قريبه ثم يقضى عنده حاجته فما رأيت اعجب من هؤلاء القوم. واما الزبير فانه اتى حيا من احياء العرب فقال اجيروني وقد كان قبل ذلك

يجير ولا يجار عليه ثم قال الحسن وما الذى اخافك والله ما اخافك إلا
ابنك قال فاتبعه ابن جرموز في تلول من اتاليل العرب والله ما رأيت
مثله قط ضاع دمه وهذا قبره (بوادي السباع) (١) مخراة

(١) ذكر ابن كثير في البداية (ج ١١ - ص ٣١٩) ان اهل البصرة في المحرم كشفوا عن
قبر فأروا رجلا طري عليه ثيابه وسيفه - (*)

[٢٠٦]

للتعالب فخرجا ولم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا فعز على
هذه الشقوة التى كتبت عليهما. وروى قيس بن ابي حازم قال روى
طلحة بسهم في ركبته فجعل يعدو والدم يفور فإذا امسكوا رأس
الجرح انتفخت ركبته فصاح دعوه فانه سهم ارسله الله فلم يزل الدم
ينزف حتى مات فدفنوه على شاطئ الفرات فرأى بعض الناس في
النوم طلحة يقول اريحوني من هذا الماء فانى في اذى شديد ورأى
الرجل تلك الرؤيا ثلاث مرات فنبشوه فإذا قبره قد اخضر كأنه السلق
فاستخرجوه فأخذ ما يلى الارض من لحيته ووجهه قد أكلته الارض
فاشتروا له دارا من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم فدفنوه فيها. فهذه
الاخبار جملة مختصرة صحيحة في مقتل طلحة بن عبد الله طريقها
من العامة من اوضح طريق وسندها اصح اسانيد وليس بين الامة
فيها اختلاف وكل يدل على ان طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير
نادم ولا مرعوى عن ذلك وفاقا لمذهب الحشوية وخلافا لمذهب

- فظنوه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجدا ووقف عليه
أوقاف كثيرة وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتوير، انتهى. أقول وإذا اوقفنا تاريخ
الطبري (ج ٥ - ص ٢١٩) ان ابن جرموز طعن الزبير من خلفه واخذ فرسه وخاتمه
وسلحه وجاء بالسيف إلى علي (ع) وخلقى عن غلامه فدفنه بوادي السباع اه. نعرف
من هذا الرجل الطري الذى عليه ثيابه وسيفه لم يكن هو الزبير قطعا وانى لا أراه إلا
شهيدا على الحق والشهيد يدفن بثيابه لا يغسل ولا يكفن ويتضح من ذلك ان القبر
المنسوب للزبير منشأه ذلك الظن وهو لا يعنى عن الحق شيئا. (*)

[٢٠٧]

المعتزلة وشاهدا ببطلان ما ادعوه من توبته. قتل الزبير بن العوام:
روى المفضل بن فضالة عن سويد بن الهادي عن محمد بن ابراهيم
قال هرب الزبير على فرس له يدعى (ذا الجمار) حتى وقع بسفوان
فمر بعبد الله بن سعيد المجاشعي وابن مطرح السعدي فقالا له يا
حوارى رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك احد فأقبل معهما فهو
ليسير مع الرجلين إذ اتى الاحنف بن قيس رجل فقال اريد ان اسر
اليك سرا ادن منى فدنا منه فقال يا ابا الحسن هذا الزبير قد هرب
وانى رأيته بين رجلين من بنى مجاشع ومنقر اظنه يريد التوجه إلى
المدينة فرفع الاحنف صوته وقال ما اصنع ان كان الزبير قد القى
الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضا ثم هو يريد ان يرجع
إلى أهله إلى المدينة سالما فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل
يقال له فضالة ابن محابس وعلمنا ان الاحنف انما رفع صوته يذكر
الزبير لكراهته ان يسلم وايثاره ان يقتل فاتبعاه جميعا فلما راهما من
كان مع الزبير قالوا له هذا ابن جرموز وانا نخافه عليك فقال لهم الزبير
انا أكفيكم ابن جرموز وانتم اكفوني ابن محابس فحمل عمير على
الزبير وعطف عليه وقال يا فضالة اعني فان الرجل قاتلي فأعانه
وحمل ابن جرموز فقتله واحتز رأسه واتى به الاحنف بن قيس ثم
إلى أمير المؤمنين (ع) فلما رآه العسكر انكروه وقالوا له من أنت ؟

قال انا رسول الاحنف بن قيس فمن قائل يقول مرحبا بك وبمن جئت من عنده ومن قائل يقول لا مرحبا بك ولا بمن جئت من عنده حتى انتهى إلى فسطاط امير المؤمنين (ع) فخرج إليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فإذا هو الاشتر فقال من أنت ؟ قال انا رسول الاحنف فقال مكانك حتى استأذن لك فاستأذن له فدخل وامير المؤمنين

[٢٠٨]

متكئ وبين يديه ترس عليه اقراص من طعام الشعير فسلم عليه وهناه بالفتح عن الاحنف وقال انا رسوله وقد قتلت الزبير وهذا رأسه وسيفه فألقاهما بين يديه فقال عليه السلام كيف قتلته وما كان من امره فحدثنا كيف صنعك به ثم قال ناولني سيفه فناوله فاستله وقال سيف اعرفه أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله غير مرة ولكنه الحين ومصارع السوء. وفي رواية منصور بن ابى الاسود عن عطاء بن السائب عن ابى البختري قال لما بعث الاحنف بن قيس إلى امير المؤمنين (ع) برأس الزبير وسيفه وجاءه الرسول بهنئه بالفتح تلا: (الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم (١)). وفي رواية أخرى عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال لما قتل الزبير وجئ برأسه إلى امير المؤمنين عليه السلام قال أما والله لولا ما كان من امر حاطب بن أبى بلتعة ما اجترأ طلحة والزبير على قتالي وان الزبير كان أقرب إلى من طلحة وما زال منا اهل البيت حتى بلغ ابنه فقطع بيننا. وفي رواية عبد الله بن جبير عن ابن أبي عون قال سمعت مروان ابن الحكم يقول لما كان يوم الجمل قلت والله لادركن ثار عثمان فرميت طلحة بسهم فقطعت نساها وكان كلما شد الموضع غلب الدم عليه وألمه فقال لغلامه دعه فهو سهم ارسله الله إلى ثم قال له وبلك اطلب لي موضعا اجترز به فلم يجد له مكانا فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله بيت أعراية ثم ذهب فصر هنيئة ورجع فوجده قد مات وهرب الزبير فاراد المدينة حتى أتى وادى السباع فرقع الاحنف صوته وقال ما اصنع بالزبير قد لف بين عاربن من الناس حتى قتل بعضهم بعضا وهو يريد

(١) سورة النساء: ١٤٠. (*)

[٢٠٩]

اللاحق بأهله فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه وتبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه فلما رأهما الزبير حذرهما فقالا يا حوارى رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك أحد وسأيره ابن جرموز فيينا هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه ثم قال يا أبا عبد الله انزع درعك واجعلها على فرسك فانها تتقلك وتعييك فنزعها الزبير وجعل عمرو بن مجاشع ينكص ويستأخر والزبير يناديه فيلققه وهو يجري بفرسه ثم انحاز إليه حتى اطمأن إليه ولم ينكر تأخره عنه فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثديه ونزل فاحتر رأسه وجاء به إلى الاحنف فأنفذه إلى امير المؤمنين (ع) فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال ناولني السيف فناوله فهزه وقال سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن الحين ومصارع السوء ثم تفرس في وجه الزبير وقال لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحة ومنه قرابة ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد. الوصي يكلم القتلي: فصل: لما انجلت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير وحملت عابشة إلى قصر بني خلف ركب امير المؤمنين (ع)

وتبعه أصحابه وعمار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم فمر بعبد الله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهورة فقال الناس هذا والله رأس الناس فقال عليه السلام ليس برأس الناس ولكنه شريف منيع النفس ثم مر بعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد فقال هذا يعسوب القوم ورأسهم كما ترونه ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا فلما رأى أشراف قريش صرعى في حملة القتلى قال جدعت انفي اما والله ان كان مصرعكم ليغيضا إلي ولقد تقدمت اليكم وحذرتكم عض السيوف

[٢١٠]

وكنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون ولكن الحين ومصارع السوء نعوذ بالله من سوء المصرع ثم سار حتى وقف على كعب بن شور وهو مجدل بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال نحو المصحف وضعوه في مواضع الطهارة ثم قال اجلسوا لي كعبا فاجلس ورأيت ينخفض إلى الأرض فقال يا كعب بن شور قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال اضجعوا كعبا فتجاوزه فمر فرأى طلحة صريعا فقال اجلسوا طلحة فاجلس وقال يا طلحة بن عبد الله قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال اضجعوه فوق رجل من القراء أمامه وقال يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صدت لا تسمع لك كلاما ولا ترد جوابا فقال عليه السلام انهما ليسيمعان كلامي كما سمع اصحاب القلب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أذن لهم في الجواب لرأيت عجا وممر بعبد الله بن المقداد بن عمر (١) وهو في الصراعى فقال رحم الله أباك انما كان رأيه فينا احسن من رأيك فقال عمار الحمد لله الذي اوقعه وجعل خده الاسفل انا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي عمنا عند من الحق من ولد ووالد فقال عليه السلام رحمك الله يا عمار وجزاك عن الحق خيرا وممر بعبد الله بن ربيعة بن رواج وهو في القتلى فقال هذا البائس ما كان اخرجه نصر عثمان والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في ابيه بحسن وممر بمعبد بن زهير بن امية فقال لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذي مخبره ولقد اخبرني من ادركه انه يلوذ خوفا من السيف حتى قتل البائس ضياعا وممر بمسلم بن

(١) امه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب شقيق ابي طالب والد علي (ع) و عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله ومن غرائب الاسرار الالهية ان ابن المقداد يخرج على امير المؤمنين (ع) ومحمد بن ابي بكر يكون مع امير المؤمنين (ع). (*)

[٢١١]

قرضة فقال البر اخرج هذا ولقد سألتني ان اكلم عثمان في شئ يدعيه عليه بمكة فلم أزل به حتى اعطاه وقال لي لولا انت ما اعطيته ان هذا ما علمت بنس العشيرة ثم جاء لحينه ينصر عثمان ثم مر بعبد الله بن عمير ابن زهير قال هذا ايضا ممن وضع في قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان ولقد كتب إلى كتبا اذى عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضى عنه وممر بعبد الله ابن حكيم بن حزام فقال هذا خالف أباه في الخروج علي وان أباه حيث لم ينصرنا باع وجلس في بيته ما اليوم أحدا إذا كف عنا وعن غيرنا ولكن الملووم الذي يقاتلنا وممر بعبد الله بن المغيرة بن الاخنس فقال اما هذا فقتل ابوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج غضبا لمقتل أبيه وهو غلام لا علم له بعواقب الامور وممر بعبد الله بن الاخنس بن شريق فقال اما هذا فاني أنظر إليه وقد

أخذ القوم السيوف وانه لهارب يعدو من السيف فنهت عنه فلم يسمع نهبي حتى قتل وكان هذا ممن مقت علي وانه من فتیان قريش الاغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا واستنزلوا فلما وقعوا الحجا فقتلوا. الشهيد يحاج بدمه: ثم امر عليه السلام مناديه فنادى: من أحب ان يوارى قتيله فليواره وقال عليه السلام واروا قتلانا في ثيابهم التى قتلوا فيها فانهم يحشرون على الشهادة واني لشاهد لهم بالوفاء. كتب علي إلى المدينة والكوفة: ثم رجع إلى خيمته واستدعى عبد الله بن رافع وقال اكتب إلى اهل المدينة: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي بن ابي طالب. سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو فان الله بمنه وفضله وحسن بلائه

[٢١٢]

عندي وعندكم حكم عدل وقد قال سبحانه في كتابه وقوله الحق: ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال. واني مخبركم عنا وعمن سرنا إليه من جموع اهل البصرة ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهما علي ما قد علمتم من بيعتي وهما طابعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت ممن سارع إلى بيعتي وإلى الحق حتى نزلت (ذاقار) فنفر معي من نفر من اهل الكوفة وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملتي عثمان بن حنيف ما صنعا فقدمت إليهم الرسل وأعدت كل الاعذار ثم نزلت ظهر البصرة فأعدت بالدعاء وقدمت الحجة وأقلت العثرة والزلة واستعتبتهما ومن معهما ممن نكث بيعتي ونقض عهدي فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادى في الغي فلم أحد بدا في مناصفتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثًا وولى من ولى منهم واغمدت السيوف عنهم واخذت بالعفو فيهم وأجريت الحق والسنة في حكمهم واخترت لهم عاملا واستعملته عليهم وهو عبد الله بن عباس واني سائر إلى الكوفة انشاء الله تعالى. وكتب عبد الله بن ابي رافع في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين من الهجرة وكتب امير المؤمنين عليه السلام إلى ام هانئ بنت ابي طالب (١): سلام عليك احمد اليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فانا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته

(١) يتم هذا إذا صح ما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠ لكنهم من انها ماتت في أيام معاوية واما على ما في مناقب ابن شهر آشوب (ج ١ - ص ١١٠) ايران من انها ماتت أيام النبي (ص) فلا يتم. (*)

[٢١٣]

واعطاهم سنة الظالمين فقتل كل من طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عتاب وجمع لا يحصى وقتل منا بنو مخدوع وابنا صوحان وعليا وهندا وثمانية فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله والسلام. وكتب إلى اهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم من علي امير المؤمنين إلى اهل الكوفة. سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فان الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (وإذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) واني اخبركم عنا وعمن سرنا إليه من جموع اهل البصرة ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير بعد نكثهما صفقة ايمانهما فنهضت من المدينة حين انتهى إلى خبرهم وما صنعوه بعاملتي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت اليكم ابني الحسن

وعمارا وقيسا فاستنفروكم لحق الله وحق رسوله وحقنا فأجابني اخوانكم سراعا حتى قدموا علي بهم وبالمسارعة إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وأقمت الحجة وأقلت العثرة والزلة من اهل الردة من قريش وغيرهم واستعبتهم عن نكثهم بيعتي وعهد الله لي عليهم فأبوا إلا قتالي وقتال من معي والتمادى في البغي فناهضتهم بالجهاد وقتل من قتل منهم وولى إلى مصرهم من ولى فسألوني ما دعوتهم إليه من كف القتال فقبلت منهم وعمدت السيوف عنهم وأخذت بالعفو فيهم واجريت الحق والسنة بينهم واستعملت عبد الله بن عباس على البصرة وانا سائر إلى الكوفة ان شاء الله تعالى وقد بعثت اليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألونه يخبركم عنا وعنهم وردهم الحق علينا وردهم الله وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب عبد الله بن ابي رافع في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين.

[٢١٤]

خطبة علي (ع): ولما كتب امير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال: اما بعد فان الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام جعل عفوه ومغفرته لاهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف امره وابتدع في دينه ما ليس منه وبرحمته نال الصالحون وقد امكنني الله منكم يا اهل البصرة واسلمكم بأعمالكم فاياكم ان تعودوا إلى مثلها فانكم اول من شرع القتال والشقاق وترك الحق والانصاف. زهد علي (ع): ثم نزل عليه السلام واستدعى جماعة من اصحابه فمشوا معه حتى دخلوا بيت المال وارسل إلى القراء فدعاهم ودعا الخزان وامرهم بفتح الابواب التي داخلها المال فلما رأى كثرة ما فيها فقال هذا جناي ثم قسم المال بين اصحابه فأصاب كل منهم ستة آلاف درهم وكان اصحابه اثني عشر الف واخذ كأحدكم فينا هي بحالها إذ أتاه أت فقال يا امير المؤمنين ان اسمي سقط من كتابك وقد رأيت من البلاء ما رأيت فدفعت سهمه إلى ذلك الرجل. وروى الثوري عن داوود بن ابي هند عن ابي حرز الاسود قال لقد رأيت بالبصرة طلحة والزبير قد ارسلوا إلى اناس من اهل البصرة انا فيهم فدخلنا بيت المال معهما فلما رأيا ما فيه من اموال قالا هذا ما وعدنا الله ورسوله ثم تلا هذه الآية: (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذا) إلى آخر الآية وقالوا نحن احق بهذا المال من كل احد ولما كان من القوم ما كان دعانا علي بن ابي طالب (ع)

[٢١٥]

فدخلنا معه بيت المال فلما رأى ما فيه ضرب احدى يديه على الاخرى وقال غرى غيري وقسمه بين اصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم عزلها لنفسه فجاءه رجل فقال ان اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام ردها ردها عليه ثم قال الحمد الذي لم يصل إلى من هذا المال شيئا ووفره على المسلمين. خطبة بعد القسمة: روى الواقدي ان امير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: ايها الناس اني احمد الله على نعمة قتل طلحة والزبير وهربت عائشة وايم الله لو كانت عايشة طلبت حقا وهانت باطلا لكان لها في بيتها ماوى وما فرض الله عليها الجهاد وان اول خطأها في نفسها وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقدًا وما زادهم الشيطان إلا طغيانا ولقد جاؤوا مبطلين وادبروا ظالمين ان اخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وأمنوا يرجون مغفرة الله واننا لعلى الحق وانهم لعلى الباطل ويجمعنا الله واياهم

يوم الفصل واستغفر الله لي ولكم. كتاب إلى أهل الكوفة؛ وفي رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت عن عامر الاسدي قال ان عليا كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلمة الارجبي إلى أهل الكوفة من عبد الله علي بن ابي طالب إلى قرصة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو اما بعد فانا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا

[٢١٦]

فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت اليهما بالندى واشهدت عليهما صلحاء الامة ومكنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جم لا يحصى عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونبياها من الحرب وأغترار من اغتر بها وما صنعتها من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لا بينة ولا معذرة ولا حجة لها فلما هزمهم الله امرت ان لا يقتل مدبرا ولا يجهز على جريح ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا بأذن أهلها وقد آمنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وحزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبيهم احسن ما يجزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فأجبتهم فنعم الاخوان والاعوان على الحق انتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كتب عبد الله بن ابي رافع في رجب سنة ست وثلاثين. سيرته في أهل البصرة؛ روى مطر بن خليفة عن منذر الثوري قال لما انهزم الناس يوم الجمل امر امير المؤمنين عليه السلام مناديا ينادي ان لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا وقسم ما حواه العسكر من السلاح والكراع. وروى سفيان بن سعد قال قال عمار لامير المؤمنين (ع) ما ترى في سبي الذرية قال ما أرى عليهم من سبيل انما قاتلنا من قاتلنا ولما قسم ما حواه العسكر قال له بعض القراء من اصحاب اقسام من ذراريهم لنا واموالهم وإلا فما الذي أحل دماءهم ولم يحل اموالهم فقال عليه السلام

[٢١٧]

هذه الذرية لا سبيل عليها وهم في دار هجرة وانما قتلنا من حاربنا وبغى علينا وأما اموالهم فهي ميراث لمستحقيها من أرحامهم فقال عمار رحمه الله لا تتبع مدبرهم ولا تجهز على جريحهم فقال (ع) لا لاني أمنتهم. وروى سعد بن جشم عن خارجة عن مصعب عن أبيه قال شهدنا مع امير المؤمنين (ع) الجمل فلما طفرنا بهم خرجنا في طلب الطعام فجعلنا نمر بالذهب والفضة فلا نتعرض له وإذا وجدنا الطعام أصبنا منه قال وقسم علي (ع) ما وجدته في العسكر من طيب بين نسائنا وقال (ع) مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم ولنقسم اموالهم في أهلهم فهي ميراث لهم على فريضة من الله قال وكان إذا أتى بأسير منهم فان كان قاتل قتله وان لم تقم عليه بينة بالقتل أطلقه ولما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع فقام إليه رجل قال يا امير المؤمنين هذه الفرس لي كانت وإنما أعرتها لفلان ولم أعلم انه يخرج عليها فسأله البينة على ذلك فاقام البينة انها عارية فردها وقسم ما سوى ذلك. ذمه أهل البصرة؛ وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال لما ظهر امير المؤمنين (ع) على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول

الله وقال: أيها الناس ان الله عزوجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لاهل طاعته وقضى ان نعمته وعقابه على اهل معصيته يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ؟ ويا جند المرأة ؟ وأتباع البهيمة رغا فرجفتم، وعقر فانهمزتم أحلامكم دفاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مراق

[٢١٨]

أرضكم قريبه من الماء ؛ بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم، شهزتم سيوفكم علينا، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم، فأنتم أكلة الأكل، وفريسة الطافر، والنار لكم مدخر، والعار لكم مفخر، يا اهل البصرة: نكتتم بيعتى، وظاهرتم علي ذوي عداوتي، فما ظنكم يا اهل البصرة الآن ؟. فقام إليه رجل منهم فقال بظن خيرا يا أمير المؤمنين ونرى انك ظفرت وقدرت فان عاقبت فقد أجرمتنا وان عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين. فقال (ع) قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة فانكم أول من نكت البيعة وشق عصا الامة فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة ولما فرغ (ع) من الخطبة وكلامه لاهل البصرة ركب بغلته واجتمع إليه جماعة من شرطة الخميس وطوايف. أسباب بغض عائشة: عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين على اهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت ؟ وهي امرأة من النساء لم يكتب عليها القتال ولا فرض عليها الجهاد ولا ارحص لها في الخروج من بيتها ولا التبرج بين الرجال وليست مما تولته في شئ على حال فقال (ع) سأذكر أشياء حقدتها علي ليس في واحد منها ذنب إليها ولكنها تجرمت بها علي. أحدها: تفضيل رسول الله لي علي أبيها وتقديمه إياي في مواطن الخير عليه فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه وثانيها: لما أذى بين أصحابه أذى بين أبيها وبين عمر بن

[٢١٩]

الخطاب واختصني باخوته فغلظ ذلك عليها وحدثني لسعدى منه. وثالثها: أوصى صلوات الله عليه بسد أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلا بابي فلما سد باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحا في المسجد تكلم في ذلك بعض أهله فقال صلوات الله عليه ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي بل الله عزوجل سد أبوابكم وفتح بابه فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه وتكلم في أهله بشئ سمعته منه ابنته فاضطغنته علي. وكان رسول الله أعطى أباه الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع حتى يفتح أو يقتل فلم يلبث لذلك وانهمزم فأعطاه في الغد عمر بن الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهمزم ولم يلبث فسأ رسول الله ذلك وقال لهم ظاهرا معلنا: لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله على يدي فغم ذلك أباه وأحزته فاضطغنته علي ومالي إليه ذنب في ذلك فحقدت لحقد أبيها. وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أباه ليؤدي سورة براءة وأمره أن ينبذ العهد للمشركين فمضى حتى انحرف فأوحى الله إلى نبيه أن يرده ويأخذ الآيات فيسلمها إلي فعرف أباه بأذن الله عزوجل وكان فيما أوحى الله عزوجل إليه لا يؤدي عنك إلا رجل منك وكنت من رسول الله وكان مني فاضطغن لذلك علي أيضا وأتبعته عائشة في رأيه. وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنئها شنآن الصرائر وكانت تعرف مكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيثقل ذلك عليها وتعدى مقتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني

وتمقت فاطمة وخديجة وهذا معروف في الضرائر. ولقد دخلت على رسول الله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على

[٢٢٠]

أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله فلما رأيته رحب وقال ادن مني يا علي ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها فغلظ ذلك عليها فأقبلت إلي وقالت بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب ما وجدت لاستك يا علي موضعا غير موضع فخذي فزبرها النبي صلى الله عليه وآله وقال لها العلي تقولين هذا انه والله أول من آمن بي وصدقني وأول الخلق وردا علي الحوض وهو أحق الناس عهدا إلي لا يبغضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار فازدادت بذلك غيضا علي. ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي فاستشارني في أمرها فقلت له يا رسول الله سل جاريتها بريرة واستبرء الحال منها فان وجدت عليها شيئا فخل سبيلها فالنساء كثيرة فأمرني ان اتولى مسألة بريرة واستبرء الحال منها ففعلت ذلك فحقدت علي والله ما اردت بها سوء لكنى نصحت لله ولرسوله وامثال ما ذكرت فان شئتم فاسألوها ما الذي نعمت علي حتى خرجت مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي يغير سبب يوجب ذلك في الدين والله المستعان. فقال القوم القول والله ما قلت يا امير المؤمنين ولقد كشفت الغمة ولقد نشهد إنك أولى بالله ورسوله ممن عاداك فقال الحجاج بن عزمة الانصاري في ابيات يتصل بما ذكرناه ويغني ما اثبتناه من هذه الجملة منها عن ابرادها. قال الواقدي ولما فرغ امير المؤمنين (ع) من اهل الجمل جاءه قوم من فتيان قريش يسألونه الامان وان يقبل منهم البيعة فاستشفعوا إليه بعبد الله بن العباس فشفعه وامر لهم في الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه قال لهم ويلكم يا معشر قريش علام تقاتلونني على ان حكمت فيكم بغير عدل أو قسمت بينكم بغير سوية أو استأثرت عليكم أو لبعدي عن

[٢٢١]

رسول الله أو لقلة بلاء مني في الاسلام فقالوا يا امير المؤمنين نحن اخوة يوسف فاعف عنا واستغفر لنا فنظر إلى احدهم فقال له من انت ؟ قال انا مساحق بن مخزومة معترف بالزلة مفر بالخطيئة تائب من ذنبي فقال عليه السلام قد صفحت عنكم وايم الله ان فيكم من لا ابالي بايعني بكفه أو باسته ولئن بايعني لينكثن. وتقدم إليه مروان بن الحكم وهو متكئ على رجل فقال له ما بك ؟ هل بك جراحة ؟ قال نعم يا امير المؤمنين وما ارانى إلا لما بي فتبسم امير المؤمنين (ع) وقال لا والله ما انت لما بك وستلقى هذه الامة منك ومن ولدك يوما احمررا وبايعه وانصرف وتقدم إليه عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فلما نظر إليه امير المؤمنين (ع) قال والله لئن كنت انت واهل بيتك لاهل دعة وان كان فيكم غنى ولكن اعف عنكم ولقد ثقل علي حيث رأيتمكم في القوم واحببت ان تكون الواقعة بغيركم فقال له عبد الرحمن فقد صار ذلك إلى ما لا يجب ثم بايعه وانصرف. مسير عائشة إلى المدينة: ولما عزم امير المؤمنين (ع) على المسير إلى الكوفة انفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك وانفذ معها اربعين امرأة البسهن العمامم والقلائس وقلدهن السيوف وامرهن ان يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها فجعلت عائشة تقول في الطريق اللهم افعل بعلي بن ابي طالب وافعل بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله فلما قدم المدينة معها القين العمامم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بدم امير المؤمنين (ع) وسبه وقالت

جزى الله ابن ابي طالب خيرا فلقد حفظ في حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٢٢٢]

اعتراف مروان بالظلم: وروى ابو مخنف عن العدي عن ابي هشام عن البريد عن عبد الله ابن المخارق عن هاشم بن مساحق القرشي قال حدثنا ابي انه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض والله لقد ظلمنا هذا الرجل يعنون أمير المؤمنين (ع) ونكثنا بيعته من غير حدث والله لقد ظهر علينا فما رأينا قط اكرم سيرة منه ولا احسن عفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تعالى حتى يدخل عليه ونعتذر إليه فيما صنعناه قال فصرنا إلى بابيه فاستأذناه فأذن لنا فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم فقال (ع) انصتوا اكفكم انما انا بشر مثلكم فان قلت حقا فصدقوني وان قلت باطلا فردوا علي انشدكم الله أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وانا اولى الناس به وبالناس من بعده ؟ قلنا اللهم نعم قال فعدلتم عني وبايعتم ابا بكر فامسكت ولم احب ان اشق عصا المسلمين وافرق بين جماعاتهم ثم ان ابا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم اهج الناس وقد علمت انى كنت اولى الناس بالله وبرسوله وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكففت ولم احب ان افرق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان فطغيتم عليه وقتلتموه وانا جالس في بيتي واتيتموني وبايعتموني كما بايعتم ابا بكر وعمر وبيتم لهما ولم تفوا لي وما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي فقلنا له كن يا امير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين: فقال (ع) لا تثريب عليكم اليوم وان فيكم رجلا لو بايعني بيده لنكث باسته ؛ يعنى مروان بن الحكم. وروى المسعودي عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التميمي عن

[٢٢٣]

ابي ثابت مولى ابي ذر قال شهدت مع أمير المؤمنين (ع) الجمل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفيين ومعها طلحة والزبير قلت ام المؤمنين وزوجة الرسول وحواري الرسول وصاحبيه بأحد فدخني ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلوة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي وقلت علي امير المؤمنين واخو سيد المرسلين واولهم اسلاما لم يكن بالذي يقدم على شبهة فقلت معه قتالا شديدا فلما انقضى الحرب اتيت المدينة فسرت إلى بيت ام سلمة فاستأذنت عليها فقيل من هذا فقلت سائل فقلت اطعموا السائل فقلت انى والله لم أسأل طعاما ولكني مولى ابي ذر رجعت أسأل عن ديني فقلت مرحبا بك فقصصت عليها فقالت اين كنت حين طارت القلوب مطايرها فقلت انى بينما احس ذلك إذ كشف الله عن قلبي فقالت مع أمير المؤمنين (ع) حتى فرغ فقالت احسنت انى سمعت رسول الله يقول ان عليا مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا الحوض. فصل: وقد اختلفت الروايات في عدد القتلى بالبصرة فقد جاء في بعضها انهم خمسة وعشرون الفا. وروى عن عبد الله بن الزبير رواية شاذة انهم خمسة عشر الف قتيل ويوشك ان يكون ابن الزبير اثبت ولكن القول في ذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله اهل العلم فاما الاخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ ورجله ثم قتل بعد ذلك فهي مشهورة انهم كانوا نحو من اربعة عشر الف رجل. ابن عباس والي البصرة: فصل: ومما رواه الواقدي عن رجاله قال لما اراد امير المؤمنين الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن العباس ووصاه وكان

في وصيته له ان قال: يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه وان تبسط للناس وجهك وتوسع عليهم مجلسك وتسعهم بحلمك وإياك والغضب فانه طيرة الشيطان وإياك والهوى فانه يصدك عن سبيل الله واعلم ان ما قريك من الله فهو مباحدك من النار وما باعدك من الله فمقربك من النار واذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين وروى ابو مخنف لوط بن يحيى قال لما استعمل امير المؤمنين عبد الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ثم قال: معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له واطيعوا امره ما اطاع الله ورسوله فان احدث فيكم أو زاغ عن الحق فاعلموا انى اعزله عنكم فانى ارجو ان اجده عفيفا تقيا ورعا وانى لم اوله عليكم إلا وانا اظن ذلك به غفر الله لنا ولكم. فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمده امير المؤمنين (ع) إلى التوجه إلى الشام فاستخلف عليها زياد بن ابيه وضم إليه ابا الاسود الدؤلي ولحق بامير المؤمنين حتى سار إلى صفيين. وروى ابو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله لما اراد امير المؤمنين (ع) التوجه إلى الكوفة قام في اهل البصرة فقال ما تنقمون علي يا اهل البصرة؟ وأشار إلى قميصه وردائه فقال والله انهما لمن غزل اهلي ما تنقمون مني يا اهل البصرة وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته فقال والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة فان انا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فانا عند الله من الخائنين ثم خرج وشيعة الناس إلى خارج البصرة وتبعه الاحنف بن قيس إلى الكوفة. ولما خرج وصار على غلوة استقبل الكوفة بوجهه وهو راكب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال الحمد لله الذي اخرجني من اخبت البلاد

واخشنها ترابا واسرعها خرابا واقربها من الماء وابعداها من السماء بها مغيض الماء وبها تسعة اعشار الشر وهي مسكن الجن الخارج منها برحمة والداخل إليها بذنب اما انها لا تذهب الدنيا حتى يجيئ إليها كل فاجر ويخرج منها كل مؤمن وحتى يكون مسجدها كأنه حوَّج سفيينة. فهذه جملة من اخبار البصرة وسبب فتنها ومقاتلات اصحاب الآراء في حكم الفتنة بها قد اوردها على سبيل الاختصار واثبتنا ما اثبتنا من الاخبار عن رجال العامة دون الخاصة ولم نثبت في ذلك ما روته الشيعة في إنكاره وكان الغرض فيما اورده في هذا الكتاب من تفصيل ذكر فتنة البصرة وما جرى فيها من القتال والفعال والابانة عن عناد القوم لأمير المؤمنين (ع) والقصد لحرية وسفك دمه من غير شبهة في امره ولا عذر فيما صاروا إليه من خلافه ولنوضح فيما تضمنته الاخبار في بطلان مقال من ادعى للقوم التوبة من فرطهم الضلال لحرب امير المؤمنين (ع) وفساد مذهب من ذهب إلى ذلك من المعتزلة والمرجئة والحشوية. ويدل على ما اثبتناه منه ان القوم مضوا مصرين على اعمالهم غير نادمين عليها ولا تائبين منها وانهم كانوا يتظاهرون إلى الله بالقرية والتدين بعداوتهم لامير المؤمنين (ع) والبغض والتضليل والتبديع له ولولاده ولشيعته وانصاره والبراءة إلى الله من جميعهم وان امير المؤمنين (ع) يرى عليهم يمثل ذلك ويرى القرية إلى الله بجهادهم وقتالهم حتى مضى لسبيله وانا مثبت بعد الذي قدمت اخبارا قد سلم لصحتها اهل العقل والنقل على خلافهم في الآراء والمذاهب تؤكد ما ذكرت في هذا الكتاب ويشهد بصحة ما ذكرت وان كنت قد جمعتها في موضوع آخر من كتبي وانما اوردها في هذا الكتاب لملائمتها لمعناها وتأييدها لما تضمنته من فوائده وفجواه وباللله استعين.

فمن ذلك ما حدثنا به ابو بكر محمد بن عمر الجعابي قال حدثنا أبو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن ابي الحسن علي بن الحسين ابن فضال باسناده في كتابه المعروف (بالمبني) وهو اشهر ان يدل عليه العلماء عن ابان بن عثمان عن الاجلح عن ابي صالح عن عبد الله بن عباس قال لما رمى اهل الافك عائشة استشار رسول الله صلى الله عليه وآله عليا فيها فقال يا رسول الله النساء كثيرة سئل الخادمة فسألوا بريرة فقالت ما علمت إلا خيرا فبلغ ذلك عائشة فقالت لا احب عليا بعد هذا ابدا وكانت تقول لا احب عليا ابدا أليس هو الذي خلا وصاحبه بجاريتي يسألانه عني وهذا حديث صحيح الاسناد واضح الطريق وهو يتضمن التصريح منها ببغض امير المؤمنين (ع) بنصيحته لرسول الله صلى الله عليه وآله واجتهاده في طاعته ومشورته من غير ان يكون ظلمها بذلك واعتدى عليها فيه إذ لو كان ذلك كذلك وحاشاه (ع) لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله ومقالته ولا قبل مشورته ولا انتهى فيه إلى رأيه ولما صار بعد ذلك إلى الاصغاء إليه والاعتماد في ذلك عليه فدل على صوابه وضلال من مقته لاجله وعاداه فيه (١). ومن ذلك ما رواه محمد بن مهران قال حدثنا محمد بن علي بن خلف قال حدثنا محمد بن كثير عن اسماعيل بن زياد البزاز عن ابي ادريس عن رافع مولى عائشة قال كنت غلاما اخدمها وكنت إذا كان رسول الله عندها اكون قريبا منها فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم عندها إذ جاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا جارية معها اناء مغطى فرجعت إلى

(١) تقدم في بعض الحواشي بيان كذب الحديث فانه مروى عنها فقط لانه لم ينقله احد من المسلمين غيرها وذكرنا ان المصنف (ره) انما ذكر القصة مماشاة مع القوم الذين طربوا لتنزيه عائشة بالقرآن وإلا فالشيخ المفيد لم تخف عليه هذه الظاهرة التي استوضحناها. (*)

عائشة واخبرتها فقالت ادخلها فدخلت فوضعت بين يدي عائشة ووضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فأكل منه فقال باليت امير المؤمنين وسيد المرسلين وإمام المتقين يأكل معي فقالت عائشة ومن ذلك؟ فجاء جاء فدق الباب فخرجت إليه فإذا هو علي بن ابي طالب (ع) فرجعت إليه فقلت هذا علي بالباب فقال ادخله فلما دخل قال له اهلا لقد تمنيتك حتى لو ابطيت لسألت الله ان يأتيني بك اجلس فكل معي فجلس معه ورأيت النبي صلى الله عليه وآله ينظر إليه ويقول قاتل الله من يقاتلك وعادى الله من عاداك فقالت عائشة من يقاتله ويعاديه فقال لها انت ومن معك. وهذا الحديث يدل على عداوتها له من حيث استفهمته عما تعلمه على وجه الانكار ودعائه في آخر القول على من يقاتله ويعاديه لعلمه بما يكون منها من القتال ايضا ودعائه على من عاداه لبيبين فضيلته وما هي عليه من البغض والشنآن له ويزيل الشبهة عن الامة في حقه وصوابه وباطل عدوه في خلافه له وعناده. ومن ذلك ما رواه غير واحد عن الارقم بن شرحبيل عن عبد الله بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفى فيه ابغثوا إلى علي وادعوه فقالت عائشة لو بعثت إلى ابي بكر وقالت حفصة لو بعثت إلي عمر فبعثنا إلى ابي بكر وعمر فلما حضرا فتح النبي عينييه فرأهما فقال انصرفا فان تكن لي حاجة بعثت اليكما. وروى اسحق عن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال اغمي على النبي صلى الله

عليه وآله ثم افاق فقال ادعوا لي اخي فأمرت عائشة ان يدعوا ابا بكر فدخل فلما رآه رسول الله اعرض عنه فقالت ام سلمة ادعوا له عليا فانه اخوه وحببيه فدعوه فجاء حتى جلس بين يديه فلما رآه ادناه وناجاه طويلا وهذا الحديث مع استقامته وكثرة رواته وظهوره في الخاصة والعامة يدل على عداوتها له وحسدها عليه.

[٢٢٨]

ومن ذلك ما احتج عليه اهل النقل من شهادتها لابي بكر في صواب منعه فاطمة فدكا ومقابلتها في تلك الشهادة امير المؤمنين (ع) فيما ذهب إليه من استحقاتها ومظاهرة ابي بكر على منع فاطمة من ميراث ابيها ولم يشركها في ذلك احدى الازواج. ومن ذلك ما رواه اسحق عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عائشة قالت استشعر رسول الله من المرض في بيت ميمونة فدعى نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين من اهل بيته احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر يخطان قدماه الارض عاصبا رأسه حتى دخل بيتي قال عبد الله فحدثت عنها عبد الله بن العباس فقال هل تدري من الرجل؟ قال ذلك علي بن ابي طالب وما كانت امانة تذكره بخير وهي تستطيع ومن ذلك ان عائشة كانت تذم عثمان وولاته وكانت تقول كل قول بغضا منه وترفع قميص رسول الله فتقول هذا قميص رسول الله لم يبيل وقد ابلى عثمان احكامه ولما جاء الناعي إلى مكة فنجاه بكى لقتله قوم من اهل ظنه فأمرت مناديا ينادي: ما بكاؤكم على نعتل اراد ان يطفى نور الله فأطفاه الله تعالى وان يضيع سنة رسوله فقتله ثم ارجف بمكة ان طلحة قد بويع له فركبت مبادرة بغلتها وتوجهت نحو المدينة وهي مسرورة حتى انتهت إلى (سرف) فاستقبلها عبد بن ابي سلمة (١)

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٢) يعرف بابن ام كلاب نسبة إلى امه ثم ذكر الحديث وذكر ابياته: منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر وانت امرت بقتل الامام * وقلت لنا: انه كفر فهينا اطعناك في قتله * وقاتله عندنا من امر ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر - (*)

[٢٢٩]

فقالت له ما عندك من الخير قال قتل عثمان قالت فمن ذا ولوه قال بايعوا عليا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت والله لوددت ان هذه تطبق على هذه ان تمت لصاحبك فقال لها عبد بن ابي سلمة ولم؟ فوالله ما على هذه الغبراء نسمة اكرم منه على الله فلماذا تكرهين قوله فقالت انا عينا على عثمان في امور سمينها له ولمناه عليها فتاب منها واستغفر الله فقبل منه المسلمون ولم يجدوا من ذلك بدا فوثب عليه صاحبك فقتله والله لاصبع من اصابع عثمان خير منه وقد مضى كما يمضي الرخيص ثم رجعت إلى مكة تنعى عثمان وتقول هذه المقالة للناس: فهل يصح رحمكم الله عند احد من العقلاء دخول الشبهة من بعضها أو يرتاب مكلف في اعنادها لامير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرناه. ومن ذلك ما رواه نوح بن رواج عن ابي اسحق قال حدثني المنهال عن جماعة من اصحابنا ان طلحة لما قدم مكة جاء إلى عائشة فلما رآته قالت يا ابا محمد قتلت عثمان وبايعت عليا فقال لها يا امه مثلى كما قال الشاعر ندمت ندامة الكسعي لما * رأت عيناى ما صنعت يدها أو لا ترى انها تبدي له العداوة في كل حال وتظهر العناد له بكل مقال ومن ذلك كتبها إلى الافاق تؤلب عليه وتخذل الناس عنه من غير شبهة تعرض في الديانة لفعل كان منه كتبت إلى زيد بن صوحان على ما اجتمعت

عليه نقلة الاخبار: بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة ابنة ابي بكر
ام المؤمنين زوجة النبي إلى ابنها المخلص زيد بن صوحان اما بعد إذا
جاءك كتابي هذا فأقم في بيتك وخذ الناس عن علي حتى يأتيك
امري وليبلغني عنك ما اقر به فانك من اوثق اهلي عندي والسلام.

- وقد بايع الناس ذا تدرء * بيزيل الشبا ويزيل الصعر ولبس للحرب اثوابها * وما من
وفي مثل من قد غدر (*)

[٢٣٠]

فكتب إليها زيد بن صوحان: بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن
صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر اما بعد فان الله امرك بأمر وامرنا
بأمر أمرك أن تقري في بيتك وامرنا بالجهد فأتاني كتابك بضد ما أمر
الله به وذلك خلاف الحق والسلام (١). ومن ذلك ما تظاهرت به
الاخبار وثبتت به الآثار في الكتب المصنفة في حرب البصرة وغيرها
من كتاب عايشة إلى حفصة ما رواه عن الاصم عن الحسن بن أبي
الحسن البصري قال لما نزل علي (ع) ذا قار كتبت إلى حفصة الذي
قدمنا ذكره. وروى بشر بن الربيع عن عمار الدهني عن سالم بن
أبي الجعد قال ذكر النبي خروج بعض نسائه وعنده عائشة وعلي
حاضر فضحكت عائشة والتفت إلى علي وقال إذا رأيت من امرها
شيئا فارق بها (٢) وروى عصام بن قدامة البجلي عن ابن عباس
قال قال رسول الله لعائشة وعنده نساءه ليت شعري أيتكن صاحبة
الجمال تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وشمالها
خلق كثير كلهم في النار وينجو بعد ما كادت. وروى أبو بكر بن عباس
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال المسعودي في حديثه
قال رسول الله يا علي إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها.

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٨٢). (٢) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین
(ج ٢ - ص ١١٩) ولم يعقب عليه الذهبي وفي تطهير الجنان لابن حجر بهامش
الصواعق المحرقة ص ١٠٨ قال رسول الله لعلي سيكون بينك وبين عائشة أمر قال
علي (ع) أنا أشقاهما ؟ قال لا فإذا كان ذلك فأرددها إلى مأمنها (*)

[٢٣١]

وروى علي بن مسهر هشام عن ابن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عائشة إنني رأيتك في
المنام مرتين أرى جملا يحملك في سدفة من حرير فاكشفتها فإذا
هي أنت. أفلا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاها وقد بين
ما يكون منها على علم منه في مصيرها وعاقبة أمرها ثم نهاها عن
ذلك وزجرها ودعا عليها لاجله وتوعدها صلى الله عليه وآله فافدمت
على خلافه مستبصرة بعداوتة واركتبت نهيه معاندة له في أمره
وصارت إلى ما زجرها عنه مع الذكر له والعلم به من غير شبهة في
معاندته على أن كتاب الله المقدم في الحججة على ما تعمدته من اثر
وخبر وسنة وقد اوضح ببرهانه على اقدام المرأة على الخلاف له من
غير شبهة وقتاله وقتال اوليائه لغير حجة بقوله تعالى لها ولجميع
نساء النبي: وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
فخرجت من بيتها مخالفة لامر الله وتبرجت بين الملا والعساكر في
الحروب تبرج الجاهلية الاولى واباحت دماء المؤمنين وأفسدت الشرع
على المسلمين وأوقعت في الدين الشبهات على المستضعفين.
ومن ذلك ما رواه أبو داود الطبري عن عبد الله بن شريك عن عامر

عن عبد الله بن عامر قال سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة أنشدك الله ألم نسمعك تقولين سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (١) قالت بلى فقال لها إذا كان ذلك مم هذا قالت دعوني والله لو ددت انهم تفانوا جميعا فدل ذلك على انه لم يعترضها شبهة في قتاله وانها في خلاف الله ورسوله والاخبار في هذا المعنى كثيرة ان أخذنا في ايرادها طال بها الكتاب فاما ما جاء في عناد طلحة والزبير لامير المؤمنين (ع) واقدامهما على حرب عثمان

(١) رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين (ج ٣ ص ١٢٤) ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرک. (*)

[٢٢٢]

طمعا في نيل الامر من بعده بغير شبهة في ذلك وانهما كانا متولين لقتل عثمان فلما بايع الناس لامير المؤمنين (ع) وفاتها ما كانا ياملانه من التأمر على الناس عمدا إلى حربهم ورميهم بما صنعاه بعثمان وعاندا في ذلك وكابرا ودفعنا به المعلوم. وروى موسى بن مطير عن الاعمش عن مسروق قال دخلنا المدينة فبدأنا بطلحة فخرج مشتملا بقطيفة حمراء فذكرنا له امر عثمان وهم القوم به فقال لقد كاد سفهاؤكم ان يغلبوا عقلاءكم ثم قال اجئتم معكم بحطب ألا فخذوا هاتين الحزمتين فاذهبوا بها إلى بابها فأحرقوه بالنار فخرجنا من عنده وأتينا الزبير فقال مثل قوله فخرجنا حتى أتينا عليا عند أحجار الزيت فذكرنا امره فقال استتيبوا الرجل ولا تعجلوا فان رجع عما هو عليه وإلا فانظروا. وروى محمد بن اسحاق عن أبي جعفر الاسدي عن أبيه عن عبد الله ابن جعفر قال كنت مع عثمان وهو محصور فلما عرف انه مقتول بعثني و عبد الرحمان بن أزهر إلى علي (ع) وقد استولى طلحة على الامر وقال انطلقا وقولا له انك أولى بالامر من ابن الحضرمية فلا يغلبناك على امر ابن عمك. وروى الفضل بن دكين عن عمران الخزاعي عن ميسرة بن جرير قال كنت عند الزبير بأحجار الزيت وهو أخذ بيدي فاتاه رجل وقال يا أبا عبد الله ان أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء فقال ادبروا: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم في شك مريب) فهذه الاخبار وأمثالها قد جاءت بما فعل طلحة والزبير بعثمان وما أباحاه من دمه وان أمير المؤمنين كان معتزلا لذلك عن عثمان دافعا عنه بحسب الامكان ثم جاء بعد ذلك يطلبان بدم عثمان ويدعيان عليه انه تولى قتله ويقر فانه بما ادعياه ويعملان في قتل أهل الايمان

[٢٢٢]

وإثارة الفتنة في الاسلام وهلاك العباد والبلاد. وروى ابراهيم بن عمر عن أبيه عن بشير عن نوح بن دراج ان عليا قال لهما والله ما للعمرة تريدان وقد بلغني أمركما وأمر صاحبكما فحلفا بالله ما يريدان إلا العمرة. وروى الحسن بن المبارك عن بكر بن عيسى ان عليا (ع) أخذ عليهما العهد والميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجها وجها غير العمرة حتى يرجعا إليه فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لهما فخرجا. وروت ام راشد مولاة ام هانئ ان طلحة والزبير دخلا على علي فاستأذناه في العمرة فلما وليا من عنده سمعتهما يقولان ما بايعا بقلوبنا وانما بايعنا بأيدينا فأخبرت عليا بمقالتهم فقال: (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه

الله فسيؤتيه اجرا عظيما) ثم قام عليه السلام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اما بعد فان الله لما قبض نبيه قلنا نحن اهل بيته وعصيته وورثته وأولياؤه وأحق خلق الله به لا ينازعنا في سلطانه أحد فبينما نقول ذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا وأبى الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لغيرنا ذلك ما استطعنا وقد وليتمونا أيها الناس أمركم وباعني طلحة والزبير فيمن بايعني منكم ثم نهضنا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا ما بينكم الفتنة اللهم فخدهما بعشهما لهذه الامة وسوء بطرهما. وفي رواية اخرى في غير هذا الكتاب خطبته هكذا: اما بعد فانه لما قبض الله رسوله قلنا نحن اهله وورثته وعترته

[٢٣٤]

وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا في سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذا انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الامرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الاعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأبى الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وان يعودوا إلى الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الامر ولاة لم يألوا الناس خيرا ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شئتان مني لامركم وفراسة تصدقني عما في قلوب كثير منكم وباعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضنا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ج ٣ ح حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالفاظ ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري في قلوب كثير منكم وباعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضنا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات

العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في اول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في اول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة

الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابى طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابى طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع)

أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار - علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء - الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية - تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة للسيد على خان. تمت في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في اول من بايعني تعلمون ذلك وقد نكتا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن (ع) أن يدفن مع جده فيما لا خلاف فيه بين العلماء فيما حاورت به القوم إذ قالت ما لكم ولى تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولى الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الاولين والآخرين وآله الطاهرين. الارشاد للشيخ المفيد - صدر إلى الاسواق: - سر السلسلة العلوية - لابي نصر

البخاري غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار -
علل الشرايع للشيخ الصدوق نبذة من منشورات المطبعة الحيدرية -
نجف - تلفون (٣٦٨) - العنوان: نجف المكتبة الحيدرية (محمد كاظم
الكتبي) - مناقب آل ابي طالب ٣ ج حق اليقين ج ٢ - معالم العلماء
- الافصاح في الامامة للمفيد - الامالى الرجال والفهرست للشيخ
الطوسى - الكنى والالقب ج - ابو هريرة - الخصائص الحسينية -
تظلم الزهراء المنتخب للطريحي - الفوادح الحسينية - شجرة طوبى
ج ٢ الكوكب الدرى - توحيد المفضل - قصص القرآن - القبائل العراقية
الامام الصادق ج ٢ بشارة الاسلام - اليقين في الامرة) - سعد
السعود) - الشهيد مسلم بن عقيل مثير الاحزان - غزوات الامير
للنقدى - تاريخ الكوفة - قضاء امير المؤمنين سليم بن قيس - الالفين
للعلامة - الفصول المهمة للحر العاملي قصص الانبياء للجزائري تنزيه
الانبياء للمرتضى - اثبات الوصية - عمدة الطالب - الدرجات الرفيعة
للسيد على خان. تمت
